الأساطير الإفريقية

وروائع الحواديت والحكايات الشعبية



حسن عبدالغفار

دار مشارق

الأساطير الإفريقية

وروائع الحواديت والحكايات الشعبية

تأليف

حسن عبد الغفار

الناشر

دار مشارق

الأساطير الإفريقية

وروائع الحواديت والحكايات الشعبية

حسن عبد الغفار

رقم الإيداع : ٢١٢٤٨/٢٠٠٨

دار طيبة للطباعة - جيزة

الطبعة الأولي ٢٠٠٩

كل الحقوق محفوظة

دار مشارق للنشر والتوزيع

١٥ شارع الفاروق عمر بن الخطاب - طالبية - فيصل

ت : ٣٧٧٢٤١٨٠٣ - ٠١٠٠٥٩٣٣١٧ - ٠١٢٢٦٨٧٢٩٠٦

E-mail : Mshareq@Hotmail.com



أفريقيا
أساطير وحكايات شعبية

تمهيد

الإبداع والمدنية والتحضر أهم سمات الإنسان، وتلك هبة من الله تسبح في الأثير كالطل، إذا أصاب نبتة صالحة ورعاها العمل الصالح كان النتاج شجرة طيبة وارفة يمتد ظلالها ويطيب ويعم خيرها.

أما إذا أصاب نبتة صالحة في أرض طيبة وصادفت عملاً غير صالح كان النتاج شجرة خبيثة، ينحصر ظلها ويفسد وتسبب الويل والخراب والدمار، وإذا أصاب نبتة صالحة ولم تصادف جهدًا وعملاً وعرقا،تصير الشجرة غابة موحشة متوحشة لا أمان فيها ولا استقرار.

ومنذ بدء الخليقة وجد الإنسان نفسه وكأنه نبتة من أصل بديع، وقد ألقي به في لجة بعيدة القاع شاسعة الأصقاع، يجاهد الأمواج العاتية خوفًا من الغرق فيكابد للوصول إلى شاطئ الحياة آمنًا...

وتارة يرى نفسه وكأنه بذرة ألقي بها في صحراء قاحلة جرداء مترامية الأطراف، لا ظل فيها ولا ماء، يتلمس قطرة ندى أو لحاء شجرة، ويخر تحت وطأة الجوع والعطش، ويكتوي بلظى الشمس الحارقة ويغوص في الرمال



المتحركة.

وتارة أخرى يجد نفسه مخلوقًا ضيعت في غابة كثيفة الأشجار متشابكة الفروع والأغصان، يصارع ضواري الحيوان وكواسر الطيور، يقتات الجذور ويقطف الثمار، يسكن الكهوف والجحور، وشعاب الجبال.

ذلك هو الإنسان خليفة الله في الأرض، هو نبتة من شجرة الحياة وبذرة لإعمار الكون، هو المخلوق الضعيف الذي وهبه الله نعمة إعمال العقل ومكّنه من صنع الفلك لينجو من الطوفان ويعبر محيط الحياة ويصل إلى بر الأمان، وأبدع فصنع خارقات الزمان يسبح في فضاء الله الواسع واخترق الأفلاك ليصل إلى كواكب أخرى.

إنه الإنسان تلك القبضة من الحمإ المسنون التي نفخ الله فيها من روحه، وبعثه ليخلص في عبادته ويعمر الأرض، فوهبه سبل الحياة وسخر له الأرض وما عليها لتعينه على مواصلة مسيرته، وجبله على الفطرة الإلهية التي تنزع إلى الخير، ويعلمه الأزلي بالنفس الأمارة بالسوء والتي تنزع إلى طبيعتها الدونية فأرسل الأنبياء والرسل وأتبعهم بالصالحين لهداية النفس وتقويمها وإعادتها للصراط المستقيم.

مقدمة:

تفرق بنو الإنسان شعوب وقبائل في ربوع الأرض واختلفت السنتهم وألوانهم ومشاربهم وتباينت طباعهم وأخلاقهم وسمتهم باختلاف البيئة التي نشئوا فيها، ولكن ظلت بهم جميعًا خصلة واحدة جبلوا عليها وهي الفطرة الإلهية (الإنسانية) التي وضعها سبحانه وتعالى في جنس بني آدم.

تلك الفطرة التي جعلته يوقن بأن هناك خالقًا أعظم لهذا الوجود وهو المسيطر على الكون، وأن هناك قوى غيبية تعينه على مواجهة جميع المخاطر المتمثلة في الظواهر الطبيعية، كالرعد والبرق والرياح والزلازل والبراكين وتحميه من شرور الضواري والكواسر، وهي القوى التي مكنته من استئناس الحيوان وتسخيره لخدمته، وهي التي امدته بالقوة في صراعه مع الحياة، وفي حين اندثرت كثير من أنواع الحيوانات الضخمة القوية والعملاقة، تمكن هو من الحفاظ على بقاء النوع كإنسان له طبيعته الإنسانية.

وكان النزوع للبحث عن تلك القوى الغيبية والبحث عنها، الأمر الذي أدى إلى اللجوء إلى السحر والخرافات وظهور الأساطير وإيحاء أرباب من نسج الخيال وتعددت الآلهة وتنوعت.

في الأزمان السحيقة حين كان الرعب والخوف من المجهول، وقدرات الإنسان المحدودة أمام غياهب الكون ومظاهر الطبيعة، كتعاقب الليل والنهار، والشمس وهجيرها، والنجوم وبريقها، والرياح وصريرها، والأعاصير والبراكين والزلازل، والمياه وهديرها، الأمر الذي جعل الإنسان يرتعد ويضطرب، فراح يبحث في ذاته

عما يهدئ روعه ويطمئن قلبه، فكانت القصص والروايات التي أخذ يرويها ويتواردها في زمن عزبت فيه الكتابة ونسجت فيه الخرافة.

امتزجت القصص والحكايات بالأساطير والخرافات فأصبح لكل شعب موروث ثقافي الذي يحوي العقائد والحكم والأمثال وتاريخ هذه الشعوب.

ظهرت الأساطير في الشرق والغرب، في قلب الصحراء وعلى سفوح الجبال وفي الأودية والغابات وعلى ضفاف الأنهار وحتى القطب الجليدي لم يبتعد كثيرًا عن الروايات والخرافات.

وإن ابتعدت الأمصار واختلفت البيئات وانقسمت الأعراق، إلا أن أصل الأسطورة لا يختلف، فلكل أمة رب ولكل قبيلة إله ولكل بيت مذهب، إلا أن المظاهر الطبيعية تؤثر في فحوى الأسطورة، فبلاد الأغريق ذات البيئة الساحلية (مجموعة جزر) وفيها الأسطورة متحركة صاخبة كطبيعة البحار الهوجاء، والأسطورة في الشرق أسطورة ساكنة هادئة كطبيعة الشعوب المستقرة والمرتبطة بالأرض الثابتة.

ونجد الأسطورة في الغرب تنزع إلى الجمال والطبيعة الخلابة واللهو والدعة وتأليه الجسد ومفاتنه، أما الأسطورة في الشرق مرتبطة بحركة الشمس الساطعة دائمًا (شروق وغروب) فكان تأليه الشمس وتقديس النهر وهما العنصرين الموهبين للحياة، كما هو الحال في الحضارة المصرية القديمة، والوفاء والرضا والقناعة كما في الحضارة الهندية العتيقة، والبطولة والشجاعة والولاء والانتماء كما في الحضارة الفارسية والبابلية السحيقة.

ظهرت الأساطير منذ عهود سحيقة قديمة بقدم خلق الإنسان، وهناك أساطير نجدها في أمم كثيرة منتشرة في ربوع الأرض، ومنها وجود إله قادر عظيم مهيمن على هذا الكون وقوى غيبية مسيطرة على مقدرات الإنسان،



والبعث والثواب والعقاب والجنة والنار، والصراع الأبدي بين الخير والشر، وبداية الخلق وقصة الطوفان، الأمر الذي يؤكد أن هذه الأساطير من مشكاة واحدة، وأن بني الإنسان خلقوا من نفس واحدة وعرفوا نوح عليه السلام وعاصروا الطوفان، وقرأوا صحف موسى قبل أن يتفرقوا وتتفرق بهم السبل وينتشروا في بقاع الأرض إما بحثًا عن الغذاء أو الأمن والاستقرار، وبابتعادهم عن منهج الله بحثوا عن أرباب من نسج الخيال وتعددت الآلهة وامتزجت الحقيقة بالخرافات إلى أن أرسل الله دينه الإلهي السماوي «اليهودية والمسيحية والإسلام» لتعيد الإنسان إلى النهج الصحيح والإيمان بوحدانية الخالق وهو الهادي لسواء السبيل.

تلك هي الأساطير التي انتشرت في ربوع العالم ومازالت تؤثر في طبيعة الإنسان وإن تحول بعضها إلى حكايات شعبية، نجول بينها في القارة السمراء والتي يعتقد أنها أقدم يابسة استعمرها الإنسان وعاش فيها، عسى أن نجد فيها مدادًا روحيًا أو هدوءًا نفسيًا أو قيمًا وتقاليد وعادات وموروثًا ثقافيًا نعجب منه أو نأخذ عنه أو نسبح في دنيال الخيال نمتطي صهوت حصان جامح لنصيد غزالاً شاردًا.

وعلى الله قصد السبيل

الإنسان

الإنسان هو محور كل أسطورة في كل زمان ومكان، وكل أمة تعتمد في موروثها الحضاري على الأسطورة، تمزج منها الحقيقة بالخيال والقدرة البشرية بقوة عليا تمد يد العون وتعين على النواكب والخطوب، وكل موروث أسطوري يبدأ بقصة الخلق.

والشعوب الأفريقية مثلها في ذلك مثل باقي الشعوب لها معتقد ديني في الخالق الأعظم الذي خلق الكون وجميع الكائنات والجمادات الظاهر منها والباطن، وهو الإله الأعظم، وذلك قبل أن تنتشر المسيحية والإسلام زاحفة من الشمال إلى الجنوب، وتغلغلت داخل القارة وتحولت كثير من شعوب القارة عن الوثنية واتبعت الدين السماوي.

وتزخر أفريقيا بعدد لا حصر له من الكيانات القبلية والأجناس واللغات واللهجات والمعتقدات والمذاهب ولكن معظمهم يتفق على وجود الخالق الأعظم وإن اختلفت الأسماء التي يطلقونها عليه، لكن هناك أسماء شائعة ومنها «ملونغو» في الجهة الشرقية واسم «ليزا» في وسط أفريقيا و«نيامبي» في المناطق الاستوائية الغربية.

واعتقد الأفريقي أيضا كغيره في وجود أرباب أدنى منزلة من الإله الأعظم هي أقرب إلى الإنسان من الإله الأعظم، يتعبدون لها لتقربهم من الإله الأعظم زلفى.

لا يعرف أحد على وجه اليقين منبت الجنس الأسود الزنجي ولا من أين أتى

وإنما دلت الشواهد والأبحاث وتشير الحفريات إلى أن أفريقيا من أقدم مواطن الإنسان، فقد عثر في الروديسيات على جماجم بشرية يرجع تاريخها إلى ثلاث ملايين سنة وأن أقدم الشعوب والتي تعيش حتى الآن هي:

١ - شعوب «البانتو» السوداء: التي تنتشر من الساحل الغربي من السنغال إلى «الكاميرون» في الشرق ومن «الكونغو» في الوسط إلى رأس الرجاء في الجنوب وهم غالبية سكان القارة.

٢ - شعوب البربر البيضاء: ذات العيون الزرقاء والشعر الأشقر والتي تقطن منطقة جبال أطلس في الشمال وقد امتدت فروعهم وتزاوجوا مع شعوب البانتو عن طريق قبائل الطوارق وصاروا الجسر الذي ربط الشمال بخليج غينيا.

٣ - الشعوب الحامية: تلك الشعوب التي استوطنت وادي النيل منذ أزمان سحيقة تسبق أجناس الأسرات الفرعونية وذلك حسب التقسيمات الشائعة تاريخيًا والتي تنسب أجناس البشرية إلى أبناء نوح عليه السلام «سام - وحام - ويافث»

ويعتمد التأريخ لكل أمة على الأساطير المتواردة والتي تنتقل من جيل إلى جيل والقصص الشعبية التي تُروى لتحافظ على الموروث الثقافي «الديني والأدبي» في إطار ملحمي تختلط فيه الحقيقة بالخيال والممكن بالمستحيل والخوارق بالطبيعة والجهل بالعلم والشك باليقين.

تعتمد الأسطورة عند صياغتها على أدبيات مكتوبة، وإن كانت منقوشة على جدران المعابد والكهوف أو سطرت على ألواح الطين أو مجرد رسوم على قوارير، لذا كانت الأساطير في الشرق والغرب سهلة المنال حيث عرفت الكتابة منذ عهود سحيقة، أما في أفريقيا فلم تعرف الكتابة والتدوين فعز على الباحث الرجوع إلى مدونات تعينه على البحث، فكانت الوسيلة الوحيدة والممكنة هي الاعتماد على ما توارثته القبائل وما دونه الأفارقة المحدثين الذين اهتموا بتدوين أساطير شعوبهم



قبل أن تندثر.

من المعروف أن للبيئة والوسط المعيشي ونمط الحياة تأثير على الفكر البشري، فتختلف التفسيرات للظواهر الطبيعية المحيطة من جنس لآخر ولكن يبقى النهج الفلسفي والاعتقاد الديني متقارب من حيث ضرورة وجود هالق عظيم لهذا الكون وثوابت أجلها الموت والحياة ومعناة الإنسان للحفاظ على بقائه والسعي إلى النمو والتحضر.

والأفارقة شأنهم في ذلك شأن الأمم الأخرى في طبيعتهم الإنسانية وتصوراتهم الذهنية وطروحاتهم الفلسفية مهما كانت بدائية. وكذلك لهم ضروراتهم الحياتية والأخلاقية فكان الدين والمذهب والعقيدة، والزواج والأسرة والحياة الاجتماعية والطب والسحر.

والإله هو القوى العظمى والكائن الأسمى ومُبدأ الخلق ومنه تُستمد الحياة التي يوهبها إلى جميع الكائنات، ويؤمن الأفريقي بأن قوى الطبيعة تتأثر ببعضها وتستمد قوتها من اختلافها وأن كل هذه القوى تستمد قوتها من الخالق الأسمى، ثم تأتي المرتبة الثانية من القوى المتمثلة في زعماء القبائل، وفي نفس المرتبة تأتي القوى الروحية للسلف حيث يحظى السلف بالاهتمام والاحترام والتقديس.

ويمثل الاعتقاد الديني عند الأفريقي هيئة مثلث على ثمته الإله الأعظم وعلى الجانبين الآلهة والأرباب من جانب وعلى الآخر السلف وعند القاعدة نجد القوى الخارقة للطبيعة المتمثلة في السحر وطقوسه، وفي الوسط يكون الإنسان الذي يسعى في محاولات دائبة للانسجام مع كل هذه القوى المحيطة به.

ويؤمن الأفريقي أن هذه القوى تمتد لتشمل الحيوانات والطيور ويجب مراقبتها والسعي لتسخيرها واالنتفاع بقدرتها وقوتها التي تفوق قدرة الإنسان وقوته.

ويؤمن الأفريقي بأن الروح ملازمة للجسد مادام حيًا وتفارقه عند الموت وهذه الملازمة تجعل الزوح تمرض كما الجسد وعلاجها بالسحر الأمر الذي جعل السحر من ضرورات الحياة.

أما الأخلاق فالأمر يعود إلى الإنسان وطبائعه وإنه مسئول أمام الإله عن أفعاله إن كان خيرًا فخير وإن كان شرًا فشر، ويتوقف ذلك على علاقاته بمن حوله واستخدامه لما وهبه الإله من قوة وقدرة على خدمة المجتمع المحيط به والقبيلة التي ينتمي إليها وعدم إلحاق الأذى بالآخرين.

تأثر الأفريقي بالموروث الثقافي المتراكم عبر آلاف السنين وإن اختلفت عقيدته وثنيًا كان أم مسلمًا أو مسيحيًا، فنرى جذور أفريقية في كل معتقد ديني أو مذهب خلقي، وكما في الشعوب والأمم الأخرى حتى اعتنقت دينًا سماويًا.

والأساطير الأفريقية يغلب عليها الطابع الديني والنهج الأخلاقي وتبرز القيم الإنسانية وتظهر بأن هناك خالقًا أعظم لهذا الكون ومسيرًا لكل شئونه وهو المحدث لأقداره والمهيمن على كل مظاهر الطبيعة وبذلك أصبحت الأسطورة هي التاريخ المقدس والمرجع الأسمى.

الخالق

غالبية الشعوب الأفريقية تؤمن بالخالق الأعظم صاحب القوة الخارقة الذي خلق الكون بما عليه وحوله وجميع الكائنات وقد أطلق عليه عدة أسماء بعدة لغات وبعدة لهجات على اتساع القارة، ولكن هناك بعض التسميات المألوفة منها «ملونغو» الإله الأعظم في الجزء الشرقي من القارة، و«ليزا» الإله الأعظم في وسط أفريقيا و«نيامبي» الإله الأعظم في المناطق الاستوائية الغربية، وهناك عدة تسميات أخرى في مناطق متفرقة منها «ماوو» و«اما» و«آولورون» و«جوكو» و«نيفيوا» وجميع هذه الأسماء تطلق على الإله الأعظم أو الخالق الأعظم أو الإله

الأسمى الذي يسكن العالم العلوي.

وهناك بعض الأساطير وفيها يسود الاعتقاد بأن الإله الأعظم كان يسكن الأرض ، وعندما حاد الإنسان عن الطريق السوي قرر الإله أن يترك الأرض ويصعد إلى السماء، كما يعتقد الأفارقة أن هناك أرواحًا وأربابًا أدنى درجة من الإله الأعظم ،وهي بالوكالة آلهة تهيمن على الظواهر الطبيعية، فهناك إله للرياح وإله للأرض، والغابات والماء وغيرها من الظواهر، وتنتشر المعابد المخصصة لهذه الآلهة في حين يندر وجود معبد للإله الأعظم.

وفي ذلك يقول الحكماء الأفارقة مقولة النبي سليمان عليه السلام :إن الخالق الأعظم أسمى وأكبر من أن تضمه جدران معبد أو يبتهل إليه لأنه اعلم وأدرى بمخلوقاته وإنما يتعبد الناس للأرباب – معظمهم من السلف – للتقرب من الإله الأعظم.

والخالق الإله الأعظم ينظر إليه الأفارقة على أنه متفرد وهو المتسامح الراعي لجميع الكائنات ولا يلحق بهم الأذى ويدرأ عنهم المخاطر، وهو الكيان الثابت والقوى المحركة والذي يمد يد العون لكل محتاج وهو العليم بكل شيء والقادر على كل شيء والعادل المكافئ لكل مؤمن ومحسن والمعاقب لكل مسيء وهو الملاذ لكل محتاج والمستقبل لكل دعاء.

فهو السميع المجيب عندما تغفل الأرباب عن العباد.

وفي الأساطير فإن الخالق يذكر وكأنه فكرة مجردة ليس له هيئة ولا تجسيم ولا يمكن احتوائه فهو ملئ الكون ولا يمكن وصفه، أما في القصص والروايات فإن له صفات الإنسان الملموسة والمحسوسة، وهو الخالق لكل شيء والمهيمن على كل شيء والمسئول عن كل شيء وهو الأب والأم لكل المخلوقات، وهناك أساطير تقول بأنه السرمدي الذي لم يلد ولم يولد وبعض الأساطير تشير إلى أنه ولد من

امـرأة لهـا ثديًا واحـدًا وإنه تزوج، ويؤمن بعض الأفـارقـة بأن الإله الأعظم له طبيعتي الذكر والأنثى فهو الأب والأم.

وكما هو معلوم فأن البيئة الطبيعية تؤثر على المعتقد الديني، فقد كانت لطبيعة أفريقيا الاستوائية، فكثرة المطر وسطوع الشمس الدائمين لم تجعل هناك طقوسًا لسطوع الشمس أو نزول المطر، الإنسان لا يبتهل إلا عند الحاجة، ويعيد الأفارقة في أساطيرهم مسئولية الرعد والبرق والمطر، للإله الأعظم وهما يصاحبان نزوله على الأرض.

وللخالق عند الأفارقة بعض الصفات فهو الإله فوق كل شيء وهو الذي يغشى الكون مثل السماء، وأنه الحكيم والجبار، والذي ليس من السهل إدراك ماهيته وهو الكائن الذي لا يمكن إدراك طبيعته وهو المسئول عن معاناة البشر، ويصفون الرجل الذي يفقد ولده عرضًا أو حادثًا بأنه الرجل الذي نظر إليه الإله.

وهو في الأساطير والطقوس الأفريقية: الخالق، الذي يمنح الكائنات الحية الروح والجسد، وهو المسئول عن كل الظواهر الطبيعية وتغيير الفصول وهو اللانهاية، والأول والأحد والقوة التي يسجد لها جميع البشر، هو الإله الموجود في ذاته في نهج فلسفي، وهو والد الأطفال والأم العظيمة والصديق الوفي في نهج اجتماعي، وهو الرؤوف الرحيم في نهج رباني وهو الملاذ لكل محتاج في نهج إنساني.

هذا هو الخالق له الصفات الظاهرة كما أن له صفات خفية وله أيضًا صفات عينية فهو المحيط الكبير عند البعض وهو البركة الكبيرة عند آخرين وهو العنكبوت والحشرة الذكية كما يرمز إليه البعض.

وإذا نظرنا إلى صفات الخالق في الأساطير الأفريقية نجده الخالق المهيمن المبدئ المعيد وهو الحي القيوم والفرد الصمد القادر المقتدر الواحد الأحد الذي



لم يلد ولم يولد، نجد في ذلك اقتراب من الدين الإلهي وأن كل هذه الصفات قد أُخذت من مشكاة واحدة وأن الأفارقة لم يبتعدوا كثيرًا - رغم بدأيتهم وبيئتهم - عن النهج الرباني الذي أُرسل به آدم ونوح وكُتب في صحف موسى ومزامير داود وظهر في حكمة سليمان، وإن اختل الميزان وابتعد الإنسان عن منهج الإيمان الرباني، قبل «موسى وعيسى ومحمد» عليهم جميعًا الصلاة والسلام، ليعود الإنسان إلى حظيرة الإيمان ويبتعد عن منازل الشيطان.



عندما ولدت الاسطورة

بداية الخلق

أسطورة من نيجيريا: كانت الأرض مغمورة بالمياه ويكثر فيها المستنقعات والأهواء، وتغشاها السماء التي يسكنها «أوروم» إله السماء مع الآلهة أخرى، وإنهم جميعا ينزلون إلى الأرض بعض الوقت للهو والاستمتاع في الأهواء، فكانوا ينسجون خيوط العنكبوت ينزلون عليها ويعرجون، ولم يكن هناك بشر على وجه البسيطة فلم تكن هناك يابسة.

وذات يوم استدعى «أوروم» إله السماء كبير الآلهة «أوريشا نلا» وأبدى له رغبته في خلق يابسة على الأرض وبين المستنقعات، وتورد بعض الأساطير بأن الذي قام بهذه المهمة «إله الوحي» وأن إله السماء أعطى كبير الآلهة قوقعة حلزونية بها تراب وجهز له حمامة ودجاجة بخمسة أصابع.

نزل كبير الآلهة إلى الأرض وفوق المستنقعات رمى التراب وأخذت الدجاجة والحمامة ينبشان التراب ويبعثرانه حولهما، وظلا على هذه الحال حتى غطت اليابسة أجزاء كبيرة من المستنقعات، عاد كبير الآلهة «أوريشا نلا» ينبئ بما ظهر من يابسة، فأرسل الإله «أوروم» حرباء تلك التي تغير ألوانها كلما مرت على جزء من اليابسة فتعددت الألوان وتغيرت البيئات، وعادت الحرباء تبلغ الإله بأن الأرض واسعة شاسعة ولكنها غير صلدة، وبعد فترة وكانت اليابسة قد جف ماؤها واكتسبت صلابتها، عاد الإله وأرسل الحرباء لتتقصي الأمر، نزلت الحرباء تمشي ببطء واتسعت عيناها لتستطلع الأمر، ثم عادت إلى السماء وأبلغت الإله بأن اليابسة شاسعة وأصبحت صلدة وأطلق عليها اسم «إيف» وتعني واسع ثم

أضيف إليها كلمة آل وتعني بيت وصارت اليابسة «آل - إيف» البيت الواسع والتي نبتت منها كل الأحياء.

أصبحت «آل - ايف» الأرض المقدسة هي أرض قبائل «يوريا» واستغرق خلق الأرض ومن عليها أربعة أيام، وفي اليوم الخامس اتجه الجميع لحمد الإله وشكره وخصص هذا اليوم للعبادة، وتم تقسيم أيام الأسبوع كما تبين الأسطورة إلى أربعة أيام، وفي كل يوم يتم عبادة أحد الآلهة.

قام الإله «أول - أورون» بإرسال كبير الآلهة «أوريشا نلا» إلى اليابسة لزراعة الأشجار والنباتات والمزروعات لتوفير الغذاء للإنسان، ومنحه نواة شجرة جوز الهند لزراعتها، وتهيئة الأرض لاستقبال الإنسان.

هطلت الأمطار وارتوت الأشجار ونبتت الثمار وبينما كان كبير الآلهة منهمكًا في الزراعة والري وتهيئة الأرض وشق الأنهار، قام الإله «أول - أورون» بخلق الإنسان في السماء، وقد خلق الإله الأعظم الإنسان من الصلصال وصاغ تقاسيم وجهه وأعضاء جسده ونفخ فيه من روحه وجعل ذلك وقفًا عليه دون غيره فهو الخالق الأمر الذي أثار غيرة كبير الآلهة الذي أراد أن يعرف كيف ينفخ الخالق من روحه في تلك الأصنام التي يصنعها فيوهبها الحياة.

اختفى كبير الآلهة خلف قوالب الأصنام لمعرفة ما يحدث وكيف، وبعلم الخالق الذي عرف بوجود كبير الآلهة، فتمكن بقدرته على أن يجعله يروح في سُبات عميق، وعندما استيقظ وجد أن الخالق قد أتم عمله ونفخ الحياة في الأصنام التي صنعها، ولازال الخالق يقوم بصنع البشر رجالاً ونساء.

تلك هي الأسطورة الخلق عند قبائل يوريا.

أما قبائل «فون» والمجاورة لها وتسكن «داهومي» فإن لهم أسطورة أخرى مختلفة حول بدء الخلق.



أساطير من داهومي

التوأمان: عند قبائل «فون» يطلق على الإله الأعظم اسم «ماوو» ويتبعه عدة أرباب، وهو يحمل الطبيعتين الذكورة والأنوثة، وله شريك في الملك هو «ليزا» وعند هذه القبائل فإن «ماوو وليزا» توأمان.

وتذكر الأسطورة أن هذا التوأم قد ولد من أم بدائية هي «نانا بولوكو» وهي التي خلقت هذا الكون ثم اعتزلت وانعزلت واختلت بنفسها، وتشير الأسطورة بأن الإله «ماوو» وفي بعض الروايات يتصف بصفة الأنثى ويمثلونه بالقمر فهو إله الليل ويسكن في الغرب، أما الإله «ليزا» يمثلونه بالشمس وله صفات الذكورة ويسكن الشرق، ويعتقد أهل هذه القبائل بأن الإلهان «ماوو» و«ليزا» لم يكن لديهم أطفال عند بدء الخليقة، ولكنهما التقيا في حالتي الكسوف والخسوف، فتزاوجا وأنجبا جميع الآلهة الأخرى.

جاءت الآلهة الأخرى توائم وبلغوا سبعة واختلفت الروايات حول الولادات الأولى الناتجة من هذا التزاوج ويذكر أن آلهة الأرض وآلهة الرياح وآلهة الحديد هم الذين حظوا بالسبق، وفي إحدى الروايات أن الإلهين «ماوو» و«ليزا» أرادا تعمير الأرض فاستدعيا التوائم ليكون لكل منهم موقعه، فكانت الأرض من نصيب التوأم الأول ولتكون تحت سيطرتهما وقد مُنحا ما يحتاجان إليه من السماء لإعمار الأرض، أما التوأم الثاني فقد ظلا في السماء وبسطا نفوذهما على الرياح والبرق والرعد، وكلف التوأم الثالث «توأم الحديد» بالأشجار والغابات وتمهيد الأرض للزراعة ومد البشر بالعتاد والعدة من المعدات والأسلحة، أما



التوأم الرابع فبسط نفوذه على البحار والسيطرة على المياه والكائنات البحرية.

قام التوأم «ليزا» و«ماوو» بإرسال صيادين أخرين إلى الغابات لبسط نفوذهم على الطيور والحيوانات المتوحشة، وطلبا منهم الاعتناء بالأشجار والغابات.

ترك التوأم «ليزا» و«ماوو» الفراغ بين السماء والأرض مجال نفوذ التوائم الأخرى وقد تم تكليفهما بالإشراف على معدل عمر الكائنات البشرية، على أن يعودا إلى السماء كل فترة لإطلاعهما على ما يحدث على الأرض، وقد حرمت آلهة السماء على الآلهة الأخرى الظهور أمام البشر، وذلك سر الغموض الذي يتحدث به البشر عن الآلهة المجهولة الخفية.

لقد منح الخالق هذه الآلهة لغات خاصة لا يعرفها سوى الكهنة ووسطاء الآلهة والتي يتواصلون بها في تراتيلهم وطقوسهم الدينية، وقد خص الرسول الإلهي «ايشو لكبا» ملكه معرفة جميع اللغات، وهذا الرسول هو الوسيط بين الآلهة والبشر وجميع الكائنات الأخرى.

وفي معظم الطقوس الدينية نجد أنه تكثر الإشارة إلى «ماوو» بأنه الخالق أو الكائن الأعظم وينزوي خلفه الإله «ليزا» وقد تفوق «ماوو» وتفرد على باقي الآلهة لعظمته وقدرته وتختفي الإشارة إلى صفاته ذكرًا كان أم أنثى.

اليقطين

نوع من الثمار يشبه البطيخ أو القرع العسلي، قشرته الخارجية صلبة ومفيدة ويمكن استخدامها كإناء للماء وتستخدم النواة الداخلية «اللب» شخشيخة يلعب بها الأطفال وهي ثمرة مقدسة عند بعض القبائل الأفريقية، توضع في المعابد بعد شقها وتفريغها وتوضع بها القرابين الصغيرة وكثيرًا ما يتم تزيينها بالرسوم والنقوش لتصبح صورًا للإنسان أو الكائنات الأخرى.

وتعتقد قبائل الـ «فون» أن الكون يشبه القرع في شكله المستدير، أما الأفق فيقع عند نقطة التقاء الشفتين العلوية والسفلية لقرعه مشطورة نصفين لـ نقطة التقاء السماء مع البحر في الأفق، وهو المكان الأسمى الذي لا يصله الإنسان، ويسود الاعتقاد بأن اليابسة «الأرض» منبسطة وتطفو في الكون الفسيح، كما تطفو القرعة الصغيرة إذا ما وضعت في قرعة أكبر.

كما تعتقد هذه القبائل بأنه يوجد ماء داخل الكرة الأرضية، وأن الإنسان إذا حفر الأرض وجد الماء، وأن الشمس والقمر والكواكب والنجوم تسبح في الجزء العلوي من القرعة، أما الموت فمكانه غير معلوم، ويعتقد البعض أن مكانه فوق الأرض والبعض الأخر يعتقد أن الموت في الجزء الغير مرئي ومكانه تحت الأرض وهو مأهول بالسكان الذين ينتقلون إليه بعد الوفاة.

وتذكر الأسطورة أنه عندما قام الإله الأعظم بخلق الكائنات كان اهتمامه بأن يجعل الأرض مترابطة وقام بتثبيت حدود المياه وإحكام القرعة، ولديهم اعتقاد بأنه خلق أفعى قامت بالالتفاف حول الأرض لجعلها مترابطة وصلدة، وأنها أي «الأفعى» تحمل الإله الأعظم من مكان إلى آخر ليقيم العدل يباشر أمور العباد ويحافظ على نظام الكون، وأن الأفعى بقدرتها الهائلة وحركتها الدائبة تحافظ على تثبيت كل شيء في مكانه.

الأفعى

مازالت الأفعى مثار حيرة وجدل وتستقطب جزءا من تفكير الإنسان ومنذ بدء الخليقة، فهي الناعمة المتسللة والتي تبث الرعب في القلوب، قدسها الفراعنة وخلدتها العقائد في كل مكان على الأرض ورمزت إليها بالشر والإيذاء، فهي التي وسوست لآدم وحواء فعصوا الإله وأكلا من الشجرة فخرج آدم وحواء وذريتهم من الجنة وذلك في كثير من الشرائع السماوية.

وهي عند البابليين سكان وادي الرافدين التي سرقت النبات الذي يهب الشباب والصبا والخلود والتي جاء بها جلجامش بعد رحلة صعبة إلى رجل الطوفان.

والأفعى غامضة مخيفة خبيثة وتخشاها كل الكائنات، وتعيش حياة العزلة، وترمز إلى القوة والجرأة والخبث والدهاء، وتبدو وهي ملتفة حول نفسها أشبه بالدائرة التي ليس لها بداية ولا نهاية فأصبحت رمزًا للخلود، وقد ظهرت على جدران المعابد في قارات العالم القديم والجديد وما خلت منها بقعة على وجه الأرض وفي أفريقيا لها مكانتها فحفرت على الجدران ونقشت على العاج والمعادن.

وتعتقد قبائل الـ «فون» أن الأفعى هي التي ساعدت على ترابط اليابسة منذ بدء الخليقة وذلك من خلال حركتها الرشيقة حول الكرة الأرضية، فجعلت الإنسان مستقرًا على اليابسة، ويعتقدون أن الأفعى تمد الإنسان بأسباب الحياة، وأن حراشيف الأفعى هي التي تعمل على تماسك الأرض، ويقولون أن هناك ثلاث آلاف وخمسمائة حرشفة فوق الأرض ومثلهم في باطنها.

وهناك رواية أفريقية مفادها أن الحية قد أقامت أربعة أعمدة في أركان الأرض لرفع وتشييد السماء والتفت حولها لتدعمها وتعمل على تماسكها.

وللأفعى أثر كبير في الثقافة الأفريقية، فهي تمثل الحركة الدائبة المتدفقة، فهي متوافقة على حركة الرياح وطبيعة الأرض والضياء وتعيش في كل البيئات فهي في الأنهار والبحار والمحيطات والبرك والمستنقعات الطينية منها والأسنة، وهي في الغابات والمراعي وبين الزراعات، وتعيش في الصحراء الجرداء وفوق الجبال والكهوف، لا يثنيها حر ولا يميتها قر، وهي في أعالي النهر وعند المصب وفي الروافد والجداول وفي كل مكان في البر والبحر.

لذا فهي في بعض الروايات تحمل الخالق «الإله الأعظم» في فمها أينما ذهبت، وأن الجبال الشاهقة قد تكونت من غائط الأفعى وهي بذلك «الجبال» تحوي الكثير من الكنوز والمعادن الثمينة، وتعتقد بعض القبائل أن الخالق عندما انتهى من خلق العالم خشي الجبال أن تميد باليابسة فتغرقها فأمر الحية أن تلتف حول الأرض وأن تضع ذنبها في فمها وتحافظ على ثبات الأرض وتمنع غرقها ففعلت.

وفي بعض الروايات أن الإله الأعظم طلب من فصيلة القرود الحمراء التي تعيش في البحار أن تصنع قضبانًا من الحديد ليتناولها عندما يجوع، وعندما تتأخر عن إعداد وجبة الإله فإن الأفعى تفرز سمومها فتحدث الزلازل وتضطر لأكل جزء من ذنبها لمد الإله بما يحتاج، وعندما تنتهي الأفعى من أكل جسمها تكون نهاية العالم وهي آتية لا محالة وعندها ستنزلق الأرض إلى قاع المحيط[1].

ظهور الأرباب

العاصفة

انتشرت في أفريقيا الآلهة الموكلة بكل ظاهرة طبيعية ذات غموض فلا يعرف مصدرها ووقوعها شديد على الإنسان فلا يقوى عليها والغابات الاستوائية يصاحب سقوط الأمطار عدة ظواهر أخرى كالرعد والبرق ولكن أكثر خطر على الإنسان هي العواصف الرعدية والتي تهلك الحرث والنسل وتدمر القرى وتبيد المراعي وتترك الإنسان يعيش في العراء لا حول له ولا قوة، الأمر الذي حدا الإنسان أن يوجد إلهًا للعاصفة يتضرع إليه ويبتغي إليه الوسيلة.

عند قبائل «يوريا» التي تسكن نيجيريا إله العاصفة «شانغو» ويسود الاعتقاد

(١) داهومي الشمس والقمر ص ٩٢ .



عند هذه القبائل أن «شانغو» كان رجلاً وهو الملك الرابع لتلك القبائل، وأن مملكته كانت لبلاد مجاورة، وقد كان حاكما قويًا وطبيبًا ماهرًا ولكنه كان حاكمًا مستبدًا، ويملك قوة خارقة، وكان إذا ما نفث النار من فمه، هلك من أمامه.

كان ضمن حاشيته وزيران ناقمان عليه لسوء خلقه وطغيانه وشراسته، فلما عرف بما يضمراه له وحنقهم عليه دفعهما للاقتتال حتى يفني أحدهما الآخر فيسهل عليه قيادته، ونزل الاثنان إلى ساحة المصارعة وتمكن أحدهما من الآخر فقتله.

لم يكن الوزير المنتصر سهلاً فأعلن الحرب على الملك «شانغو» الذي لم يتمكن من الصمود أمام قوة الوزير فهرب إلى الأدغال تاركًا ملكه وعرشه واصطحب زوجاته الثلاثة وبعض أتباعه المخلصين وساح في البراري والوديان.

طال زمن هروبه وضاقت به الدنيا وقهره الذل ويئس من صلاح حاله فأقدم على الانتحار وشنق نفسه في مكان يطلق عليه «كوسو» ولكن أتباعه ظلوا مصاحبين إحدى زوجاته وحافظوا على ولائهم لملكهم.

انتشر خبر وفاة الملك «شانغو» الذي شنق نفسه ففرح أعداؤه وسخروا من أولئك الأتباع، وأقاموا الاحتفالات ومدوا الموائد وارتفعت الزينات.

حزن أتباع الملك وصمموا على الانتقام من أعدائه الذين شمتوا في وفاته وفرحوا لرحيله عن عالمهم، فذهبوا إلى ساحر يمكنهم من أولئك الأعداء وأن يخرب دورهم ويحرق أبدانهم ويبيد زرعهم.

وتوضح الأسطورة أن الساحر جعل السماء ترجم قراهم بشواظ من نار حتى أحالتها إلى جحيم، وفي بعض الروايات أن أتباع الملك قد عبئوا القرع المقدس بالبارود وقذفوا به أسطح بيوت أعداء الملك وتصادف هبوب عاصفة هوجاء



فامتدت النيران إلى بيوت القرية.

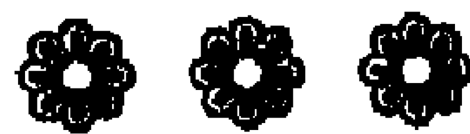
ساد الهلع والرعب بين أهالي القرية الذين انحصروا بين صخب العاصفة وجحيم النيران، فما كان من أتباع الملك المخلوع المشنوق إلا أنهم أعلنوا أن الملك لم يشنق ولم يمت وأنه أثار العاصفة وأضرم النيران لغضبه على أهالي القرية، وسيفعل ذاك كلما ثار غضبه وزاد نقمه، وعلى أهالي القرية إذا أرادوا اتقاء هذه النواكب، فعليهم أن يقيموا معبدًا للإله «شانغو» إله العواصف يتبتلوا فيه ويقدموا له القرابين لإرضائه.

بني المعبد وتحول الشيطان المريد إلى إله يعبد في الأرض يسجد له وأصبح له مريدين يتوافدون عليه من كل حدب وصوب.

وهناك رواية أخرى يرويها سدنة المعبد وكهنته فيقولون:

«إن الملك «شانغو» سخط على رعيته وضاق بهم لسوء خلقهم، فامتطى جواده وخرج يتجول في الغابة، وعندما طال غيابه خرج أتباعه المخلصون للبحث عنه واسترضائه للعودة، ولكنهم لم يجدوا سوى حصانه، وسمعوا صوتًا قادمًا من السماء ينبئهم بأن الملك «شانغو» لم يشنق نفسه ولم يقتل وإنما صعد إلى السماء، وأنه عرج إليها بواسطة سلسلة وإنه سيحكم السماء بأن يتسلط على الرعد والعواصف.

وتشبه قبائل «يوربا» صوت الرعد بخوار الكبش، ولذا فإن الكباش صادفت عندهم مقدسة ويحرم صيدها أو ذبحها، فصارت الكباش تتجول في الأسواق دون خوف. كأبقار الهند وفيرانها.





خلق الإنسان
في الأساطير الأفريقية

خلق الإنسان بميلاد وعجز حارت معه العقول وتضاربت حوله الآراء واختلفت فيه الرؤى، وانتشرت الأساطير وتواردت الحكايات والقصص حتى جاء الإسلام ليبين هذا الميلاد وقصة خلقه وبتفاصيل أكدتها الأبحاث الدقيقة والحديثة وبعد أكثر من أربعة عشر قرنًا.

وفي الأساطير الأفريقية:

لكل شعب وأمة تقاليدها وموروثها الثقافي الذي تتوارده الأجيال من السلف.. ومنها بداية خلق الإنسان.

عيدان القصب:

من أشهر قبائل أفريقيا وأكثرها شيوعًا وامتدادًا قبائل الزولو التي تسكن جنوب أفريقيا وفيها يسود الاعتقاد أن أول إنسان «ذكر وأنثى» انبعث من القصب، ومثل هذا الاعتقاد في قبيلة «تونغا» التي تسكن موزمبيق، وقد ارتبط هذا الاعتقاد بالعادات والتقاليد المتوارثة حيث كانت هذه الشعوب تضع قصبًا في الفناء الأمامي لكل بيت يولد فيه طفل، وفي غرب أفريقيا كانت قبائل «هيروبو» تعتقد أن الإنسان الأول انبعث من شجرة وكذلك تم بعث الماشية باستثناء الكبش والماعز اللتين بعثا مع الأقزام من فجوة في الأرض.

أما قبائل أشانتي التي تقطن غانا فلدى شعوبها اعتقاد بأن الإنسان انبعث من فجوة في الأرض بعد أن تمكنت دودة من شق نفق عبر باطن الأرض، وفي يوم الإثنين الذي يعتبر يومًا مقدسًا عند بعض قبائل أفريقيا، في هذا اليوم بعث من هذا النفق سبعة رجال ونسوة، وكلب وفهد - والفهد مقدس عند بعض قبائل أفريقيا- وعندما نظر الرجال والنساء فيما حولهم على ظهر الأرض، وقد بدا لهم ما يرونه غريبًا.

لم يكن «أدو أوغيني» على حالهم ولم يفزعه ما يرى وقد بدت عليه علامات الزعامة، وفي اليوم الثاني والموافق الثلاثاء، عمل «أدو أوغيني» على تهدئة أصحابه بأن وضع يده على رأس كل منهم فاطمأنت قلوبهم، وهدأت نفوسهم وفي يوم الأربعاء وكان تحدد لكل منهم عمل يقوم به، إلا أن زعيمهم «أدو أوغيني» سقطت عليه إحدى الأشجار فلقي حتفه، وكان الكلب قد كلف بإحضار النار من الغابة وعندما أتى بها قام الرجال والنساء بنحره وأنضجوه على النار التي جلبها وتناولوه وليمة شهية.

نزل الإله في رحلة حول الكون وجاء إلى الأرض فالتقى بأحد هؤلاء الرجال الذين انبعثوا من باطن الأرض، فاختار أحدهم ليكون الناطق بلسانه، والمتكلم باسمه وأصبح هذا الرجل ظل الإله على الأرض وهو السلف الأول الذي أقيمت له المعابد وتقدم له القرابين وتعقد له الطقوس التي تقام له كل عام تكريمًا للسلف الأول.

الإنسان المخلوق الأعظم:

في نيجريا عند قبائل «بورويا» يسود الاعتقاد بأن الإنسان الأول خلق في السماء وهبط إلى الأرض بمساعدة الإله الأعظم، وباشر حياته على الأرض وأقام المجتمعات، ودعا إلى السمو الخلقي والإخلاص في العبادة والسلام، وصار

هو السلف الذي تقدم له فروض الولاء والإخلاص وتكن قبائل «بورويا» له الاحترام باعتباره أول بشر هبط على الأرض وبشر بالأخلاق وأوجد نظام العائلة والقبيلة، وسن القوانين المنظمة لحياة الإنسان، تلك القوانين التي تعاقب من يسيء إلى أخيه والمخطئ في حق المجتمع، وتقدس هذه القبائل الإله الأعظم الذي خلق السلف في أحسن صورة.

وفي ذات الأسطورة وعند قبائل البورويا، أن بعض الآلهة هبطت من السماء إلى الأرض ، نظر أحد هذه الآلهة إلى الإنسان الذي خلقه الإله الأعظم بازدراء واستنكار، فما كان من الإنسان إلا أن ناصب هذا الإله العداء.

قام الإنسان بتسميم ابنة هذا الإله فأصابها المرض والسقم، وحار هذا الإله في علاج ابنته وفشل في أن يشفيها، فما كان منه إلا أن لجأ إلى الإنسان الذي برع في الطب ليطلب منه المساعدة.

رفض الإنسان «السلف» المساعدة في بادئ الأمر، وأمام توسلات الإله المكلوم في ابنته ، اشترط عليه الإنسان أن يغير نظرته المستعلية والمتكبرة نحوه بعد أن ظهر تفوقه عليه، فرضخ الإله وتواضع للإنسان، واعترف بعظمة الإله الأعظم وإبداعه في خلق الإنسان الذي ساعده في شفاء ابنته.

أما خلق الإنسان عند قبائل «شلك» التي موطنها أعالي النيل في السودان، فإن الاعتقاد السائد أن الإنسان كان يعيش في أرض الإله في السماء (الجنة)، ولكن عصى الإله وتناول فاكهة محرمة عليه فمرض وغضب عليه الإله وطرده من أرضه، وبعث من الأرض التي نعيش عليها، وهذا الرواية سائدة بين معظم القبائل، وفي أرجاء كثيرة من القارة في وسط البيئات الوثنية، رغم أن هذه الرواية تشبه أو قريبًا من الروايات التي جاءت بالكتب المقدسة للأديان السماوية (اليهودية - المسيحية - الإسلام).

وعند قبائل «شلك» أن الإنسان في قديم الزمان كان يمكنه أن يعرج إلى السماء وكان هناك طريق إلى ذلك، غير أن الإنسان ثقل وزنه بحيث أصبح غير قادر على سلوك الطريق المؤدي إلى السماء.

وهناك رويات أخرى منها: أن الإنسان في قديم الزمان لم يكن يعرف الموت، وإنه (الإنسان) كان يعيش مع الحيوان في وئام تام، وعندما يهرم الإنسان ويشيخ، يسمح للحيوان أن يطأه ليسترجع شبابه وحيويته من جديد.

وهناك عند نفس القبائل «شلك» أسطورة تقول إن مؤسس القبيلة وبيت «شلك» هو الملك «نيكانغ» ابن الإنسان الذي هبط من السماء وإنه تحول إلى مخلوق على هيئة عجل، وقد اقترن هذا المخلوق بمخلوق آخر مائي على هيئة تمساح فكانت ذريتهم الإنسان ، ولذا فإن بعض القبائل التي تؤمن بالسلف والأساطير تقوم بتقديم القرابين للتمساح وتنظر إليه على أنه راعى للولادة وحامي للأطفال.

أما قبائل «الدنكا» وهي من قبائل جنوب السودان تعتقد بأن الإله خلق الإنسان من طين، وقد خلقه ذكرًا وأنثى ووضعهما في إناء وظل حجمهما صغيرًا إلى أن فُتح الإناء فأصبحا على حجمهما الذي نعرف، وأطلق على الرجل اسم «كارانج» وعلى المرأة اسم «أبوك»، وقد هيأ لهما الإله سبل الحياة ووهب لهم حبة دخن واحدة قوتًا لهما كل يوم، لم تقنع «أبوك» بما وهبها الله فأخذت المزيد من الدخن، فغضب الإله وأبعدهم عنه وابتعد عنهم وحل بهم الشقاء.

ويمثل «كارانج» القوة التي اكتسبها الإنسان هبة من الإله الأعظم وإنه السلف الذي يخلف الإله في الأرض وزعماء القبائل هم الخلف لذلك السلف ويرتدون جلد فهد ويتحلون بالأساور والخواتم التي تمنحها إليهم الأمهات.

ويرمز عند قبائل الدنكا للرجل «كارانج» بالأفعى ذات اللونين الأحمر والبيض



وجميع الحيوانات التي يغطي لون بدنها الألوان : الأحمر والأبيض والبني، وكذلك ألوان الشمس وهناك شجرة ثمرها لونه أصفر يرمز لها بـ «كارانج» أما المرأة البدينة الجشعة (أبوك) فيرمز لها بالأفعى الصغيرة الخطيرة ، وتعتبر «أبوك» راعية المرأة ونسلها وزراعة الحقول ونتاجها.

الاختبار سر الاختيار:

في أوغندا موطن قبائل «بوغندا» فإنها تعتقد أن الإنسان الأول خلق على الأرض وكان يدعى «كنتو» وهو السلف، وعاش على الأرض وحيدًا مع بقرة واحدة وعاش على حليبها، ثم هبطت من السماء امرأة يطلق عليها «نامبي» وعندما وقعت عيناها على «كنتو» وقعت في حبه وأرادت أن تقترن به ولكن كان عليها أن تعود إلى والدها في السماء «غولو» ليأذن لها ويوافق إلا أن إله السماء وأهلها عارضوا هذا القران لاحتقارهم لذلك المخلوق الذي لا يملك إلا بقرة واحدة يقتات عليها.

وأمام إصرار «نامبي» ورغبتها الملحة قرر الوالد اختيار هذا المخلوق الضعيف، فحرمه من البقرة لم يحنق «كنتو» على اختفاء مصدر قوته واكتفى بأن يقتات من خشاش الأرض وأورق الشجر.

عرفت «نامبي» بأن أباها سرق البقرة واستودتعها في السماء، فنزلت إلى الأرض وأخبرت «كنتو» بأن بقرته في السماء وعليه أن يصعد ويسترجعها.

عرج كنتو إلى السماء وهناك وجد كثيرًا من الأبقار والخراف والطيور وغير ذلك من الأجناس والحيوانات.

شاهد أشقاء «نامبي» «كنتو» وقد صعد إلى السماء فأسرعوا وأبلغوا والدهم «غولو» فقرر اختباره، فأمر بطهي طعام يكفي مائة إنسان، وأحضر «كنتو» وطلب منه أن يتناول الطعام عن آخره وإلا قتله، جلس كنتو يتناول الطعام وهو يعلم بأنه

لن يقدر على الإجهاز على كل هذه الوليمة، فأخذ يفكر كيف يتخلص من بقية الطعام وينجو من هذه المحنة.

اكتشف «كنتو» حفرة عميقة وغافل من حوله وألقى بها كل ما تبقى منه ونادى لحملة الأواني فارغة، ذهل «غولو» وقرر أن يخضعه لاختبار آخر فأعطى «كنتو» فأسًا وطلب منه أن يكسر به صخرة صلدة قوية.

حمل «كنتو» الفأس ولف حول الصخرة يبحث عن موطن ضعف فيها فوجد فيها صدعًا، فضرب عليه بالفأس وكسر الصخرة وعاد إلى غولو يحمل الصخرة وقد تحولت إلى فتات، ومرة ثانية يبهر «غولو» بما عليه «كنتو» من دهاء وقوة.

لم يكتف «غولو» وقرر أن يعيد اختبار ذلك المخلوق العجيب، فطلب منه أن يحضر له إناء من الماء الندي، دون إحضاره من الأنهار أو الجداول.

حمل «كنتو» الإناء وأخذ يفكر كيف يأتي بالماء من غير الجداول والأنهار، هل ينتظر هطول الأمطار؟! وبعد تفكير توجه إلى أحد الحقول ووضع الإناء أسفل إحدى الأشجار الوارفة كثيرة الفروع ، كثيفة الأورق، ومع بزوغ الفجر وهبوب النسيم المحمل بالندى وتكاثفه على أورق الشجر امتلأ الإناء بالماء، فحمله وذهب به الإله «غولو» الذي أعجب بذلك الفتى وفطنته وذكائه وقوته، فوافق على اقتران ابنته به وسمح له باصطحاب بقرته إلى الأرض إذا تمكن من معرفتها من بين البقرات الشبيهة.

بات «كنتو» يفكر، البقر كل متشابه ويصعب عليه معرفة بقرته وفي أثناء استغراقه في التفكير جاءته نحلة وأخبرته بأن البقرة التي ستحط على إحدى قرنيها هي بقرته.

وفي الصباح جاء «غولو» ومعه بعض الآلهة والحاشية وابنته، وقطيع كبير من البقر شديد الشبه ببقرته وطلب من «كنتو» يتخير بقرته، نظر الفتى إلى البقر

وتحير أمره وأخذ يبحث عن النحلة التي جاءته بالأمس فلم يجدها – وذهب بنظره إلى فتاته فوجد نظرها قد تعلق بشجرة فنظر إلى الشجرة فوجد النحلة تحوم حول أغصانها، ولم تقترب من القطيع فعرف أن بقرته ليست بهذا القطيع، فأخبر «كنتو» «غولو» بأن بقرته ليست بهذا القطيع فاستغرب «غولو» وأمر بإحضار قطيع آخر يشبه الأول، ولم تغادر النحلة مكانها فوق الشجرة، فلم يقترب «كنتو» من القطيع فزاد استغراب «غولو» ونظر فيمن حوله كيف عرف «كنتو» أن بقرته ليست وسط هذا القطيع، وهو لم يقترب منه وأمر بإحضار قطيع ثالث مختلف الأحجام ولكن بدن كل القطيع يحمل لونًا مشابهًا للون بقرته.

انتظر «كنتو» فترة ونظر إلى النحلة فوجدها تحلق بين القطيع حتى حطت على قرن لبقرة كبيرة عرفها «كنتو» ثم طارت وحلقت وحطت على قرن لثلاث بقرات صغار فأشار «كنتو» إلى البقرة الكبيرة بأنها بقرته وأن الثلاث بقرات الصغيرات هي نتاجها في الفترة التي خلقها في السماء.

لم يكن أمام «غولو» ومن حوله الذين بهروا بالفتى إلا أن يباركوا هذا الزواج، فأُقيمت الاحتفالات وباركهم الإله الأعظم وبعثهم إلى الأرض ليعمروها بعد أن حملهم بالخيرات وبعث كل الكائنات.

المعشوقة:

هناك في ملاوي أسطورة عن بدء خلق الإنسان تروي أن الإله الأعظم خلق رجلين وامرأة، وعاش الثلاثة على الأرض متفرقين لا يدري أحدهم بالآخر، وقد عرف أحد الرجلين الزراعة فانهمك في عمله إلا أنه اشتاق إلى أنيس يذهب وحدته ويبدد وحشته، فنحت تمثال من الخشب على هيئته وزاد عليه ببعض مظاهر الأنوثة التي تعكس رغبته، وأصبح لا يفارقه التمثال ولا يبتعد عنه فإذا كان في البيت وضعه بجانبه وإذا ذهب إلى الحقل جعله أمامه.

وذات يوم مر الرجل الآخر بالحقل فوجد التمثال الخشبي فبهره ولكنه استاء من مظاهر الفتنة البادية عليه فأخذ يطفق على التمثال من أوراق الشجر والحلي والمجوهرات ومما يملك، ليواري سوءتها ويداري مفاتنها وتركها وذهب إلى حال سبيله، وبعد مدة مرت المرأة بالحقل فرأت التمثال في أبهى زينته فأعجبت به، فركمت تبتهل إلى الإله الأعظم أن يهب التمثال الحياة، فاشترط عليها أن تحمله بزينته وتذهب به إلى سكنها وتبيت ليلتها مع التمثال في فراشها ففعلت وظلت تحتضن التمثال طوال الليل، ومع بزوغ الفجر وظهور الشمس تحول التمثال إلى فتاة ذات جمال باهر.

عاد رجل الحقل إلى حقله فلم يجد التمثال فأخذ يبحث عنه، وأثناء تجواله صادف الرجل الآخر فسأله عن التمثال فقص عليه ما حدث وأنه ستر العورة وزين التمثال ولم يراه بعد ذلك فذهب الاثنان يبحثان عن التمثال في أرجاء الأرض.

وبعد لأي وضنى وطول بحث عثر الرجلان على المرأة ووجدا التمثال وقد أصبح فتاة رائعة الجمال فأثارت فيهم غرائز الرجولة وطالب كل منهم بالفتاة، ورفضت المرأة إعطاءهم إياها.

قال الأول: لقد نحتها وأبدعت في رسمها فهي ملكي، وقال الآخر: لقد زينتها وجعلتها في أبهى صوره، وقالت المرأة: أنا أمها وإن لم أكن لما وهبها الإله الأعظم سر الحياة فأنا بها أولى. واختلف الثلاثة فيمن هو صاحب الحق في الولاية عليها وامتلاكها.

احتكم الثلاثة إلى الإله الأعظم الذي قال: الرجل الأول هو أبو الفتاة ووالدها فهو الذي نحتها والمرأة هي أمها التي احتضنتها وأصبحت جزء منها، أما الرجل الآخر فهو الذي سترها واهتم بها وراعى قداستها فهو بها أولى.

قبل الثلاثة حكم الإله الأعظم فاقترن الرجل الثاني بالفتاة الجميلة، واقترن الرجل الأول بالمرأة، ومن هذين الزوجين جاء البشر ليعمر الكون.

ومنذ ذلك الحين والرجل هو ستر المرأة والمكلف بها يرعاها ويعتني بها، يحميها ويدافع عنها ويأدبها ويزينها.

القربان:

وهناك أسطورة أخرى عند القبائل المجاورة تروي أن الإله الأعظم خلق الخلق وكان هناك امرأة وكلب وبقرة يعيشون متجاورين، وكان للمرأة طفل جميل هو لها زينة الحياة ومنية الفؤاد، ويومًا ما نظر الإله للطفل وأراده خادمًا لعرشه، فأرسل إليه بمرض عضال لا شفاء منه، حملت الأم الطفل وسعت به بين السحرة والأطباء فلم يجدوا له دواء واشتد المرض بالطفل حتى أشرف على الموت.

كانت المرأة تحمل ابنها بالنهار وتطوف به البلاد وتبيت ليلها ساهرة تناوله العشب والأدواء، وذات ليلة أخذتها غفوة وسنة من النوم فرأت الإله قادم عليها وبيده سكين يومض وكأنه البرق القاصف ويوشك أن يطعنها به.

أسرعت المرأة الحائلة الفازعة وركعت للإله ألا يميتها وأن يتركها ترى وحيدها حتى يبرأ من مرضه ويشفى من سقمه، فأخبرها الإله أنه سيتركها ولكن حياة الطفل له إلا إذا قدمت له قربان.

أفاقت المرأة وهي على فزعها وهي لا تدري أي قربان تقدمه وهي لا تملك من حطام الدنيا شيئًا، فأسرعت إلى جارتها الكلبة، وقصت عليها ما رأته في حلمها وطلب الإله قربان.

عرفت الكلبة مرام الأم المكلومة في طفلها وأنها تطلب من الكلبة أن تقدم إليها جروًا من أبنائها لتقدمه قربانًا للآلهة، فنبحت نبحًا أفزع المرأة وجعلها

تسرع بعيدًا عن الكلبة وجرواها.

راحت المرأة تجر ساقيها وذهبت إلى البقرة تبث لها حالها وتشكي همومها وتروي حلمها وتنظر ردها

رأفت البقرة بحال المرأة وأشفقت عليها ونظرت في عجولها وكانت اثنين فقط فاختارت أصغرهما وأضعفهما وقدمته إليها ليكون لطفلها عوضًا وقربانًا للآلهة.

أسرعت المرأة تجر خلفها العجل السقيم وتكاد تحمله إلى معبد الإله الأعظم وقدمته ، نظر كهنة المعقد إلى العجل وهموا أن يرفضوه، ونظر الإله للأم الملتاعة على طفلها، فبعث الحركة في طفلها الساكن بجوارها فقام من مرقده وكان في ذلك إشارة إلى قبوله القربان.

شُفي الطفل واسترد عافيته وارتاحت الأم من همومها وفرحت بصغيرها وذهبت إلى البقرة تشكر صنيعها، ومنذ ذلك الحين والبقرة تحظى بحب ورعاية الإنسان في حين ظل الكلب طريدًا وخادمًا مطيعًا له، رغم قسوته عليه.

لمن تشرق الشمس؟!

عند قبائل لويا يطلق على الإنسان «ماوامبو» وعندما خلق الإله الشمس سألت الإله لمن تشرق الشمس؟! فخلق الإله السلف «ماوامبو» وأرسل به إلى الأرض ليسكنها، شعر «ماوامبو» بالوحدة فتضرع للإله أن يبعث له بمن يؤنس وحدته فخلق الإله «سيلا» المرأة، فاقترن بها، ولكنهما كان يعيشان في الخلاء لا زرع ولا ماء فتضرعا إلى الإله أن يرسل ما يروي ظمأهما ويشبع جوعهما، فأرسل الإله المطر مدرارًا فصارت جداول وأنهارًا وامتلأت الأرض زروعًا وأشجارًا.

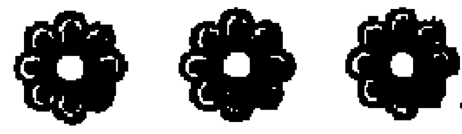
لم يقنع الإنسان بما حصل عليه فطلب من الإله أن ينوع له الغذاء، فخلق الله الحيوانات ورغم أنها غذاء ولكنها ناصبته العداء، وحذر على الإنسان صيد

الزواحف وتناولها وبعض الكواسر التي تقتات على جيفة الحيوانات مثل النسور والصقور.

كثرت الحيوانات وتناسلت وملأت الأرض وتكاثرت ونزل الإله ليرى خلقه وبديع صنعه فزعت الحيوانات منه وهربت، ومن بين الحيوانات كان هناك قطيع من البقر هرب خوفًا من الإله مخلفًا زوجًا من البقر ذكرًا وأنثى.

حمل الإله الذكر والأنثى وأهداهما إلى «ماوامبو» و«سيلا» لرعايتهما والانتفاع به وبعد أن كان الماء والزرع وجد الإنسان الضرع وانتفع باللحم واللبن وسارت الجواميس والأبقار ساعد الإنسان في الحياة، ولهؤلاء وهؤلاء أشرقت الشمس ليعمر الكون وتحيا الكائنات.

وتذكر الأسطورة أن السلف «ماوامبو» و«سيلا» كانا يتخذان كوخًا شيدوه فوق الأشجار خوفًا من ضواري الحيوانات ولذا فإن بعض القبائل تأخذ من الشجر بيوتًا أو يضعون بيوتهم ويشيدونها على أعمدة خشبية اتقاء شر الزواحف والحيوانات.





أساطير من سيراليون

تعددت الأساطير حول هذا الصعود والذي يرمز إلى خروج آدم أو «الإنسان الأول» عن التبعية ونزوحه إلى الشرور، ومن تلك الأساطير المنتشرة بين قبائل «ميند» التي تسكن سيراليون، أن الإله الأعظم بعد أن خلق السماء والأرض والحيوانات، خلق الإنسان (الرجل والمرأة) ووفر لهم الحياة الرغدة والمعيشة الهنية في أرض هي الجنة، فما كانا يريدان شيئًا إلا ولبى الإله الأعظم طلبهما، ومرت السنون وازدادت طلبات الإنسان واحتياجاته وازدادت تلبية الإله فما كان يرد لهما طلبًا، وكلما كانت التلبية زاد جشع الإنسان إلى أن ضج الإله من إلحاح الإنسان وزيادة طلباته فقرر الإله الابتعاد عن ذلك الإنسان الجشع الطماع.

ذات صباح أفاق الإنسان من نومه لم يجد الإله الحامي البار، وكان الإله قد ترك مستقره ورحل إلى الملأ الأعلى.

نظر الإنسان إلى السماء فوجد الإله وقد انتشر وغشي الكون فعرف عظمته وقدرته وخجل من نفسه وطمعها وجشعها.

حذر الإله الإنسان من انسياقه وراء أهوائه ورغباته التي لن تنتهي وطلب منه عدم إلحاق الأذى بغيره وأن يتعايش بنو الإنسان في سلام ومحبة، وأن خير الأرض كافٍ لكل البشر، إذا ساد العدل وحل الوئام.

ويعلمه بطبيعة الإنسان ونفسه الدونية وميله إلى الخطيئة فقد خلق له الطيور ليقدمها قربانًا وتكفيرًا عن خطاياه، وما زال الإنسان في أفريقيا يذبح الطيور يقدمها لمعبوده قربانًا ليغفر له خطاياه.

ومنذ بداية الخلق لم يصل الإنسان إلى الآلهة، ولكنه كان يلجأ عند الخطوب والملمات أو عند الحاجة والاعتراض على قدره، لذا فكر الإله في إيجاد وسيلة تجعل الإنسان يقبل بما قدره عليه الإله، فخلق جبلاً وجعله يتكلم بألسن البشر، ووهب الإنسان الحلم والرؤيا أثناء نومه.

ويروى أنه في إحدى الأيام راود رجل مسن حلم بأن جبلاً على هيئة وشبه نفس الرجل ويتجه إليه ويدعوه بصديقي، وطلب منه إبلاغ زعيم القبيلة بأن يجمع أفراد قبيلته ويدعوهم إلى حمل وجبات الطعام إلى الجبل.

سأل الرجل الحالم الجبل: من أين أتيت؟

أجاب الرجل الجبل: جئت من الجبل الذي خلفي!، وعندما نظر الرجل إلى الجبل اختفى الرجل، وعندما عاد لينظر إلى الجبل كان قد اختفى وظهر الرجل مرة أخرى، وعندما ينظر إلى الجبل كان قد اختفى وظهر الرجل مرة أخرى.

فزع الرجل وأسرع إلى زعيم القبيلة يخبره بما رأى في الحلم، وتناقل الحلم بين أفراد القبيلة التي أجمعت على ضرورة حمل وجبات الطعام إلى الجبل، وطلبوا من الرجل صاحب الحلم أن يذهب إلى الجبل وأن يطلب منه المساعدة في صيد الحيوانات حتى يتمكنوا من تقديم القرابين لذات الجبل.

جمع الرجل أولاده العشرين وتوجهوا إلى الجبل، وفي الطريق قام كل واحد منهم بحمل حجر صغير، وعند سفح الجبل نادى الرجل: أيها الجبل العظيم إذا كنت بحاجة إلى وجبات من الطعام فتلك بعض الحجارة وعليك أن تحصيها لتعرف عدد الحيوانات التي ستحتاج إليها وقفل الرجل وأبناؤه عائدين إلى الديار.

في صباح اليوم التالي توجه الرجل ومعه أبناؤه إلى الجبل، فوجدوا الحجارة وقد رتبت فكانت تسعة أحجار في مواجهة الجبل مما يعني أن تسعة حيوانات

ستهرب، وعشرة أحجار في مواجهة الرجل مما يعني أن عشرة حيوانات ستلاقي حتفها، ووجد الرجل إحدى الحجارة موجودة في الوسط مما يعني ضرورة الاحتفاظ بإحدى الحيوانات حية لتقدم قربانًا للجبل من قبل الرجل.

وكان أهل القرية قد انشغلوا بالصيد وجمع الأرز والملح والدهن لإعداد وجبة طعام للجبل، وحملوا ما أعدوه من طعام إلى الجبل وكانت من الأرز ولحم إحدى الحيوانات، ووضعوهم على أوراق الأشجار عند سفح الجبل، وقام الرجل صاحب الحلم بالتقاط ثمرة من شجرة الكولا وقذف بها إلى أعلى فانشطرت نصفين دلالة على رضا الجبل عن أهل القرية، وأراد الرجل أن يعرف بأن الجبل قد قبل وجبة الطعام، فقام بقذف شطري الثمرة إلى أعلى، وعندما سقطتا على الأرض كان الجزء الداخلي من الثمرة إلى أعلى، وكان ذلك دليلاً على قبول الوجبة وكرر الرجل ذلك أربع مرات، وفي كل مرة تظهر علامة الاقتناع والقبول.

ارتاح الرجل وانفرجت أساريره وطلب من الجبل حماية القرية من إغارة الأعداء ورعاية النسوة في حملهن وولادتهن، وحماية الأطفال من شرور السحر والسحرة وشفاء المرضى ومد يد العون لأهالي القرية عند المحن والخطوب.

ومنذ ذلك الوقت تحول الجبل إلى معبود لأهل القرية يزورونه ويقدمون له القرابين، وكان الرجال قد حرموا على النساء التعبد عند سفح الجبل، فظهر الجبل لإحدى النسوة ودعاها إلى زيارته والتعبد عنده، وصار أهالي القرية يعبدون هذا الجبل رجالاً ونساء وصاروا يعبدون الصخور والأشجار والأنهار.

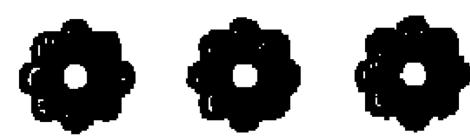
المصير.. الفناء:

ما زلنا مع أساطير سيراليون وإن اختلفت القبائل، ومن تلك الأساطير أنه في قبيلة «كونو» كان يعيش في زمن سحيق رجل وامرأة وطفلهما ذكر، وكان الرجل والمرأة من المتعبدين الصالحين، فأنعم عليهما الإله وأخبرهما بأنه لن يدعهما يموتان، وأنه سيرسل إليهما أدمة جديدة تغطي أجسامهما.

وصنع الإله الأدمة في صرة وناولها لكلب وطلب منه أن يوصلها للرجل وزوجته، حمل الكلب الصرة ونزل إلى الأرض، وبينما هو في الطريق التقى بعض الحيونات تقتات على الأرز والقرع المقدس فدعوه لمشاركتهم الطعام، لبى الكلب الدعوة، وبينما كان الجميع يلتهمون الطعام، سألته الحيوانات عن وجهته وعما يحمله بالصرة، فأطلعهم على وجهته وما يحمله.

سمعت الحية القصة وعرفت أن الأدمة المرسلة للإنسان ستجعله خالدًا، تسللت الأفعى من بين الحيوانات وسرقت الأدمة، ولذلك فإن الأفعى وحتى الآن تغير الأفعى جلدها كل عام لتحافظ على شبابها.

توجه الكلب إلى الإنسان وأخبره بما حدث، وعندما توجه الإنسان إلى الإله ليروي له ما حدث، ولكن كان الأوان قد فات وكتب على الإنسان الموت والفناء، ومنذ ذلك الحين والعداء قائم بين الحية والإنسان كل يسعى إلى الفتك بالآخر.



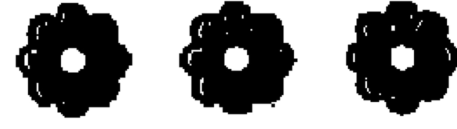
وحول انتشار الموت بين البشر هناك أسطورة أخرى عند قبائل «ميند» مفادها:

أن الإله الأعظم بعث برسولين إلى الإنسان وهم: الكلب، والضفدعة، وطلب الإله من الكلب أن ينبئ الإنسان بأنه لن يعرف الموت، وفي نفس الوقت طلب من

الضفدعة أن تبلغ الإنسان بأنه سيواجه الموت يومًا ما.

انطلق الكلب والضفدعة سويًا متجهين نحو الإنسان كل منهما يحمل رسالته من الإله لبني الإنسان، وفي الطريق صادف الكلب امرأة تعد الطعام لطفلها فتوقف ينتظر بعض فضلات الطعام، بينما استمرت الضفدعة تسعى في طريقها إلى أن وصلت إلى القرية التي يسكنها بنو الإنسان وأبلغته برسالة الإله بأن الموت قادم.

تنبه الكلب لما وقع فيه من خطأ فأخذ يعدو سريعًا ويصيح : الحياة قادمة، ولكنه وصل بعد فوات الأوان، فقد وصل الموت قبل الخلود.



المحافل السلفية:

ما دام الجهل جاسمًا على الصدور وحاجبًا للعقول ويغشى الظلام النور تكثر الشرور، وتختلط الأمور، ويتبعد الإنسان عن المنهج الرباني الذي فطر عليه وما زلنا مع أساطير سيراليون وفيها نتحدث عن الجمعيات السرية المنتشرة في أفريقيا والتي تمارس نشاطات وطقوسًا أكثرها تحدث في الخفاء وتحت جنح الظلام وفي سرية، ومثل هذه الطقوس لا يخلو منها مجتمع بدائي كان أو متحضرًا أو متخلفًا فالجمعيات السرية منتشرة في كل بقاع العالم، وتتم الطقوس في الأدغال والأحراش والكهوف كما تتم في أرقى أحياء لندن، ونيويورك، وبرلين، فالغموض والبحث عن أسرار الطبيعة والغيبيات من سمات البشر.

ومن أهم الطقوس هي الطقوس الدينية والعقائدية أو السحر والشعوذة، ومنها طقوس شيطانية وفي قارة أفريقيا وهي بيئة صالحة لقبول الخرافات والاعتقاد في السحر كما هو الحال في أدغال أمريكا الجنوبية.

وتقل المصادر عن هذه الجمعيات لأنها شديدة السرية وذات هياكل وتنظيمات عنقودية يصعب تتبعها، وكثيرًا ما يقوم زعيم الطائفة أو الجماعة بالطقوس وهو مرتدٍ قناع يخفي وجهه وملابس زاهية فضفاضة تحجب بدنه بحيث إن مريديه لا يمكنهم التعرف عليه.

واشهر الجمعيات السرية المنتشرة جمعية «بورو» عند قبائل «ميند» وقاعدتها في سيراليون، وهي منتشرة ومرتبطة بجمعيات سرية أخرى. و«بورو» تعني «بدون نهاية» ويرجع تأسيس هذه الجمعية السرية إلى مئات السنين بحيث أصبحت أسطورة.

وتقول إحدى الروايات أنه في قديم الزمان كان هناك رجل مسن يمتلك الأرض الشاسعة والمراعي الواسعة، وكان ميسور الحال، فكان أهالي القرية يعتبرونه زعيم القبيلة، ويحكى أنه أصيب بمرض في أنفه فجعل صوته أجش، فكان مرضًا غريبًا وصوتًا لم يعهدوه من البشر وخافوا من العدوى فعزلوه في الغابة، وكانت زوجته وابنته يقومان برعايته.

لم يقترب منه أحد إلا عندما يحتاجونه في المعاملات التجارية ويتعاملون معه من وراء حجاب فلا يسمعون إلا صوته الأجش.

اجتمع بعض اللصوص من أبناء القرية وفكروا في كيفية الاستيلاء على أملاك هذا الرجل وأمواله، ولما لا فلا أحد يرى وجهه، واختمرت الفكرة بينهم بأن يقتلوا الرجل وزوجته وابنته، ولكن كيف يقلدون هذا الصوت المميز، فقام أحدهم وقد خطرت له فكرة فأحضر عودًا من البوص وجعل في أحد أطرافه قطعة من الجلد فكان عندما يتكلم من خلال البوص يتحول صوته إلى صوت أجش يشبه صوت الرجل.

وقامت العصابة بقتل الرجل وزوجته وابنته وراحوا يقلدون صوته وبعد فترة



أعلنوا أن الرجل قد صرعه المرض ولحقت به زوجته وابنته، وبعد فترة أخرى أعلنوا أن الزعيم تحول وذهب رسول منهم يخبر أهالي القرية بأن روح الزعيم ستأتي لتزور الباقي من أسرته.

وفي الموعد المحدد هرب من هرب واختبأ من اختبأ من النسوة والأطفال وحتى الرجال، وجاء رجلٌ منهم متخفيًا وراء قناع ورداء فضفاض ويتكلم من خلال البوصة فكان صوته أجش مفزعًا، وطلب من أهالي القرية من الرجال بناء معبد له تقدم فيه القرابين والهدايا الثمينة.

وبهذه الحيلة تمكنت جماعة من اللصوص والأفاقين من السيطرة على مقدرات أهل القرية وجعلوهم يخضعون لهم ويسجدون لهم ويتعبدون للص بعد أن رفعوه إلى مرتبة الإله .

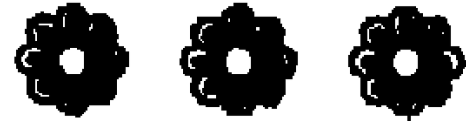
ولهذه الأسطورة رواية أخرى مفادها :

أن زعيم القرية كان رجلاً قويًا يحكم قبضته على القرية ويفرض فيها الأمن والأمان وينشر العدل، وعندما مات الرجل خشي حكماء القرية من ضياع السلطة فينفلت الزمام فيختفي العدل وينتشر الظلم وتنتشر الفوضى ويختلف الحال، لذلك لم يعلنوا خبر وفاته إلى أن يتدبروا الأمر.

وبالفعل تمكن الحكماء من إيجاد رجل يشبه صوت الزعيم الذي توفي وأخذ هذا الرجل يحكم باسم الزعيم بعد أن لبس قناعًا فلم يعرفه أحد ولم يكشف عنه النقاب، وقد أقسم الجميع على عدم إفشاء هذا السر، وظلوا على هذا الحال وصاروا جماعة سرية تمارس أنشطتها وتعمل في الخفاء.

وتعددت التفسيرات لنشأة الجمعيات السرية في أفريقيا منها : أن الناس لجأوا إلى الغابة إما هربًا من الاعتداء والحروب، أو الالتقاط الأنفاس واستعادة زمام الأمور أو للتدبير للحروب.

ومنها : أن الحكماء لجأوا إلى الغابات للبعد عن النساء وجواسيس الأعداء، أو من كتب عليهم النفي والإقصاء، أو هربًا من الاضطهاد السياسي أو الديني أو المذهبي، وهناك العديد من التفسيرات منها : الأسطوري أو الخرافي أو المنطقي ولكنها في النهاية أسطورة غامضة منتشرة في بقاع العالم وتستحوذ على كثير من تفكير البشر الذي يعيش ويموت في رحلة يكتنفها الغموض.





أسطورة من بنين

خلق اليابسة

تقول الأسطورة أنه عندما هم أبناء الإله الأعظم بمفارقة السماء والحياة على الأرض، وكانت عبارة عن مستنقعات وليس بها يابسة، فحمل كل فرد من الأشقاء ما تهواه نفسه، فمنهم من حمل الثروات والكنوز وآخر أخذ اللغوة واللسان، ومنهم من حمل المعدات، ومنهم من برع في السحر، وغير ذلك ولم يفكر أحد كيف سيعيش في هذا اليم والمستنقعات، إلا الأخ الأصغر الذي أشار عليه طير أن يأخذ معه القوقعة الحلزونية المملوءة بالرمال والتراب، وعندما وصل الجميع إلى الأرض لم يجدوا ما يرسوا عليه ويستقروا، فأسرع الأخ الأصغر وبتوجه من الطير فقام بإفراغ القوقعة وأخذ الطير ينثر التراب والرمال حتى غطت اليابسة جزءًا كبيرًا من المياه والمستنقعات ولتبدأ مراحل خلق الكائنات.

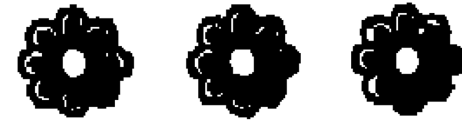
ونرى أن هذه الأسطورة تشبه في صلبها قصة خلق اليابسة عند قبائل «يوريا» التي تسكن نيجيريا، وتورد هذه الأسطورة أيضًا أنه بينما كان الابن الأصغر للإله الأعظم يقيم مملكته على أرض بنين كان أخواته يقيمون ممالكهم في بقاع أخرى من اليابسة التي انتشرت على الأرض.

وهناك أسطورة أخرى عن نفس الموضوع ورد فيها أن القبائل البدائية الأولى التي استقرت في بنين لم تتفق فيما بينها على ملك يحكمهم، وظلت هذه البقعة دون ملك أو مملكة لفترة طويلة من الزمن.

اجتمع الحكماء من أهل بنين وطلبوا من الملك «أودو دودا» ملك مملكة «إيف»

أن يرسل أحد أبنائه ليكون ملكًا عليهم، وقال البعض: إن بنين كانت عبارة عن مستنقعات حتى جاء هذا الملك ومعه القوقعة الحلزونية المملوءة بالتراب والرمال وحول هذه المستنقعات إلى يابسة، وبذلك أصبح له الحق من الملك.

وتذكر الأسطور أن الملك هو «أورنايان» الذي عمل على استقرار البلاد واستتباب الأمن ثم ترك الملك وعاد إلى منطقة «إيف»





دروب السحر والشعوذة
أساطير متفرقة

جبل الإنسان على أن هناك قوى غيبية تهيمن على مقدراته وتُسير شؤون حياته، وهي من القوة بحيث إنها قادرة على السيطرة عليه من حيث الروح والجسد وقادرة على إصابته بعلة تذهب عقله، وتذبل جسده، وهي قوة عليا إذا ما كانت خيرًا وقوة سفلى إذا ما كانت شرًا، وتلك لابد أن يكون لها وسيط من بني الإنسان لديه القدرة على الاتصال بهذه القوى.

يشترك في هذا الاعتقاد معظم البشر من ضعاف الإيمان وهم كثر، بين غني وفقير جاهل ومتكلم بدائي، ومتحضر، وبين اليأس والرجاء يسرع الإنسان القانط للبحث عن الوهم يرتحل إليه ويتكبد عناء السفر ونفقاته يأمل في وهم اسمه السحر والدجل والشعوذة.

وتشتهر أفريقيا عن غيرها بالسحر والشعوذة، وقد تعارف على أن هناك فرق بين السحر والشعوذة، فالسحر هو عمل التعويذات لمساعدة الإنسان في مروره بضائقة ما منها : عدم الإنجاب والمرض، وعدم التوافق الأسري، أو نيل شيء عزيز المنال، أو عودة الغائب ، أو حفظ المولود، أو سعة الرزق وغير ذلك من أمور لا تضر بأحد.

أما الشعوذة فهي طقوس شيطانية الغرض منها : إيقاع الأذى بالآخرين بدافع



الحقد والحسد، أو الكراهية والغبن، أو محاولة تغيير قدر إلهي.

ومن نيجيريا معقل قبائل «الهوسا» نسرد هذه الأسطورة:

«تزوج رجل من امرأتين وعاش معهما فترة من الزمن ، وعندما راجت تجارته تزوج بثالثة وأصبحت عنده أثيرة، الأمر الذي جعل الزوجتين الأولى والثانية تحقدان عليها وتضمران الشر لزوجهما، فأخذا يخرجان إلى الغابة كل ليلة يشعلان النار ويرقصان وكان الرجل قد جعل في صدره تعويذة تحفظه من الشرور، فلم يجد معه ما ظنت الزوجتان أنه يضره.

التفتت الزوجتان حول الزوجة الثالثة لتعرفا سر حفظ الزوج من سحرهما وطلبتا منها أن تسرق منه تعويذته، وأن تخرج معهما إلى الغابة تشاركهم الرقص حول النار.

رفضت الزوجة الثالثة الانصياع لهما وحذرت زوجها وأطلعته على ما يحدث منهما وخروجهما إلى الغابة والطقوس التي يقومان بها.

تظاهر الرجل بخروجه في تجارة والذهاب إلى بلاد بعيدة، في حين ذهب إلى المكان الذي يذهبان إليه، وكمن في مكان قريب.

حضرت الزوجتان وأشعلتا النيران وألقيا بالبخور وبعضًا من ملابسه وانطلقا يرقصان ويتمتمان بلسان لم يعرفه الرجل الناظر إليهما السامع لهما.

وبعد قليل وقد عانق اللهب السماء قالت الزوجة الأولى وكأنها تخاطب شيطان مريدًا:

سأترك لك جسده ولكن اترك لي كبده الوكه وأمضغه وآكله حتى يشفى غليلي.

وقالت الأخرى: سأعطيك جسده نهبًا لك ولكن اترك لي قلبه لأشرب دمه

وارتدي لتبرد ناري ويهدأ فؤادي.

انتفض الرجل من مكانه وقد أفزعه ما سمع وراعه ما رأى فأمسك بهن وأطفأ النار المستعرة، وأوسعهن ضربًا وعلقهن بشجرة على باب منزله ليكونا عبرة لمن يرى، واكتفى بزوجته الثالثة التي عاش معها عيشة هنية ولم يفكر في الزواج مرة أخرى.



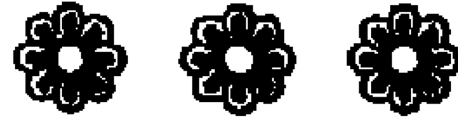
ومن قصص السحر عند ذات القبائل «الهوسا» أنه كان هناك امرأة تعرف الشعوذة وتعمل بها وبطول الأبد أصبح في جسدها تسعة ثقوب تصدر روائح منتنة جعلت زوجها ينفر منها.

كان الرجل يعيش معها على غير رضا لأنها تخدم والده المسن والذي أقعده المرض وظل على هذه الحالة لا يبيت معها في فراش ولا يطيق القرب منها ولا يعرف شيئًا عن الثقوب الخفية.

ذات ليلة خرجت المرأة إلى الغابة تجمع بعض الأعشاب، وقامت بسحقها وجعلت منها حساء رائحته شهية نفاذة، لتغلب رائحتها الخبيثة، وفي المساء قدمت الحساء للرجل العجوز، وما إن هم برفع الغطاء حتى سمع هاتفًا يصيح : ضع الغطاء، ولا تقرب الحساء لأن فيه هلاكك، فارتعد الرجل وترك الحساء.

اقبلت المرأة على زوجها وقد تزينت لتلقى عند زوجها القبول، وقدمت له الحساء وعندما رفع الغطاء سمع النداء «لا تقرب الحساء، وضع الغطاء لأن فيه الموت والهلاك»، انتقض الزوج وقذف بالإناء في وجه زوجته ، فتغير وجهها وتبدل حالها وتعرى جسدها وظهر ما به من ثقوب، وانتشرت الرائحة ، وعرف الرجل سر المرأة الساحرة، والزوجة القاسية التي كانت تريد هلاكه ووالده حتى تتفرد بالدار، فكان الطرد نصيبها والتشريد مآلها، وعادت إلى الغابة تبحث عن

مأوى، بعد أن شاع خبرها بين أفراد القبيلة فنبذها الجميع.



أساطير أخرى عن السحر والمسوخ:

تورد بعض الأساطير المنتشرة في أفريقيا عن السحرة - أكثرهم من النساء- بأن الساحرة إذا ما حان وقت فناء جسدها فإنها تسرع لتنتقي أى جسد حي حيوانًا كان أم إنسانًا حتى تبقى في حياة أبدية، ولا تغادر روحها الدنيا وتهيم في الأماكن الموحشة كالأدغال وكهوف الجبال في صورة طائر يسبح في السماء أو حيوان راكض أو زاحف في الوديان، أو هيكل إنسان يمتطي عصا غليظة أو مكنسة يجول بها في الليل البهيم، ويجوب الأرض والسماء

تناسخ الأرواح:

ومن هذه الروايات في ساحل العاج أسطورة بأن امرأة ساحرة اقتربت منيتها فغادرت روحها الشريرة جسدها وتقمصت بومة بينما ظل جسدها في مرقده، وصادق البومة صيادٌ ماهر فتمكن منها وقتلها، فمات الجسد الساجي في الفراش، وذلك لعدم تمكن الروح من وجود جسد تنتقل إليه.

وساحرة أخرى قاربت الوفاة فهرب الروح من الجسد إلى تمساح كان يجوب النهر، وراح التمساح يبحث عن ضحية وكانت فتاة تسبح في النهر ففتك بها، أسرع الأهالي وقتلوا ذلك التمساح بعد أن أصبح خطرًا على أهالي القرية، وفي اللحظة التي قتل فيها التمساح ماتت الساحرة في فراشها.



وتنتشر في أفريقيا روايات وأساطير عن المسوخ منها، وفي كينيا عند قبائل «جيكويا» أسطورة المرأة التي مسخت نصفها الأعلى من البشر ونصفها الأسفل

من الحجر، وأخرى نصفها العلوي بشر، ونصفها الأسفل من الشمع، وغير ذلك من أساطير عن مسوخ تسكن الكهوف والأدغال كالغيلان والنياتن والتي تدخل في صراع مع الإنسان من أجل البقاء.

وفي إحدى الأساطير السواحلية أن فتاة رائعة الجسد كانت تتردد على ساحل البحر تنعم بنسيمه، وتطربها أمواجه، وتنتظر مغيب الشمس، وكانت تعتقد أن الشمس بعد عناء النهار تنزل إلى البحر فتغسل همومها، وكانت هي بدورها تقذف بنفسها بين الأمواج تداعبها في براءة ووداعة، كانت ترافقها في ذلك بعض فتيات القرية فيعدن منتشيات يغنين أغاني الصبا والجمال.

وفي إحدى الأيام وكانت كعادتها تداعب الأمواج، فلمحت قوقعة زاهية الألوان فالتقطتها وأخذت تعرضها على صويحباتها اللائي أعجبن بها ورحن يجبن الشاطئ يبحثن عن مثيلاتها فلم يجدن فخشيت الفتاة عليها فوارتها الرمال بجوار صخرة عرفتها، وعندما عاد الجميع إلى ديارهن سألنها عن القوقعة، فأخبرتهم بأنها نسيتها عند الشاطئ.

استأذنت الفتاة والديها في العودة إلى الشاطئ لإحضار القوقعة النادرة، فخشيا عليها الظلمة الموحشة، والدروب الوعرة، ولكن أمام إصرارها سمحوا لها بالذهاب على أن تسرع في العودة.

كانت الشمس قد غابت وتركت بعضًا من شفقها، واقتربت الفتاة من الشاطئ الخالي ولا يسمع فيه سوى صوت الأمواج المتلاطمة فأصيبت الفتاة بالوحشة، فأخذت تردد أغنية تعرفها ، فخرج صوتها الجميل يشنف الآذان.

اقتربت الفتاة من الصخرة فوجدت طيفًا لم تتبين هيئته فتملكها الرعب، وتوقفت عن الغناء والتفتت حولها فلم تجد سوى ذلك الطيف الذي أخذ تقترب منها ويطالبها بأن تسمعه صوتها الجميل وتردد الأغنية مرة ثانية.

استدارت الفتاة وأطلقت ساقيها للريح وقبل أن تترك رمال الشاطئ وجدت ذلك الطيف ينتظرها عند حافة الطريق ولم تجد منه مفرًا، فخرت وقد غابت عن الوعي.

أفاقت الفتاة لتجد نفسها في أحد الكهوف المظلمة إلا من ضوء خافت فلم تر من خلاله غير وجه لم تألفه، اقترب منها وظهرت منه ابتسامة صفراء ، وقال لها: أنا جني هذا الكهف، وقد سمعت صوتك فجذبني إليك، إن لك لصوت شجي يسحر القلوب وقد عشقتك ، فلا تخافيني كما يخافني الناس، ويبتعدون عني، وأريد أن أسمعك تغنين، ظلت الفتاة صامتة، وقد أخرسها الخوف وأسكتها عن الكلام.

مرت الأيام والجني يلح عليها أن تغني له أو تبادله العشق والغرام ولكنه لم ينل منها شيئًا فظهر عليه الغضب، وقال لها : لا بد أن أستفيد منك، وبما أنني أجد صعوبة في الحصول على الطعام وأهل القرى يخافونني فأنت سببي للحصول على المال والطعام.

أمسك الجني بالفتاة ووضعها في إناء كالبرميل وشد عليه بجلد غزال فصار كالطبلة ودق عليه وكاد أن يصيب الفتاة المسكينة بالصمم، وقال لها: عندما أدق عليك أن تغني أحلى الألحان وبأجمل الأصوات.

وضع الجني الطبلة الكبيرة وبداخلها وراح يدخل القرى وكأنه ساحر يسحر الطبلة فتشدو وتغني بصوت حزين شجي ولكنه يطرب السامعين، وذاعت شهرته وكثرت رواياته وعمرت خزائنه وامتلأت معدته بصنوف الطعام وصار الناس يتوددون إليه بعد أن كانوا يهربون منه.

وألقت به الأقدار إلى القرية التي كانت تسكنها الفتاة، وطلبوا منه أن يسمعوا الجنية التي يطرب صوتها، دق الجني على الطبلة، وبدأت الفتاة تغني أغاني



الصبا والجمال التي كانت تغنيها مع أصحابها على الشاطئ فعرفها الصبايا وأخبرن أهليهن ووالد الفتاة.

هم الجني أن يغادر القرية فذهب إليه والد الفتاة وأخبره بأنه في الغد يوجد عرس بالقرية وأنه سيجزل له العطاء ويقيم له وليمة كبيرة إذا وافق وانتظر معهم إلى الغد حتى تشجيهم الجنية التي بداخل الطبلة.

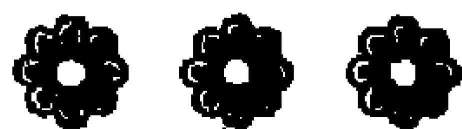
وافق الجني وما كان شيء يغريه أكثر من المال والطعام، أعد والد الفتاة وليمة كبيرة حضرها أهل القرية، وراح الجني يلتهم الطعام بنهم شديد ويعب في الشراب وينهل حتى الثمالة وهو لا يدري أن بالشراب والطعام ما يجعل الجمل يذهب في سبات عميق.

وبعد برهة كان الجني قد استسلم للنوم بعد أن ظل يقاومه وغاب عن الدنيا، ولما اطمأن أهل القرية إلى غياب وعيه أسرعوا وشقوا جلد الغزال ليجدوا الفتاة قابعة تتلوى من الجوع والعطش مستسلمة لما قدر عليها.

لم تصدق الفتاة أنها عادت إلى ديارها وسط أهلها وأقرانها إلا عندما سمعت دقات قلب أمها وهي تضمها إلى صدرها وحولها أهل القرية فرحين.

قام كاهن القرية بعمل تعويذة وجعلها بجسد الجني تجمع عليه الدبابير، والنحل والباعوض، وكل الهوام ولا تبعد عنه إلا عندما يدق على الطبل.

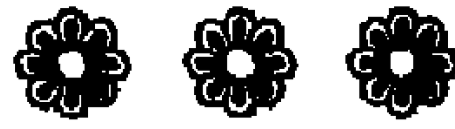
صار الجني يجول في الغابات والأدغال والوديان يقرع الطبل ليبعد عن اللدغات السامة والمؤلمة وقد أصيب بالصمم والعمى.



اختلفت النهايات في بعض الأساطير عن ذلك الجني فمنها من وضع في البرميل افاع سامة تخرج من البرميل تنهشه حتى يموت، وفي رواية أخرى أن



الجني خشي من الأفاعي فألقى بنفسه في إحدى المستنقعات أو البرك ونمت فيها الأشجار وانتشر ثمار القرع (اليقطين) وأن رجلاً احتز إحدى الثمار وعندما عاد بها إلى المنزل سمع من داخلها أصوات فخاف وأهل القرية فعمدوا إلى تمزيق الثمرة إلى قطع صغيرة وألقوا بها في النهر الكبير.





على وجهه ابتسامة تنبض لها القلوب الميتة، في مشيته أناة وفي وقفته وقار ، قليل الكلام، وليس معه رفقة أو أصدقاء، ولا يعرف له قبيلة، ولا من أين جاء.

صار الفتى محط أنظار الجميع وأخذت فتيات القرية يتوددن إليه ويقترين منه، ويطلبن مراقصته، وكان هو ينظر إلى ابنة زعيم القرية خلسة وهي ترمقه لحظة، إلى أن التقت العيون فدق قلبها، وذاب جليدها، واشتعل جسدها بنار الحب والعشق، فاقترب منها واقتربت منه وطلبها لرقص فوافقت وسط دهشة أهلي القرية من ذلك الغريب الذي جاء ليقطف أجمل زهرة من بستانهم، وتباينت المشاعر بين فرحة الأم والأب وحذر الأشقاء، وحقد الأزواج وغيرة الأتراب من الشابات والشبان.

وفي اليوم الرابع تقدم الشاب إلى والد الفتاة يخطبها لنفسه وقال لهم: إنه أحد أمراء مملكة ساحلية وابنتهم ينتظرها قصر عامر بالخدم والجواري ، وقدم جوهرة نادرة أخذت الألباب وأخرست الألسن وكممت الأفواه.

اقيمت الأفراح وزادت الزينات، وانتشى الجميع وعندما تهيج الفرحة والسرور يذهب الغم وتنثر الزهور.

ما زال الشقيق تؤرقه الهواجس وتغلبه الظنون فأمعن النظر في ذلك الشاب الغريب، وما زال يرقبه، وفي لحظة انفرق شعر الفتى خلف رأسه فرأى الأخ أن الشعر يخفي فمًا ذو أنياب حادة وعينان كأنهما جمرتان، ولم يجد أنفًا أو لم يره لأن الفتى أسرع ولملم شعره فأخفى وجهه الآخر.

ذهب الشقيق إلى والده ووالدته يخبرهم بما رأى، فحسبوا أن به جُنة أو ذهب الخمر بعقله، وإنه أصبح لا يفرق بين الوجه والقفا، وطلبوا منه الا يذهب فرحتهم وفرحة أختهم التي تعلقت بهذا الأمير الشاب وتم الاقتران.

خلد الشقيق إلى النوم ولم يفق إلا على صوت الطبول التي تؤذن برحيل



الشاب الأمير وزوجته ابنة زعيم القبيلة.

امتطى الأمير ظهر فيل أسود لم ير من قبل واعتلت الفتاة ظهر فيل أبيض لم يعرف مثله من قبل، وأخذا طريقهما نحو التلال.

ابتعد الركب عن القرية فسأل الشاب الفتاة: كم ابتعدنا عن دياركم؟

فقالت له: ما زلت أرى دخان المواقد وأشم سعير النار..

كان الأخ الشقيق يتتبع خطوات الركب ويرقبه من بعيد حتى يطمئن على أخته.

عبر الركب الأكمة وترك الوادي ودخل الأدغال، فتوقف الشاب وسأل الفتاة: كم ابتعدنا عن دياركم؟

فقالت: لم أعد أراهم ولا أشم ريحهم، لقد ابتعدنا كثيرًا ولم يعد لي أهل ولا أقارب ولا أصدقاء سواك.

وفي لحظة سمعت زئير الأسود ووقع الغزلان وخوار الثيران الوحشية وصياح الطيور وكأن الغابة قد هبت فزعة ، وكل الضواري والكواسر تسعى لتجد لها مهربًا، ونظرت إلى الشاب الوسيم الجميل، فوجدته وقد تغير وجهه، وانحنى ظهره، واتسع فمه وظهرت أنيابه، وتحول إلى حيوان شرس.

ارتجفت الفتاة وطرحها الفيل أرضًا وأسرع يبتعد عن المكان وأصيبت الفتاة بالهلع والرعب وكمنت تحت جذع شجرة، وقد وقفت الدموع على مقلتيها.

اقترب منها الوحش المفترس الذي كان منذ لحظات شابًا جميلاً أنيقًا باسمًا، وقال لها: الآن يمكنك أن تذرفي الدمع لأنني سأنهش لحمك، وأفتت عظمك وأريق دمعك.

لقد تكبرتي على بني جنسك واعتراكي الكبر والخيلاء وأذللت الشباب وتجرعوا منك كأس الذل والهوان، والآن أصبحت لي نهبًا ورواء.

كان الشقيق قد اعتلى شجرة قريبة وعندما هم الوحش أن ينشب مخالبه في جسد أخته المسكينة ، بادره وسدد له سهمًا مسمومًا اخترق رقبته وحوله إلى جثة هامدة لا حراك فيها.

أسرعت الفتاة لتلقي بجسدها بين يدي شقيقها ولم تعد إلى وعيها إلا وهي في دارها وحولها أفراد أسرتها وعلى وجوههم فرحة العودة سالمة.



اختلفت شعوب أفريقيا في تناول هذه الأسطورة فمرة يكون الشقيق الأصغر هو الذي يصر على مصاحبة أخته في سفرها، ومرة يتحول الشاب الجميل إلى أسد ومرة إلى ضبع، وفي أخرى أشكال عديدة من الضواري التي تكثر في مكان الأسطورة.

وفي أسطورة أخرى حول المسوخ التي تهاجم البشر وظهور أبطال قادرين على مواجهة شرور هذه المسوخ والقضاء عليها، ومن هذه الأساطير:

عند قبائل «الزولو» أسطورة أخرى تروى، أنه كان هناك وحش يعيش في نهر عظيم وقد كمن فيه مئات السنين لا يعرف أحد عنه سوى أساطير محاها الزمان من ذاكرة الإنسان .

وذات يوم ذهبت فتيات القرية يسبحن في ماء النهر وكن يغنين أهازيج جميلة أيقظت الوحش من سباته العميق الطويل، فذهب إلى الشاطئ وأخذ ملابسهن حتى يجبرهن على البقاء في ماء النهر، ثم ظهر لهن.

عرفت الفتيات أن الوحش قد استولى على ما يستر عوراتهم فأخذن يتوسلن له أن يعيد لهن ملابسهن، وأخذ الوحش يعيد لهن الملابس الواحدة تلو الأخرى ، حتى جاء دور ابنة زعيم القبيلة التي رفضت التوسل إليه وقد عظم عليها الأمر.

وأمام إصرار الفتاة على عدم التوسل ، هاج الوحش وأمسك بالفتاة وسحبها إلى عالمه في قاع النهر.

أسرعت الفتيات وعدن إلى القرية وأبلغن والد الفتاة بما حدث، فحشد رجال القبيلة وذهب الجميع إلى النهر، فقام الوحش بالتقام أكثرهم ولم ينج منهم إلا القليل، الذين عادوا إلى القرية يجرون أذيال الهزيمة وراحوا يندبون نكبتهم.

مرت عدة أيام وهم يترددون على النهر عسى أن يعرفوا شيئًا عن الأهالي الذين اختفوا أو يجمعن رفاتهم، ويلقوا بأعشاب وتمويذات في النهر، عسى أن يتخلصوا من ذلك الوحش الفتاك.

وذات فجر ولم يكن ضوء الشمس قد غشى الكون، فإذا بأهالي القرية يقومون فزعين من نومهم على صراخ وعويل والوحش يعيث في القرية يلتقم كل من يصادفه من أهالي القرية حتى أتى عليهم جميعًا، غير رجل أب لفتاتين توأم، تمكن هذا الرجل من الإفلات ودخل إلى الأدغال وظل مختفيًا حتى عاد الوحش ليستقر في قاع النهر.

مكث الرجل عدة أيام ثم راح يعد العدة وقد أقسم على الانتقام من هذا الوحش، فحمل رمحه وقوسه وكنانته الذاخرة بالسهام المسمومة، وأخذ يلتمس طريقه إلى النهر ويبحث عن وسيلة تدنيه من هذا الوحش الذي اختفى عن الأنظار.

أخذ الرجل يزرع الشاطئ شمالا وجنوبا وينتقل بين ضفتيه شرقًا وغربًا ولم يعثر له على أثر حتى صادف قطيعًا من الجاموس فشكا لهم حاله وبث فيهم أحزانه فأخبروه بمكانه بالقرب من جزيرة نائية وكان قد التقم منهم عددًا كبيرًا، فصار يبحث عن تلك الجزيرة وفي طريقه لاقى فهدًا وعرف الفهد وجهته فأخبره أن يكمل مسيره في ذات الاتجاه فقد نجا من براثن ذلك الوحش بالأمس



القريب، وكما حذرته الأبقار من خطورة هذا الوحش حذره الفهد.

سار الرجل في طريقه تسيره شهوة الانتقام لمقتل ولديه التوأم وهلاك قريته وهو في الطريق صادف فيلاً يسير على ثلاثة قوائم فالقدم الرابعة مستقرة في باطن الوحش ولكن الفيل لم يثنيه عن المضي قدمًا للقضاء على هذا الوحش القاتل.

جن الليل فأشعل الرجل النار ليبيت ليلته على أن يستكمل ما نوى عليه في الصباح وفي غمرة التفكير فيما سيلاقيه مع ذلك الوحش سمع حفيف الأشجار ووقع أقدام ورجل يهل عليه ذو شيبة ووقار.

رحب به الرجل فاقترب ولكنه ظل بعيدًا عن النار وكان البرد قارصًا، نظر الرجل إلى وجه الرجل فوجد عينيه كعيون الفهد وشعره كثيفًا وقدميه مفلطحة ويخفى يديه داخل سرواله وصوته أجش ورائحته منتنة.

توجس الرجل منه خيفة، وبادره الضيف وسأله عن وجهته فأخبره بقصة الوحش الذي التقم أهل قريته وحرمه من أبنتيه.

قال الضيف: إن طريقك وعر ومملوء بالمصاعب والعقبات ولن يترك الوحش تفلت من براثنه وسيكون مصيرك مصير أهل قريتك، وأستأذن في الرحيل.

تنفس الرجل الصعداء وقام يتبع الضيف فوجده يتجه نحو الجزيرة التي دله عليها البقر وعندما اقترب من الشاطئ أخذ يتحول شيئًا فشيئًا، فطالت قدماه ويرز ذنبه واحتدب ظهره ويتحول هيكله إلى مسخ قبيح ترتعد منه الفرائص.

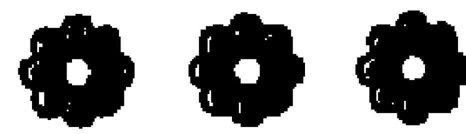
تمالك الرجل وأوتر قوسه وسدد سمهمه فأصابه في مقتل فخر الوحش على الأرض يتخبط من أثر السم الذي سار في دمه، أسرع الرجل وحمل رمحه وصوبه إلى قلبه فسقط صريعا وخمد نفسه وسكنت جوارحه.

أسرع الرجل يشق بطنه عسى أن يجد بقايا ابنتيه فيهدأ قلبه ويرتاح فؤاده ويواريهم الثرى، وما هي إلا لحظات وظهرت بعض الأرجل والأيدي فحاول الخروج من بطن الوحش وفي حاله وكأنها ولادة، تقاطرت الأنفس والأبدان بعد برهة من الزمن كان التوأم يرميان بأنفسهما في أحضان والدهما الذي فرح بعودة ابنتيه للحياة.

رجع الجميع إلى القرية وأقيمت الأفراح وطاف أهل القرية التي أعيد تعميرها وبناء منازلها وهم يحملون ذلك البطل على الأعناق وصار بينهم صاحب مكانة وحظي بحب واحترام وإجلال الجميع.

تلك هي القيمة الرئيسية لكثير من الروايات الشائعة عن هذه الأسطورة مع بعض الاختلاف فبعض الأساطير منها ما جعل الرجل والد التوأم شاب مشاكس عنيد أخذ يبحث عن الوحش حتى وجده، وأخذ يناوشه ويؤرقه حتى أن الوحش أخذ يتوسل إليه أن يتركه لحاله، إلا أن الشاب تمكن من القضاء على الوحش وتخليص أهل القرية وقد خرجت من فم الوحش بدلاً من شق بطنه.

وفي رواية أخرى جعلت الفتاة ابنة زعيم القرية هي التي تمكنت من شق بطن الوحش من الداخل وعملت على تخليص أهل القرية من كربتهم.



اساطير متفرقة

العرش المقدس - هبة السماء

هناك بعض الأساطير الأفريقية تضفي قدسية على كرسي العرش ومن أجله تقوم حروب وتزهق أرواح، وقد يدفن الكرسي مع صاحبه حتى لا يجلس عليه شخص آخر، ويُهتم بصناعة الكرسي حتى أنه يكون قطعة فنية عظيمة القيمة، ويطلق عليه أسماء عديدة.

وعند قبائل «أشانتي» أسطورة عن كرسي ذهبي جاء به الساحر أنوشي من السماء للملك «أوسي توتو» زعيم قبائل «الأشانتي».

كانت مملكة الأشانتي تخضع لبعض القبائل المجاورة يتزعمها رجل همجي ظالم يعيث في الأرض فسادًا، الأمر الذي جعل رجلاً من أهل قبيلته ينقلب عليه ويهرب من سلطان ظلمه.

كان الرجل ويدعى أنوتشي يملك قوى السحر والطب ولكنه لم يتمكن من قهر زعيم قبيلته، فتوجه إلى الملك «أوسي توتو» ملك أشانتي المقهور وادعى أن الإله «نيامي» قد أرسله إلى الملك ليعينه على استعادة سلطانه وتحرير شعبه.

وعندما طلب منه الملك ما يصدق روايته فقام بسحر العيون وبقوته الخارقة، فأثار عاصفة يصحبها البرق والرعد، ووسط هذا الغيام أبصر الملك كرسيًا من الذهب يهبط من السماء عند قدمي الملك «أوسي توتو».

تقدم الساحر إلى الملك ليخبره أن هذا التخت الذهبي تحمله أرواح السلف العظام لقبائل أشانتي وأن تحرر القبائل ورخاءها وقوتها في المحافظة على هذا العرش الذهبي الذي سيعيد للملك وقبيلته الملك وطلب من الملك أن ينتف بعض شعره وكذا زوجاته وبعض المقربين إليه وقص أظافر السبابة.

قام الساحر «أنوتشي» بجمع الشعر وقلامة الأظافر سخنها وخلطها بزيت وتناول جزءًا منها والجزء الآخر ألقى به في أتون نار عظيمة فتحول لون اللهب واضطرب الحاضرون، وعلى صوت الطبول بدأت الرقصات والأهازيج وتعالت الصيحات المطالبة بالجهاد ضد الأعداء وتخليص القبيلة من الغاصبين.

اشتعل الحماس بين أفراد القبيلة وانتفض رجالها وأعدوا العدة وجيشوا أنفسهم وثاروا على الظلم والاستبداد وحرروا أراضيهم، ثم أغاروا على الملك الظالم ودخلوا إيوان حكمه وقضوا عليه وعلى زوجته واستولوا على الذهب الذي كانت تتحلى به زوجته وقدموه قربانًا لكرسي العرش الذي هبط عليهم نت السماء ووهبهم القوة وأعاد لهم سلطانهم وجعلوا من القربان زينة لكرسي.

وتروي الأسطورة أن أحد الملوك الذي عرف بأمر هذا التخت الذهبي «هبة السماء» فأمر بصناعة كرسي طبق الأصل منه وقام بطلائه بالذهب، وعندما علم بذلك الملك «أوسي توتو» شن ضد هذه القبيلة حربًا ضروسًا وتمكنوا من القضاء على الملك واستولوا على الذهب وصنعوا منه قناعين يماثلان وجهه وقدموهما قربان للكرسي يتكئ عليهما الملك.

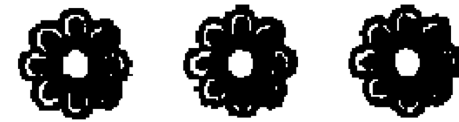
ويذكر أنه عندما غزا البريطانيون قبائل أشانتي وتمكنوا من الاستيلاء على الكرسي خضعت القبائل خوفًا على تحطم الكرسي ولكن إلى حين، فعندما استولى البريطانيون على الكرسي وحاولوا الجلوس عليه، ثارت القبيلة وعادوا



إلى محاربة البريطانيين واختفى العرش الذهبي المقدس.

وحول اختفاء العرش وظهوره مرة أخرى تروى أساطير كثيرة عن الأرواح التي تحمي الكرسي وتحافظ عليه وتخفيه كلما عثر عليه أحد، والحروب التي قامت والأنفس التي زهقت فداءًا له.

ويقال أنه أعيد الكرسي إلى القصر الملكي في كوماسي رمز السلف المقدس عند قبائل «الأشانتي» وإنه عندما اقترنت الأميرة البريطانية ماري عام ١٩٢٢م أرسلت لها ملكة أشانتي كرسيًا مصنوعًا من الفضة ومعه رسالة جاء فيها: «أن حبهم مرتبط بالمقعد الذي تم طلاؤه بالفضة، تمامًا كما اعتدنا ربط أرواحنا في مقعدنا المقدس».



ابن النهر وكهنة المعابد

يمثل نهر النيل أهم شرايين الحياة في كل أرض وتدور حوله الأساطير في كل أمة وقدسته الشعوب في كل وادى، ومنذ أزمان سحيقة اعتبرته بعض القبائل أنه مبدأ الخلق وواهب الحياة وناشر الخير وحامي البلاد.

وعند قبائل دنكا التي تسكن أعالي النيل تدور أحد الأساطير حول السلف من كهنة المعبد والذين لهم مكانة في التراث الأفريقي وفي الأساطير يروي أنه في غابر الزمان كان الإنسان يصادق الحيوان ويشاركه ظروفه الحياتية في وئام وتراض.

وفي حفل راقص على نغمات الدفوف والصنوج، كان أحد الرجال يشارك أسدًا في رقصة وقد تزين الرجل بأساور زانت معصمه، ألوانها زاهية وتصدر صوتًا رنانًا أعجب الأسد فطلب الأسد من الرجل أن يهبه إياها.



رفض الرجل وأظهر غضبه، فما كان من الأسد إلا أن هجم على الرجل لينهش ذراعه ويستولي على سواره، خر الرجل صريع غدر الأسد الذي أحاط عنقه بسوار الرجل.

مات الرجل تاركا أرملة تحمل على صدرها فتاة صغيرة ولا عائل لهم. اشتد الجوع على المرأة وابنتها، فذهبت إلى النهر إله الخير تبث له حالها وتسأله العون والمدد وعلا صوتها وزاد نواحها وسالت دموعها على صفحات المياه.

خرجت الروح الكامنة في النهر تواسي المرأة وتسألها عن سبب بكائها ونواحها، فأخبرتها بمآسي الحياة بعد أن فقدت عائلها ولا تجد من يعينها على نواكب الزمن وكم كانت أن يكون لها ولد يرعاها ويحميها هي وابنتها.

رقت روح النهر لحال المرأة وطلب منها أن تتجرد من ملابسها وتنزل إلى وسط النهر وتدفع الماء بيدها لتصل إلى رحمها، ففعلت وعندما خرجت من النهر ناولها رمحا تحفظه لوليدها الذكر ابن النهر عندما تضعه، ووهبها سمكة تقتات بها، وكل يوم تأتي إلى الشاطئ لتجد أخرى حتى يتم حملها وتضع وليدها.

عادت المرأة إلى دارها ومازالت تتردد على الشاطئ حتى شعرت بآلام المخاض فطلبت من روح النهر أن يعينها على تربية وليده، فوهبها بقرة حلوبًا فيها الغذاء والنماء.

وضعت المرأة حملها وكان ذكرًا وأطلقت عليه اسم «آبول»، ولد كأنه ابن أعوام شعره أسود كالليل البهيم وعيناه تبرقان كالنجوم ووجهه في سمرة النيل وأسنانه كاملة كاللؤلؤ ويتمتع بالبنيان القوي.

قبض الطفل وهو في المهد على الرمح الذي ناولته إياه ولوح به وما كان يقدر على حمله الرجال.



كانت المرأة تحلب البقرة وتضع الجرة بالحجرة الوحيدة التي تملكها وتخرج لتبحث عن مصدر للرزق وعند عودتها تجد أن الجرة خاوية وهي التي ملأتها قبل أن تخرج وتكرر الأمر حتى إنها ظنت بالفتاة بأنها تشرب ما بالحجرة من لبن، فعنفتها على ذلك وسط نكران الفتاة.

ظلت المرأة عدة أيام لا تعرف مصير اللبن الذي تملأ به الحجرة، حتى جاء يوم ملأت الحجرة باللبن وتظاهرت بالخروج من الدار وكمنت في مكان لترقب ما يحدث.

زهلت المرأة وهالها ما ترى عندما وجدت الرضيع يقوم من مهده ويذهب إلى الجرة ويرفعها إلى فمه ولا ينزلها إلا وقد فرغت من اللبن، صرخت المرأة فأسرع «أبول» يكلمها ويحذرها من إبلاغ أي شخص بما رأت وإنه في اليوم الذي تفشي فيه سره سيكونه يوم هلاكها والقضاء عليها.

لم تتحمل المرأة كتمان سر ما تراه من معجزات الرضيع «آبول» الذي حمل الرمح ومشى من مهده إلى الجرة ورفعه إياها وشربه ما بها من لبن ثم الحديث إليها وهو ما زال في المهد صبيًا فأطلعت أهل القرية على سر هذا الغلام الذي يملك قوى خارقة وقدرات باهرة.

كان «آبول» صادقًا في تحذيره فما كادت المرأة تبوح بالسر حتى سقطت وقد ظن أهل القرية أن بها مسًا من الجنون، وكانت قد فارقتها الحياة وأصبحت جثة هامدة.

لم يعبأ «آبول» بمصير الفتاة فتركها وذهب إلى ضفاف النهر ليعيش في كنف روح النهر إلى أن شب وترعرع، وأصبح فتى موفور الصحة ويتحلى بالشجاعة والإقدام، وهم بالعودة إلى القرية، فاصطحب معه ثورًا يغلب على جلده لون السحابة البيضاء، وقد أطلق عليه اسم «لونغار».



دخل آبول القرية مزهوًا بنفسه وقوته الخارقة وما يملكه من ماشية فأطلق عليه أهل القرية اسم «آبول لونغار» واستقر بالقرية وكثرت ماشيته واتسعت مراعيه وأرضه.

مرت سنوات وهو يعيش رغد الحياة هانئًا بما وهبته الطبيعة، حتى جاء وقت وتوقفت فيه مياه الأمطار عن الهطول، وساد الجفاف البلاد فلم يعد هناك كلأ ولا ماء، فهاجر أهل القرية إلى المراعي البعيدة بحثًا عن الغذاء، وأصبحت القرية خاوية إلا منه ومن ماشيته التي لم يصبها الجفاف واستمرت تنمو وتتناسل.

تصادف وأن عاد أحد شباب القرية ليعرف حالها بعد أن هجرها هو وأهله، فوجد «آبول - لونغار» فتعجب الفتى، كيف صبر هذا الرجل وماشيته على هذا الجفاف، تتبع الفتى «آبو - لونغار» عندما خرج بقطيعه من الماشية ليرعاها، فوجده يتجه إلى أرض قاحلة إلا من بعض نباتات الشوك، ورآه يقتلعها ويناولها لماشيته التي تمتص جذورها المدفونة في الرمال وتقتات عليها.

عرف الفتى سر الرجل العجيب الذي يعيش على عصارة الجذور الممتدة في قلب الصحراء، فأسرع إلى أهل القرية يخبرهم بما عرف، وما كاد الفتى يبوح بالسر حتى لفظ أنفاسه الأخيرة، ومات معه من عرف السر.

عاد من تبقى من أهل القرية إلى بلدتهم هربًا من الجفاف الذي أصاب المراعي الجديدة، وعرفوا سر الرجل الذي دعاهم إلى هجر هذه الأراضي التي أصابها الجفاف إلى أرض غنية بالماء والعشب، وحيث لا يذوق أصحاب هذه الأرض الجديدة السقم والموت.

لم يصدق أهل القرية ما قاله «آبول -لونغار» وساروا في اتجاه معاكس للطريق الذي ذهب إليه، طال بهم المسير ولم يعثروا على مكان مناسب يعيشون فيه، فقرروا اللحاق به وسلكوا الطريق الذي سلكه، ولم يكن الطريق سهلاً، وإنما امتلأ



بالمستنقعات المنتنة والوحوش الضارية والأهوال المميتة.

تمكن بعض أفراد القبيلة من اجتياز كل العقبات واقترب من مكمن «أيول - لونغار» وعندما اقتربوا منه، أسرع الرجل الغاضب منهم بعد أن عاهدوه ولم يتبعوا خطاه وكذبوه وذهب غضبه إلى حد الانتقام منهم، فأخرج رمحه وأطاح به نحوهم فتطايرت الرؤوس وقطفت، ولم يترك الرمح إلا القليل منهم قبل أن يعود إلى قبضة «أيول - لونغار».

ابتعد أهل القرية قليلاً ولكنهم ظلوا يراقبونه من الضفة الأخرى من النهر، وظنوا أن قوته في رمحه الذي لا يفارق ساعده، فأرادوا إبعاد الرمح عنه والانقضاض عليه.

كان «أغوثي - اثيك» أقوى شباب القرية وأشدهم حماسًا وفطنة وذكاء، فأشار على أحد أصدقائه ، بأن يصنع على أسنة رمحه رأس كبش كبير، ويذهب إى حيث يشعر به «آيول» دون أن يراه ويتحقق منه.

انطلت الخدعة على «آيول» وراح يتتبع الرأس وهو يحسبها رأس إنسان يتجسس عليه، أشهر «آيول» رمحه وقذف به ليقصف ذلك الرأس، وفي ذات اللحظة كان «أغوثي يعبر النهر ليتواجه الرجلان دون سلاح.

ما زال الصراع دائرًا والقوتان متعادلتان لا منتصر ولا مهزوم حتى بلغهما الإعياء مع حلول الظلام وغياب الشمس، فلم يجد «آيول» مفرًا من النزول على رغبة أهالي القرية وسمح لهم بعبور النهر.

فرح بعض أهل القرية وأسرعوا بعبور النهر في حين أحجم البعض الآخر عن العبور خوفًا من أن تكون مكيدة ويوقع بهم «آيو - لونغار» في فخ قد نصبه لهم.

لم يكن «آيول» صاحب مكر وخديعة، فاستقبل من عبر النهر وأنعم عليهم

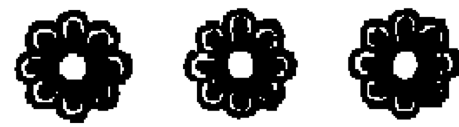


بالرماح التي كان يصنعها وجعل بعضها لصيد الحيوانات والأخرى للحروب والطعان والنزال.

ثم قام «آيول - لونغار» ووهبهم ثورًا مقدسًا تقام له المعابد وتقدم له القرابين وأصبح هؤلاء هم سدنة هذه المعابد وقد وهبهم «آيول» رماح الصيد ويقصد بها الدعوة للدين الجديد وأطلق على هؤلاء القوم سادة الرماح.

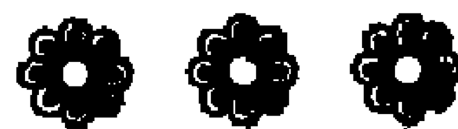
أما الزمرة الأخرى والذين لم يعبروا النهر فقد وهبهم «آيول» رماح الحرب وصاروا هم المدافعين عن المعابد وسدنته وأطلق عليهم سادة المحاربين.

وعندما اطمأن «آيول - لونغار» إلى حال القرية ووفر لهم سُبل الغذاء والصيد والحياة، فابتعد واعتزلهم وتنسك وصار إلهًا تقدم له القرابين.



وهناك عدة أساطير تنتشر في أنحاء كثيرة من أفريقيا عن «لونغار» الابن البكر للآلهة وأن الإنسان الأول خرج من النهر، وكان «لونغار» هو السلف الأول من الخلق، وكان يمثل روح الإله الخالدة والجسد الفاني، وإن اختلفت الروايات، فهناك بعض النقاط الأساسية منها: المعركة التي دارت بين «آيول» وأحد أفراد القبيلة، وكاد أن يهزم «آيول» الذي أسرع وعرض على الفتى أن يباركه ويجعله ذا مكانة رفيعة بين القوم.

وتجمع الروايات على أن رماح الصيد ترمز إلى الكهنوت، وأن حامي رماح الصيد هم الموابذة وكهنة المعبد المنوط بهم خدمة الإله وجمع القرابين، وتشير بعض الأساطير أن سادة الرماح هم من نسل «آيول» ابن النهر.





أسطورة من كينيا

جبال كير نياغا

يعرفها الأفارقة والعالم الآن بعد دخول الأوربيين بجبال «كليمنجارو» التي تقع بين كينيا وتنزانيا.

وعند قبائل «كيكويو» التي تسكن كينيا، أن الإله الأعظم عندما أراد خلق العالم وبسط اليابسة فوق الماء، خلق جبالاً شاهقة يلجأ إليها ينظر منها على خلقه وينال قسطًا من الراحة.

وعندما أراد تعمير هذا الكون العظيم اختار ثلاثة من أبنائه هم «كيكويو» و«كامبا» و«ماساي» وهم السلف الأول وأصل القبائل الكينية.

عرض الإله الأعظم على أبنائه أن يختار كلٌ منهم ما يعينه على الحياة على هذه الأرض، فاختار «ماساي» رمحًا فكلفه الإله الأعظم برعاية الماشية، وصار إله المراعي، واختار «كامبا» قوسًا وكنانة، فكلفه الإله الأعظم بالغابات والضواري وأصبح إله الصيد، أما «كيكويو» فقد اختار فأسًا فعلمه الإله الأعظم طرق الزراعة وصار إله التناسل.

انطلق «ماساي» و«كامبا» كل إلى سبيله، واصطحب الإله الأعظم ابنه «كيكويو» إلى حيث مكان عرشه وراحته على الأرض، أعلى جبال «كير نياغا» وجعله يرى الأرض، سهولها وأحراشها، ومراعيها، وجبالها، والأنهار والجداول، وسخر له مظاهر الطبيعة لإعمار الكون.

اختار الإله الأعظم بقعة من الأرض ذات جداول وأنهار وأشجار باسقة وحدائق ذات ثمار يانعة ومحاطة بأشجار التين وأشار إلى «كيكويو» بأن يبني في هذه البقعة بيتًا وعندما ذهب «كيكويو» إلى ذات المكان وجد هناك في انتظاره امرأة بارعة الحسن والجمال، فبنى بها وأنجبت له تسع بنات وعز عليهما إنجاب ولد.

ذهب «كيكويو» إلى سفح الجبل وأخذ يتضرع إلى الإله الأعظم، أن يهبه ولدًا ذكرًا ليعمر الكون وتشيع السعادة، فطمأنه الإله وطلب منه تقديم القرابين والتضحية بكبش عظيم وجدي، يقوم بنحرهما عند شجرة التين التي تطل على بيته وأن يسكب دماء ودهن القربان عند جذع شجرة التين، وتقديم لحومها ناضجة مشوية قربانًا للآلهة.

أسرع «كيكويو» بتنفيذ كل ما طلب منه وبعد أن قدم القرابين في معبد الإله الأعظم عند سفح الجبل وعاد إلى داره ومعه زوجته وبناته التسع، وجد بجانب شجرة التين عند باب الدار تسعة فتية في شرخ الشباب والفتوة، فكانت فرحة العائلة غامرة بتلك الهبة الإلهية وعرض الأب على الشبان اقترانهم بفتياته على أن يعيش الجميع في داره، فوافق الشباب فعمت الفرحة ونحرت الذبائح وقدمت القرابين، وعاشوا جميعًا أسرة واحدة تحت سقف واحد (زمرة واحدة) ومنذ ذلك الحين ويطلق على الزمرة (أم البنات) «موبي».

توفي الوالدان وتفرقت الزمرة إلى زمر أخرى واستقلت كل ابنة بأسرتها وأطلقت كل بنت اسمها على أسرتها. وصارت الزمر تعرف بأسماء بنات «كيكويو».

وفي قبيلة «موبي» التي تجمع بنات «كيكويو» ونسلهن تحتل المرأة مكانة عالية ويمكنها أن تتزوج أكثر من رجل.

كانت نساء قبائل موابي محاربات ماهرات ويمسكن بزمام الأمور، إلى أن جاءت ثورة الرجال وتمردوا على هذا الوضع، فاجتمع الرجال على رأي وعملوا على تنفيذه، فبعد مضاجعة النساء وعند ظهور الحمل وبدء متاعبه توقف الرجال عن مساعدة النساء وتركهن يعانين متاعب الحمل والولادة، وبهذا الفعل وبسبب الحاجة علا شأن الرجل، واحتل مكانه في الصدارة والحكم والولاية. وزادوا على ذلك بأن سعوا إلى محو ذكر اسم النساء على القبائل وصارت القبائل تعرف باسم قبائل «كيكويو» السلف الأول الذكر لهذه القبائل، ولكن عندما حاول الرجال تغيير اسم الزمر النسائية، احتجت النسوة وهددن بقتل كل مولود ذكر، والامتناع عن التناسل والحمل والرضاع، فاكتفى الرجال وظلت الزمر تحمل أسماء النسوة.

نمت الأسر وتكاثرت العوائل وضاقت الأرض بقبائل «كيكويو» الأمر الذي دفع بعضهم إلى الهجرة إلى الأراضي المجاورة

كانت قبائل «كيكوتو» محاطة بالجبال من جهة، والغابات من جهة أخرى، فنزحت بعض العوائل في اتجاه الغابات التي كانت موطن الأقزام، الذين فروا إلى باطن الأرض وبرعوا في حفر الخنادق، فكانوا يسكنونها بالنهار ويخرجون في الليل ليحصلوا على ما يحتاجونه من ماء وغذاء، وذلك خوفًا من هذه القبائل المغيرة القوية.

وفي ذات الوقت كانت قبائل «كيكوتو» تخشى هؤلاء الأقزام، وتعتبرهم سحرة ذوي قوة خارقة وقادرين على شق باطن الأرض والاختفاء بداخلها إلى أن ظهرت جماعات من الصيادين يطلق عليهم «النودوربو» وكان تصطاد هذه الأقزام وتبيع لقبائل الكيكوتو جلود الحيوانات والعسل وما يحتاجونه من مداد، وبمرور الوقت تمكنت قبائل «كيكوتو» من الاستيلاء على الغابات والأراضي المنبسطة والتي يعتقدون أنها هبة الإله الأعظم.



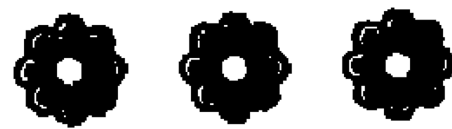
في الجزء الأول من الكتاب حاولنا نقل بعض الأساطير التي شاعت في القارة الأفريقية وتنقلنا بين شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها، لنتعرف على ثقافات هذه الشعوب التي تأخرت عنها المدنية والحضارة أزمانًا طويلة.

وقد وضح أن هذه الأساطير تقوم على الخرافات في بيئة سيطر عليها عالم السحر والشعوذة فتعددت الآلهة والأرباب، وبين الخير والشر ماج الإنسان يبحث عن خلاص النفس وطهارة البدن وسمو الروح والبحث عن الخالق الأعظم لهذا الكون والذي بيده مقاليد كل شيء.

ورغم تباعد الأقطار وقلة الأسفار وصعوبة الاتصال إلا أنه وجد أن بعض الأساطير تروى في أكثر من مكان، قد تختلف التفاصيل والأسماء ولكن يظهر من السياق أنها من منبع واحد ولها هدف محدد.

ظلت هذه الأساطير تنتقل بين الأجيال وتتوارد تحمل الثقافات والعقائد والعادات والتقاليد والحكم والأمثال، فتكون نبراسًا لكل جيل، وليظل السلف محتفظًا بمكانته مهما ابتعد في عمق الزمان، فهو الرمز والقدوة والمنهل والمصب.

وفي الجزء الثاني ننتقل إلى عالم الروايات والقصص الأسطورية وفيها تختلط الحقائق بالخيالات والواقع بالمأمول، وفيها تحول الإنسان من البحث عن عبودية الإله إلى البحث عن التمرد من عبودية الإنسان.



أفريقيا نافذة التاريخ

كان لزامًا وقبل أن نقرأ حكايات شعبية من أفريقيا التعرف على بيئة الإنسان الأفريقي وأسلوب تفكيره ،وأنماط معيشته.. وكان من الضروري أن نلقي الضوء على القارة نفسها ونعرف بعضًا من تاريخها ، لنوضح البيئة التي نشأ فيها الأفريقي ومراحل النمو الاجتماعي والديني وما استجد من فكر وثقافة ، وما اكتسبه الإنسان في أفريقيا من هذا التحول وهل كان هذا التحول إلى الأفضل أم إلى الأسوأ !!



أفريقيا
من نافذة التاريخ(١)

لا يعرف أحد على وجه اليقين منبت الجنس الأسود الزنجي ولا من أين أتى؟، وإنما دلت الشواهد والأبحاث وتشير الحفريات إلى أن أفريقيا من أقدم مواطن الإنسان، فقد عثر في الروديسيات على جماجم بشرية يرجع تاريخها إلى ثلاثة ملايين سنة، وإن أقدم الشعوب والتي تعيش حتى الآن:

١ - شعوب (البانتو) السوداء: التي تنتشر من الساحل الغربي (السنغال) إلى الكاميرون في الشرق ومن الكنغو في الوسط إلى رأس الرجاء الصالح في الجنوب وهم غالبية سكان القارة.

٢ - شعوب البربر البيضاء : ذات العيون الزرقاء والشعر الأشقر وهي التي تقطن منطقة جبال أطلس في الشمال وقد امتدت فروعهم وتزاوجوا مع شعوب البانتو بواسطة قبائل الطوراق.

٣ - الشعوب الحامية: تلك الشعوب التي استوطنت وادي النيل من أزمان سحيقة تسبق عصور الأسرات الفرعونية وذلك حسب التقسيمات الشائعة التي ترجع أجناس البشرية إلى أبناء نوح عليه السلام (سام - وحام - ويافث).

وتعتبر الشعوب الحامية من أقدم الشعوب الأصيلة في أفريقيا، وقد تركزت في الجزء الأدنى من وادي النيل ، مصر وشمال السودان، ثم هاجر بعضها نحو

(١) من كتاب نهضة أفريقيا، محمد عبد العزيز إسحاق ، ١٩٧١ .



الشرق (أثيوبيا - الصومال) ومنهم من هاجر إلى أوغندا ورواندا وبروندي.

وقد تعرضت هذه الشعوب لموجات من الهجرات منها الحربي والتجاري والاستيطاني من آسيا وأوروبا ومن أشهر هذه الهجرات غزوات الفرس لوادي النيل وشرق أفريقيا وقد تركت هده الهجرات آثارًا فراسية.

ومن تلك الهجرات القديمة هجرات العرب (قبل الإسلام) إلى السودان وأثيوبيا والسواحل الشرقية بحيث اصطبغت هذه المناطق بالعرب من حيث اللغة والطباع والعادات والتقاليد والملابس، وعندما جاء الإسلام زاد تدفق العرب واندفعت عبر مصر إلى الشمال الأفريقي وتفرعت عند جبل طارق إلى فرعين انطلق أحدهما إلى الشمال في اتجاه أوروبا (الأندلس) واندفع الآخر نحو الجنوب ثم إلى الشرق لتتلاقى الهجرات العربية على السواحل الشرقية.

وعن طريق القوافل نشأت هجرات فرعية حتى وصلوا إلى خليج غينيا في الجنوب حيث نشأت إمبراطوريات منها «خلاسبة» وإمبراطورية مالي وغانا القديمة، ونشأت تفريعات أخرى إلى وسط القارة من تنجانيقا والكنغو، وكان من ثر هذه الهجرات والقوافل أن تم تقريب ممالك كثيرة حتى إن الرحالة «ستانلي» قال: «إنه عندما وصل إلى كمبالا في القرن الماضي وجد الملك «مونيسا» الأول ملك أوغندا يلبس الملابس العربية هو حاشيته ويتراسل مع جيرانه من الملوك باللغة العربية.

كانت جزيرتي «زنزبار» و«بمبا» جنوب شرق أفريقيا هما رأس الجسر للهجرات العربية القادمة من حضرموت وسواحل خليج عدن والخليج العربي، ومنها انطلق العرب إلى شرق أفريقيا ووسطها، وقد ازدهرت هذه المنطقة وتكونت بها إمبراطورية شاسعة شملت تنجانيقا وكينيا والكونغو إلى أن تكالبت عليها الدول الاستعمارية وتقسمت واصبحت زنزبار وبمبا سلطنة صغيرة عاصمتها ممبسا.

كما كانت هناك هجرات أخرى ومنها الهجرة الفينقية والتي اتجهت إلى السواحل الشمالية (تونس) ثم كان الهجرة الإغريقية وقد قام الإسكندر المقدوني ببناء مدينة الأسكندرية بمصر، وقد تصارع اليونانيون والقبارصة على الشمال الأفريقي ثم جاءت الهجرة الرومانية والتي استولت على شمال أفريقيا.

وما زالت الآثار الرومانية قابعة على الأرض الأفريقية من الأسكندرية إلى برقة وطرابلس وسواحل تونس حيث وصلت الواحات في عمق الصحراء. ثم جاءت الهجرة الإيطالية حديثًا واحتلت طرابس وبرقة وسواحل الصومال وقامت بغزو الحبشة وذلك قبيل الحرب العالمية الأولى، وكان للهولنديين نصيب من الإرث الاستعماري في الجنوب الأفريقي وذلك منذ حوالي ثلاثة قرون ومن هذه الهجرات ظهر شعب «البوير» وهو الجنس الأبيض الذي يدعى أنه أفريقي الأصل وهو الذي حكم جنوب أفريقيا بالحديد والنار دهورًا طويلة، وهو منشأ مبدأ الفصل العنصري.

وكانت هناك هجرات أخرى فقد هاجرت شعوب من البرتغال واستوطنت في أنجولا وموزمبيق والأسبان وتركزوا في مراكش المغرب ولم يتبق منهم سوى احتلالهم لمدينتي سبتة ومليلة وهما تحت الحكم الأسباني إلى الآن.

سبق العرب والمصريون الأوروبيين اكتشاف أفريقيا بزمن طويل، فالآثار المصرية الفرعونية اكتشفت في حفريات نيجيريا وشرق السودان وعندما جاء الأوروبيون إلى أفريقيا وجدوا أن العرب ومنذ قبل الإسلام وبعده قد عبروا كل الجسور واخترقوا الغابات وداسوا في المستنقعات، فكانت أفريقيا المجهولة لشعوب أوروبا كانت كتابًا مفتوحًا للعرب والمصريين.

لقد حام الأوروبيون كثيرًا حول السواحل الغربية والشرقية والجنوبية ولكن عزت عليهم طرقها وسبلها، وأول من سعى لاكتشاف أفريقيا هو المصري «نخاو »

وكان ذلك سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد وقد طاف حول القارة الأفريقية، ثم جاء الفينقيون والرومان ولكنهم لم يتجاوزوا السواحل الشمالية.

جاء الفتح العربي فبدأ بفتح مصر على يد عمرو بن العاص، وانطلق العرب نحو المحيط الأطلسي (الأطلنطي) ومنها تفرعت الفتوح العربية شمالاً إلى جنوب أوروبا وجنوبًا على الساحل الغربي الأفريقي ثم توجهت إلى وسط أفريقيا لتلاقي الفتوح العربية التي جاءت من البحر الأحمر وفي الساحل الشرقي الأفريقي وامتدت إلى أثيوبيا وهضبة البحيرات وشمالاً إلى السودان الأمر الذي جعل العرب يبسطون سلطانهم وينشرون الإسلام وتغلبت اللغة العربية على باقي اللغات وامتزجت ببعض اللهجات وبرزت لغات جديدة أهمها لغة «الهوسا السواحيلية».

عندما جاء الاستعمار الأوروبي سعى أول ما سعى إلى طمس الهوية العربية المتأصلة في شعوب أفريقيا في الدين واللغة والثقافة، وتحت نير الاستعمار حاول استبدال الحروف العربية بحروف لاتينية وبعد أن نالت دول أفريقية استقلالها عادت العروبة تشع من جديد وعاد الأدب الأفريقي ليظهر من جديد وانتعشت حركة الترجمة لأدب الهوسا.

لقد امتزجت الدماء العربية بالدماء الأفريقية ويظهر هذا المزج في مجموعة قصص سنوردها لتظهر مأساة الإنسان الذي يقع تحت نير الاستعمار بمبادئ الاستعمار وليس بمبادئ الأخوة في الإنسانية وتطهير الإنسان من الوثنية والإلحاد وبعيدًا عن الرق والاستعباد.

تجارة الرقيق:

الجشع والطمع والظلم من أهم رذائل الإنسان وقد تعرض الإنسان الأفريقي لهذه المظالم، ولم تكن تجارة الرقيق قاصرة على القارة الأفريقية، وإنما كانت في هذه القارة فجة وظاهرة وفاضحة وكانت على نطاق واسع، ومهين، وقد ساعد



النظام القبلي والصراع العرقي على انتشار هذه الظاهرة وترسيخها في المجتمع الأفريقي وأصبح هناك أسواق داخلية للنخاسة يباع فيها أسرى الحروب والسبايا من النساء وكان زعماء القبائل يساعدون في ذلك.

جاءت الكشوف الأوروبية لتصبح تجارة الرقيق تجارة دولية بل وقارية، وكان البرتغاليون أول من وطئوا القارة الأفريقية من الأوروبيين ووصلوا إلى سيراليون على الشاطئ الغربي الأفريقي في عام ١٤٤٢م وأقاموا قلعة حصينة وتوجهوا إلى مصب نهر الكونغو.

في عام ١٤٨٨م وكان العرب قد حولوا البحر المتوسط إلى بحيرة عربية وكذلك البحر الأحمر وقد بسطوا نفوذهم على الجزء الشرقي من العالم، فلم يكن أمام الأوروبيين سوى إيجاد طريق آخر إلى الهند والصين لبعث الحياة في تجارتهم التي كادت أن تبور واقتصادهم الذي أوشك على الانهيار، فقام الملاح البرتغالي «بارثلوميوديار» بالالتفاف حول أفريقيا واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

شجع هذا العمل المغامرين والباحثين عن الثراء على بناء السفن وركوب البحر، وراجت بعض الشائعات التي انطلت على الكثير منها أن أفريقيا هي الأرض التي جلب منها الملك سليمان كنوزه، وشائعة أخرى تفيد بأن مملكة «برستوجون» الغامضة تقع في هذه الأرض، وإن هذا الملك المسيحي العظيم هو القادر على سحق المسلمين، فمزجوا بين كنوز الملك سليمان ليثروا جامعي المال وعنصر الدين ليهب أصحاب العقيدة.

وعلى أثر ذلك تدفقت الأفواج ولكل هوى ومطمع ورجاء، وما جاء القرن السادس حتى ماجت أفريقيا بجحافل أوروبية وانتشروا على السواحل الأفريقية الشرقية والغربية والجنوبية .

ولم يقو الأوروبيون على الدخول في عمق القارة لتعرضهم للأمراض والأوبئة والمناخ الاستوائي الغير مستقر والأدغال الموحشة، والأساطير المخيفة والمستنقعات القاتلة.

بدأت تجارة الرقيق على نطاق ضيق نظرًا للحاجة المحدودة والقاصرة على الخدم، وما إن اكتشفت أمريكا القارة الجديدة وقام المستعمر الأوروبي بإبادة سكانها الأصليين، وكانت القارة شاسعة الأطراف، وتحتاج إلى اليد العاملة، الأمر الذي جعل تجارة العبيد تتسع وتجذب تجارًا من إنجلترا وفرنسا والدنمارك والسويد والألمان والبرتغال، وصارت القوافل تجوب البحار والمحيطات تحمل كنوز أفريقيا من العاج والذهب والعبيد.

كانت تجارة الرقيق من الأعمال المربحة وقد تزايد عليها الطلب وصارت منظمة تقوم بها عصابات محلية وخارجية مما أدى إلى تناقص عدد سكان أفريقيا وكانت إنجلترا على رأس هذه المنظومة، وكانت السفن البريطانية تجوب البحر الكاريبي محملة بالزنوج الأفارقة وتبيعهم للمستعمرين في أمريكا ليعملوا في مزارع القطن والقصب حتى صاروا عصب الاقتصاد الأمريكي الوليد.

ظلت إنجلترا هي الدولة (الإمبراطورية)، الراعية لتجارة الرقيق، حتى جاء فجر أظهرت فيه للعالم، أنها حرمت تجارة الرق ولكن ذلك لم يكن بدافع الإنسانية وحقوق الإنسان كما حاولت أن توهم العالم ، وإنما كان ذلك عقب حرب الاستقلال الأمريكي عن الإمبراطورية الأم، فهبت لتصدر قانون تحريم الرق لمنع الأيدي العاملة الرخيصة عن الوليد وتهز استقراره واقتصاده ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان.

لم يكن الأوروبيون وحدهم الذين يعملون في هذه التجارة الشائنة، ففي حين انحصرت تجارة الرقيق للأوروبيين على الساحل الغربي من القارة كانت نشطة

على الساحل المشرقي بيد العرب والأفارقة ، وكانت الزراعة في زنزبار وبمبا وزنيبون تجتذب الرقيق من وسط القارة، واستخدم المستعمر الغربي أبناء القارة في حمل الأمتعة والبضائع والأشخاص في المناطق التي يتعذر فيها استخدام الحيوانات بسبب وعورة الأرض والأمراض والأوبئة (ذبابة تسي تسي) المهلكة.

وكلما زاد النشاط التجاري والصناعي زادت الحاجة إلى العبيد ، كما كان يستخدم العبيد في الحروب لحمل العتاد والمؤن، وعندما زادت الاضطرابات داخل القارة وتصارعت القبائل وزادت حاجتهم للسلاح، فكان يتم تصدير العبيد مع العاج إلى أوروبا مقابل القماش والخرز والخناجر والبنادق والبارود.

وكان المسلمون يعملون على إقامة إمارات صغيرة مستقلة تجمع عدة قبائل تحت زعامة عربية أو محلية، في حين كان التجار البرتغاليون (الجلابة) يدفعون زعماء القبائل على غزو جيرانهم وبيع الأسرى والسبايا وحصيلة الغزو من الرقيق للتجار الأجانب الذين يبعثون بهم للعمل بالأرض الجديدة (أمريكا الجنوبية).

راجت تجارة الرقيق وانتشرت أسواق النخاسة الأمر الذي أدى إلى تصارع القبائل للسيطرة على هذه الأسواق، ونشطت قبائل «الأفرندو» في الأنجولا، وقبائل «الياو» في نياسلادن وقبائل «البمبا» في روديسيا الشمالية التي كانت تقوم بدور الوسيط وبذلك قام الأفارقة أنفسهم باستكمال المهمة التي بدأها الغازي الأوروبي والفاتح العربي، وكانوا على بني جلدتهم أقسى وأعتى وأظلم.

لم تكن تجارة الرقيق بالأمر السهل والهين على الأفارقة فقد ذكر المكتشف (ريتشارد بيرتون» أن أسر وسبي خمسين عبدًا يتم بعد تدمير عشر قرى على الأقل وسقوط الكثير من القتلى والجرحى اثناء الاشتباكات أو الترحيل إلى السواحل، هذا غير الذين يهاجرون قراهم هربًا من الأسر ويموتون جوعًا أو

عطشًا أو بالمرض.

لقد دفعت أفريقيا ثمنًا باهظًا لهذه التجارة التي أدت إلى الهجرة القسرية لشعوب أفريقيا وأوجدت نوعًا من الصراعات لم يكن موجودًا من قبل وقد أدى ذلك إلى انهيار النظام القبلي وعاد بالنظام الاجتماعي في أفريقيا إلى العصر الحجري، وقد مهد ذلك إلى سهولة سيطرة المستعمر الغربي على مقدرات شعوب أفريقيا واستنزاف ثرواته الطبيعية .

لم تكن تجارة الرقيق هي نهاية المطاف ففي عام ١٩٥٢ م تم إنشاء شركة الهند الشرقية الهولندية ، فأرسلت الشركة الهولندية «جان فان ريبيك» لإقامة محطة على خليج «تيبل بي» على أطراف الساحل الأفريقي، ولم يكن ذلك بقصد الاستعمار وإنما كان لحاجة الشركة لإقامة مرفأ لخدمة السفن العابرة عن طريق رأس الرجاء الصالح وتزويدها بالماء والشراب والمواد التموينية.

أقام الهولندويون حصنًا لحماية المرفأ وسوقًا لشراء الماشية والفواكه والخضر، ومع مرور الوقت وتزايد التجار والمغامرين والراغبين في الثراء تم استقطاع الأراضي وتمهيدها للزراعة، وقامت الشركة بمنح موظفيها قطعًا من الأرض ومدتهم بالاستثمارات والأموال لزراعتها واستجلاب فلاحين من أبناء القارة لزراعة الأرض وإنتاج القمح لتوفير الغذاء وزراعة الكروم لإنتاج التبيذ وإنشاء حظائر للماشية .

وفي عام ١٦٧٩م كان المستوطنون الأجانب قد كونوا عائلات وزادت الأطماع فضموا برزخ ومدينة «الكاب» إلى حدود مستوطناتهم، ومع تزايد عدد المستوطنين وكانوا من هولندا وألمانيا وفرنسا، الذين جاء بعضهم بسبب الرغبة في الثراء وهربًا من الاضطهاد الديني أو السياسي، تم التوسع على حساب أصحاب الأرض الأصليين من أبناء القارة الأفريقية، وتم الاستيلاء على المراعي الشاسعة وتحول

المرفأ الصغير إلى دويلة ثم إلى دولة أوروبية على أرض أفريقية، وأصبح الأفريقي عبدًا يعمل بالسخرة على أرضه، وذلك بعد اندفاع المستعمرين إلى الداخل هربًا من الكثافة السكانية التي أصبحت عليها المدن الجديدة وللبحث عن مصادر جديدة للثروة.

تيسرت الهجرة إلى داخل القارة بظهور الباعة الجائلين الذين كانوا يزودون «كيب تاون» بالمؤن والعاج والعبيد وتحول الفلاح الهولندي الذي كان يعمل في الزراعة واستخراج خيرات الأرض إلى مغامر وتكيف مع البيئة الأفريقية وأصبح عليمًا بها فشق طريقه إلى الداخل للبحث عن الثروات والمناجم وما تخبئه أرض أفريقيا من معادن ونفائس، وترك كثير من المزارعين أراضيهم واتجهوا إلى المدن التي انتشرت وصارت مراكز تجارية واقتصادية.

ظهرت عدة مدن وموانى على الشاطئ الشرقي من القارة منها «بورت إليزابيث» و«بسن» لندن و«ديربان» وأصبحت مراكز انطلاق إلى داخل أفريقيا وتجمعت الآمال والأطماع لظهور أمة بيضاء على أرض سمراء تتحدث لغة جديدة هي لغة «الأفريكانرز» المتولدة من اللغة الهولندية، وأصبح المستعمر الأفريكاني» والذي كان يفلح الأرض إلى خبير في البراري والقفار.

في عام ١٧٩٥ وكانت الحرب على أشدها في أوربا بين الإمبراطورية الإنجليزية وحكومة الثورة الفرنسية، وكان لهذا الصراع الدامي أثره على أفريقية حيث ظهرت أهمية رأس الرجاء الصالح والذي كان معبر إنجلترا إلى الهند أهم مستعمراتها فاحتلت إنجلترا سواحل رأس الرجاء الصالح لتأمين مصالحها ، وفي عام ١٨٠٦م وكانت الحرب قد وضعت أوزارها ، لم يكن لإنجلترا سبيل في التخلي عن تلك المستعمرات الاستراتيجية بحيث أصبحت مناطق نفوذ بريطانية.

في عام ١٩٢٠م كانت آثار الحرب النابوليونية الاقتصادية قد ظهرت في

المجتمع الإنجليزي فكان المشروع الاستيطاني الكبير في جنوب أفريقيا وتقاطرت أفواج من البريطانيين من أصحاب الحرف والعمال الزراعيين والمستثمرين وظهرت المستعمرات الإنجليزية المتكاملة ، وهكذا ظهر المستوطن الإنجليزي الذي أخذ يزاحم «البوير» في كل شيء.

في عام ١٨٣٥م ازدادت الهجرة إلى الداخل فيما يطلق عليه «الارتحال العظيم» وظهرت طائفتان متعارضتان هم «البوير» المستوطنين القدامى والإنجليز المستوطنين الجدد وكانا مختلفين في المعتقدات - رغم كونهم مسيحيين- والعادات والأفكار السياسية ، ولكن أصبح الجميع يعيشون في ظل القانون الإنجليزي.

أدى زحف «البوير» إلى داخل القارة إلى صدام بينهم وبين قبائل «البوشمن» و«الهوتنتوت» وتمكنت جحافل البوير من هزيمة هذه القبائل بما يملكون من أسلحة وخطط حربية ولكنهم عندما توغلوا أكثر واجهوا صعوبة في اختراق نهر «جريت فشن» و«قبائل البانتو» وتم عقد معاهدة بعدم تجاوز البوير حدود هذا النهر، وانهارت هذه المعاهدة فيما بعد وقامت عدة مذابح ضد قبائل «البانتو».

كانت إنجلترا قد أصدرت قانون إلغاء الرق وبذلك تأثر الاقتصاد في جنوب أفريقيا وكان البوير يعترضون على هذا القانون وصعب على أصحاب المزارع استعاضت العمال واستغلال الأرض الزراعية وتربية الماشية وانهار اقتصاد «البوير» الأمر الذي دفعهم للنزوح إلى داخل القارة للبحث عن موارد أخرى وزادت الفجوة بين «البوير والإنجليز».

كان هذا الزحف بمثابة إعلان استقلال عن الإنجليز، وتجاوز نهر «الأورانج» حوالي خمسة آلاف رجل وامرأة وطفل من البوير وسعوا إلى تأسيس جمهورية في «ناتال» واعتبر الإنجليز أن ذلك عصيان فسعت قوات الإنجليز إلى مطاردتهم

وصاحب هذه القوات رهبان وقساوسة ومغامرون.

المسيحية في أفريقيا:

انتشر الإسلام في أفريقيا قادمًا من الشمال بعد الفتح الإسلامي وتوطيد أركان دولة الإسلام في الشمال وعن طريق الشرق قادمًا من جزيرتي زنزبار وبيمبا مع التجار العرب الذين نشروا الإسلام في كثير من القبائل التي اجتمعت تحت لوائه.

ومنذ سقوط الإمبراطورية الرومانية ، توقف التبشير بالمسيحية في القارة الأفريقية، وعندما جاء الاستعمار الأوروبي للقارة نشط وبعث التبشير من جديد، وحمل لواء التبشير «الكاثوليك» والجيزويت».

كانت حركة الإصلاح الديني «البروتستانت» قد شبت كالنار في الهشيم داخل أوروبا، فتصدت لها جماعة (الآباء اليسوعيون) والتي انبعثت منها جماعة الجوزويت التي هبت لمحاربة حركة الإصلاح الديني والتي كانت قد بدأت تنتشر في أفريقيا بين شعب البوير، فانتقلت هذه الجماعة (الجيزويت) إلى أفريقيا مناهضة للبروتستانت وداعمة للكاثوليك، وصاروا رأس حربة للتبشير بالمسيحية داخل القارة.

حاول الأب «جونسالودي سلينرا» المبشر البريطاني دعوة الملك «مونومونابا» إلى الدخول في المسيحية ، وكان هذا الزعيم ملكًا على ما يعرف الآن بـ «ماشو نلاند» والذي كان على علاقة جيدة بالتجار المسلمين، فلم يتمكن من اجتذابه إلى المسيحية بل وأعدم عام ١٥٦١م».

حمل من بعده لواء الدعوة إلى المسيحية عدد من القساوسة البرتغاليين وانتشروا في الكونغو وزامبيا ولكنها محاولات باءت بالفشل في اول الأمر. فكان الصراع على أشده بين الكاثوليك وجماعات الجيزويت من جهة

والبروتسانت من جهة.

جاء القرن الثامن عشر يحمل نهضة عقائدية لها سمات جديدة واجتاحت أوروبا وكانت ملازمة لنهضة اقتصادية عظيمة، فأنشئت مؤسسات دينية قوية لمواجهة الملحدين العلمانيين الذين ظهروا في أوروبا مع الثورة الصناعية، وتزامن ذلك مع الانتشار الأوروبي واستعماره لكثير من أراضي أفريقيا.

تكاثرت المعامل والمصانع والبنوك وراجت التجارة، فقامت بعض الطوائف بإنشاء أجهدة تعمل على بسط النفوذ الديني في الهند والصين وأفريقيا، وكانت منهم (الرابطة الأفريقية) التي أنشئت عام ١٧٨٨ م والتي شجعت على زيادة الكشوف الجغرافية في أفريقيا وقد صاحب هذ الكشوف بعثات تبشيرية ، وكان أشهر الكشافين (للنجسون) وهو اسكتلندي، والذي اشتهر بأنه أعظم الكشافين المبشرين في أفريقيا في القرن التاسع عشر.

قام «لننجستون» بجهود كبيرة في حركة التبشير عبر القارة الأفريقية وخاصة في روديسيا الشمالية (زامبيا) ومالوي وقد اهتم «لننجستون» وهو الكشاف النواحي الاجتماعية وتوفير الرعاية الطبية فتمكن من امتلاك المجتمعات البدائية في أفريقيا فصار أهم مبشر في أفريقيا خلال العصر الفيكتوري.

ترك «ليننجستون» أفريقيا أرضًا خصبة للتبشير بالمسيحية بعد أن مات في أدغال روديسيا الشمالية عام ١٨٧٣م وتكونت جماعات تبشيرية أخرى سارت على نهجه.

انتشرت المحطات التبشيرية داخل القارة وعلى أطرافها الجنوبية والغربية ونشطت المنظمات الدينية في أوروبا وصارت تمد المبشرين على اختلاف جنسياتهم ومذاهبم (كاثوليك – بروتستانت) وتدعمهم بتوفير الأموال والمعدات، وبحلول القرن التاسع عشر كان التبشير في أفريقيا قد تحول إلى طوفان عمل



على تحويل أنماط الشعوب وظهور نظم اجتماعية وسياسية ودينية جديدة.

كان التقدم الصناعي في أوروبا في حاجة إلى المزيد من المواد الخام والتي تذخر بها القارة الأفريقية الأمر الذي جعل كل دول أوروبا تسعى لاحتلال واستعمار أفريقيا.

وبعد عهود من الاستغلال والاستعمار حل الاستعمار العسكري عن كاهل أفريقيا والتي صارت للأفارقة ولكن ليحل محله الاستعمار الثقافي والاقتصادي والسياسي ، في الفم علقم ونورهم يجعل القل مظلمًا، وثرواتهم واستثماراتهم تجعل الفقر مزمنًا.



بوابة الحرية

تناقلت الحضارة والمدنية بين المشرق والمغرب وتبادلت قمتها أمم عديدة، ولكنها في أفريقيا انحصرت في مصر وبعض جهات شمال أفريقيا (دول حوض البحر المتوسط) ولكنها غابت عن وسط أفريقيا وجنوبها، وظلت هذه البقاع غابات موحشة متوحشة، يغلب على أهليها من البشر البدائية والحياة القبلية وحتى القرن الخامس عشر الميلادي ، وذلك حين سعى البرتغاليون للالتفاف حول طريق رأس الرجاء الصالح فاكتشفوا السواحل الغربية والجنوبية من القارة.

ومنذ ذلك الحين عرف المستعمر الغربي طريقه إلى ذلك الجزء المجهول من العالم، وانتقل الأفريقي من عبودية الجهل إلى عبودية الرق، وتحول من صراعه ضد الضواري من الحيوان والكواسر من الطيور إلى صراعه مع بني الإنسان في سبيل الحرية والاستقلال.

مأساة إنسان:

انتشر الاستعمار كالسرطان ينهش في جسد القارة المجهولة ينهب خيراتها ويسخر بشرها الذين صاروا وقودًا لعجلة التقدم والتنمية في الغرب الأوربي ومازال يستنفذ مصادرها من الطاقة والمعادن النفيسة وغيرها.

قارة أفريقيا شاسعة وتعتبر من أغنى بقاع الأرض قاطبة بكل عناصر ومقومات المدنية والتحضر من ماء وغذاء ومصادر طاقة «بشر ومادية» إلا أنها أفقر القارات وأكثرها تخلفًا، وتنقسم جغرافيًا وطبيعيًا إلى ثلاثة أقسام في

الشمال دول حوض البحر المتوسط من مصر شرقًا وخليج السويس إلى مراكش غربًا ومضيق جبل طارق وبطول نهر النيل إلى مرتفعات أثيوبيا، ثم دول وسط أفريقيا والواقعة على خط الاستواء وخليج غينيا، ثم جنوب أفريقيا وصحراء كالهاري.

ويذكر أن العرب أطلقوا اسم أفريقيا على تونس فقط واسم السودان أي الشعوب السوداء على الجزء المأهول والمعروف من القارة.

كمبدأ كل الأمم والشعوب تخضع أفريقيا للنظام القبلي ومايزال هو الطابع المميز للحياة الاجتماعية، وفي ظل هذا التكوين يكون الولاء للقبيلة، ويسود بين أفراد القبيلة الشعور بالانتماء وأن بني جلدته أقوى وأكرم بني البشر، الأمر الذي يؤدي إلى وجود صراعات دائمة بين القبائل.

ومازال هذا النظام يحكم علاقات المجتمعات الأفريقية رغم انتشار الإسلام والمسيحية وظهور كيانات «دولة» تتألف من عدد كبير من الأجناس والأعراق، في خطوة أكثر تطور من الحياة القبلية.

رضخت شعوب أفريقيا الحضارية منهم والبدائية لنير الاستعمار ردحًا طويلا من الزمن وذلك عندما دفع العجز الاقتصادي ساسة بريطانيا وفرنسا وألمانيا وأسبانيا والبرتغال وبليچكا وإيطاليا، أن يبحثوا عن مصادر جديدة للثراء كي تدعم اقتصادها.

في أواخر القرن الثامن عشر وكان المستعمر الأوروبي قد فرغ تقريبًا من استعمار آسيا واستدار إلى أفريقيا وذلك لأسباب عدة منها، أن استعمار آسيا لم يحل مشاكل الرأسمالية الأوروبية، ولم يفي بحاجاتها إلى الأسواق والمواد الخام والأيدي العاملة الرخيصة. كما أن توزيع أسلاب آسيا لم يرضي كل الاستعماريين خاصة الحدد منهم والذين ظهروا كألمانيا.

فكان استعمار أفريقيا مخرجًا لأزمة الرأسمالية الأوربية التي احتدمت وجعلت أوروبا على شفا حرب ضروس، وكان السباق نحو استعمار أفريقيا سببًا في تأجيل هذه الحرب لبعض الوقت.

كان السباق على استعمار أفريقيا سباقًا محمومًا ولم يبق في أوروبا من لم يهرع ليستوفي نصيبه منها، وانسابت أفواج المغامرين والأفاقين الباحثين عن الثروة إلى القارة البكر لنهب ثرواتها وكنوزها.

وخلال هذا الزحف اصطدمت الأطماع وتعارضت المصالح واختلف اللصوص وهدد هذا الصدام سلام أوروبا كلها ونشبت بينهم النزاعات، فرأت الدول الاستعمارية أن تعقد في برلين مؤتمرًا وكان ذلك في عام ١٨٨٧م برئاسة بسمارك واتفقوا على توزيع أفريقيا بالعدل والقسطاس بين دول أوروبا كلها، كل حسب قوته وسطوته ونفوذه.

وتحت مسميات عديدة منها:

الميثاق الاستعماري - الوصايا - المشاركة - الحماية - اللجنة الاستعمارية الدولية - الحكم الثنائي - الإصلاح الدستوري - الحكم الذاتي - نشر الديمقراطية وحماية الحريات - حقوق الإنسان - البعثات التبشيرية، وباسم النوايا الحسنة تم تقسيم أفريقيا على النحو التالي:

مناطق النفوذ الاستعماري

أولاً: شمال أفريقيا[١]

مراكش (المغرب)	فرنسا
الجزائر	فرنسا

---

(١) من كتاب بوابة الحرية كومي نكروما.

تونس	فرنسا
ليبيا	إيطاليا
ريودي أورو	أسبانيا
مصر والسودان	بريطانيا

ثانيًا شرق أفريقيا

كينيا	بريطانيا
أوغندة	"
تنجانيقا	"
فيما سلاند	"
أفريقيا الشرقية	البرتغال
الصومال البريطاني	بريطانيا
الصومال الفرنسي	فرنسا
الصومال الايطالي	إيطاليا

تم تقسيم الصومال بين الثلاث قوى لموقعها الجغرافي الهام في القرن الأفريقي

ثالثا : جنوب أفريقيا

تم تقسيم منطقة جنوب أفريقيا بين الدول الاستعمارية وتسيدها الرجل الأبيض وكانت مشاعًا لكل صاحب سطوة ولكنها كانت تحت الانتداب البريطاني.

رابعًا: غرب أفريقيا

السنغال	فرنسا
ساحل العاج	فرنسا
غانا	البرتغال
السودان الفرنسي	فرنسا
داهومي	"
افريقيا الاستوائية	"
الكنغو	بليچيكا
الكاميرون البريطانية	بريطانيا
الكاميرون الفرنسية	فرنسا
زامبيا	بريطانيا
سيراليون	بريطانيا
ساحل الذهب	"
نيجيريا	"

وعلى هذا النحو تقريبًا تم استعمار افريقيا وأصبحت شريانًا رئيسيًا يمد الغرب الأوروبي بسائل الحياة في حين سلب صاحب الأرض حقه في الحياة، لذا نجد أن القصص والروايات الشعبية بها كثير من الإسقاطات على حياة العبودية، والاستغلال والانتهازية والنزوع إلى استدعاء الروح الوطنية والتطلع إلى الحرية وإن كانت حرية الروح دون الجسد.

بين الحكاية والأسطورة

يوم لا ينفع ندم

عاش صياد فقير في إحدى قرى الأدغال الموحشة، وقد عز الصيد وقل الرزق وكل يوم يزداد حاله بؤسًا حتى أوشك أن يزهق روحه ليتخلص من هذه الحياة التعسة، حيث لا زوجة ولا بيت ولا يملك من حطام الدنيا إلا كوخًا من البوص ومرقدًا من الوبر وقوسًا وبلطة.

مر شهر لم يوقد في داره نار ولم ينضج طعام، فجلس على شاطئ النهر يندب حاله.

وهو على هذه الحال مر به شيخ، فاقترب منه ينشد المحادثة والمؤانسة، فأخذ الصياد يبث له حاله ويطلعه على أحواله التي لا تسر.

أخرج الشيخ بعضًا من الطعام، وأخذ يتناولاه وبعد أن استراح الشيخ قال للصياد:

إن أرض الله واسعة وإن لم يكن رزق في هذا المكان فابحث عنه في مكان آخر.

أخذ الصياد بنصيحة الشيخ وترك المكان واتجه صاعدًا مع النهر، مرت أيام وأيام وهو بالكاد يجد ما يسد رمقه ويعينه على الحياة..

ذات مساء وقد غابت الشمس عن الأفق، لمح الصياد تمساحًا يخرج من النهر

ويتجه نحو الدغل فتريص به الصياد وقد منى نفسه بصيد ثمين يعوضه ما خلى من الأيام.

شعر التمساح بوجود الصياد فأسرع الخطى داخل الأدغال، وخلفه الصياد وقد أشهر قوسه وأوتره بأحد السهام المسمومة وصوبه نحو التمساح.

أخطأ الصياد التمساح فأسرع يعدو خلفه وقد أمسك بالبلطة وقد نوى أن يضربه ضربة يقسم بها ظهره.

مرة ثانية يخطئ الصياد ضربته فقد كان التمساح أسرع منه حركة، اختل توازن الصياد، وانزلقت قدماه في حفرة عميقة أرسلت به إلى سرداب أعمق، ليقذف به إلى بهو عظيم.

أفاق الصياد من غيبوبته ليجد نفسه في مدينة كلها من النساء الجميلات الرشيقات الأقوياء. رفع الصياد رأسه ليجد امرأة بارعة الجمال وعلى رأسها تاج من الذهب مزين بياقوتة حمراء لم يرى مثلها من قبل، والنساء الأخريات ينظرن إليه بإعجاب.

قالت الملكة: ما الذي أتى بك إلى هنا؟

فقال الصياد: كنت أسعى لصيد تمساح فانزلقت قدماي في حفرة ولم أفق إلا على وجهك الرائع الجميل.

إذا أنت أحد صيادي الغابة وقد ساقك القدر إلى مدينتنا التي لم يدخلها رجال من قبل.

قال الصياد وكيف أصبحت مدينتكم من النساء فقط دون الرجال، وكيف تتكاثرون وتحافظون على بقائكم، فقالت الملكة، عندما يكون البدر هلالاً تخرج عشر من فتياتنا إلى الغابة، وتتخير من الرجال أقواهم وأشجعهم، ويعدن وقد

حملت كل منهن جنينًا، فإذا كان المولود ذكرًا لفظناه إلى الغابة، وإن كانت أنثى حافظنا عليها ونقوم بتربيتها ونشأتها، ولم يعرف رجل طريقه إلى مدينتنا قط.

ولكن وبما أن الآلهة قد أرسلت بك إلينا فستكون مليكنا ولك علينا حق الطاعة والاحترام والتبجيل، وكل هؤلاء النسوة خادمات لك وأنا على رأسهم.

أقيمت الأفراح وزف الصياد إلى الملكة، وصار يلبس الديباج والحرير ولبس التاج الذهبي ويأكل أشهى الطعام ويشرب الشراب، ينهل من العسل ويعب اللبن وينام على الريش وينعم برغد العيش مع امرأة لم يكن يحلم برؤيتها في المنام.

وفي ليلة صيف والنسيم العليل ينعش الأبدان ويريح النفوس كان الصياد الذي أصبح ملكًا يسير مع الملكة ويجوبان أنحاء القصر، وإذا بغرفة مغلقة ليس عليها أقفال ولا حراس، فسأل الملكة عنها.

فقالت: كل المدينة هي لك بيت وحديقة ومتاع، إلا هذه الغرفة التي لا يجب أن تقربها وأحذرك أن تفتح بابها.

لم يبدي الصياد الملك اهتمام بهذه الغرفة وقال:

مالي وهذه الغرفة التي يدل مظهرها أنها لم تفتح منذ عشرات السنين، ألا تكفيني هذه المدينة العامرة وهذا القصر المنيف وما تحويه خزائني من كنوز، وأنت أيتها الملكة العظيمة فأنت تغنيني عن الدنيا ولو بسطت أرضها ذهبا وتزينت باللؤلؤ والمرجان، لقد أصبحت لي ونيسًا وأنسًا وحضنًا دافئًا وكنت لي عوضًا عن سالف الأيام.

كانت سعادة الملكة لا توصف لهذا الإطراء ومنت نفسها بحياة سعيدة مليئة بالدفء والحنان.

مرت أيام والصياد الملك لا يشغل تفكيره سوى هذه الغرفة الموصدة والتي لابد

أن يكون بداخلها كنز عظيم أو سر أعظم، وإلا لما حذرتني من دخولها، وظل فترة تتاهشه الرغبة وحب الاستطلاع والعهد الذي قطعه على نفسه أمام الملكة بألا يقترب من هذه الغرفة العجيبة.

لم يطق الرجل صبرًا وتمكنت منه رغبة اكتشاف المجهول وذات ليلة وقد غفا الجميع وفي الهزيع الأخير من الليل تسلل الصياد الملك وتوجه نحو الغرفة المغلقة، وبين التردد والأقدام، وقف الرجل أمام الباب، ثم تجرأ واندفع نحو الباب الموصد بقوة، ففتح الباب على مصرعيه، ووجد الملك الصياد نفسه ينحدر بقوة عبر سراديب وحفر وبسرعة كبيرة فقد وعيه.

أفاق الملك الصاد، فوجد نفسه عند المكان الذي انزلق فيه من قبل ووجد البلطة والنشابة وقد طمرهم الوحل، فأخذ يبحث عن الحفرة التي سقط فيها من قبل فلم يجدها، فجلس على شاطئ النهر يندب حظه ويبدي ندمه على ما فرط فيه وقد أعماه طمعه وجشعه فخرج من الجنة خاوي الوفاض وعاد صيادًا فقيرًا.



بين الحكاية والأسطورة

جلد الثعبان

على أطراف الغابة كانت القرية ترقد في حضن الجبل ساكنة وأهلها يعيشون في أمن وسلام ويقدمون القرابين لثعبان عظيم، يهيمن على الغابة، وكان الثعبان من الضخامة والقوة بحيث لم يجرؤ أحد على الاقتراب من الكهف الذي يسكنه، وتدور حوله الأساطير عن عمره الذي يمتد إلى دهور سحيقة وجبروته وسطوته.

كان «ساكو» أشجع فتيان القرية وأكثرهم وسامة، وكانت «بير» أجمل فتيات القرية وقد تعاهدوا على الزواج.

وفي حفل بهيج غمر القرية كلها بالفرحة والسرور تم زواج «ساكو» و«بير» وقام أهالي القرية بتقديم القرابين للثعبان العظيم، وعاش الزوجان في سعادة وهناء وذات يوم جاءت إلى القرية أسرة نازحة، قابلها أهل القرية بالترحاب ووفرت لهم سبل الحياة وكانت «تينو» الابنة الكبرى لهذه الأسرة تتمتع بجمال باهر وفتنة طاغية إلى جانب الخبث والدهاء، ومنذ أن وطئت قدميها القرية وهي تتفرس رجالها وشبابها لتلقي بشباكها حول الفتى التي ترومه وترغب بالزواج منه.

لم يكن بالقرية من هو أكثر من «ساكو» فهو الفتى الشريف الذي يعمل بكد وتعب ويجمع المال ويتاجر فيه فأصبح ميسور الحال ويملك الأرض والماشية والتجارة المربحة.

تقدم بعض شباب القرية لخطبة الفتاة «تينو» ولكنها رفضتهم، فاختلت بها

أمها لتسألها سبب الرفض فقالت لأمها:

يا أمي نحن فقراء ومن تقدم للزواج بي فقراء ولن يحققوا لي آمالي.

فقالت الأم: لن يتقدم لك أفضل من هؤلاء فنحن غرباء عن القرية..

قالت الفتاة: لا تجزعي يا أمي واصبري، فقد عقدت العزم على الزواج من أحد الأغنياء.

- ومن يكون؟

- ساكو

- ولكنه متزوج، هل ترضين أن تكوني الزوجة الثانية.

- سأكون الثانية إلى حين.

- يا بنتي أخشى عليك سوء العاقبة.

- لا تخشي شيئًا ولكن لا تبوحي بهذا السر إلى أحد ولو كان أبي وأخواتي.

كانت نساء القرية تخرج مع خيوط الشمس الأولى يحملن الجراء ويذهبن إلى النهر لإحضار الماء.

وتقربت «تينو» من «بير» وسعت لكسب صداقتها والتعرف على طباع «ساكو» وكيف يعاملها، وانسابت «بير» واسترسلت في وصف جمال وكمال «ساكو».

وكلما تكلمت ووصفت زاد تعلق «تينو» بالزوج وأصرت على الزواج به.

عرفت «تينو» أن «ساكو» يخرج إلى الصيد في مياه النهر في نهاية الأسبوع، وراحت تترقب ذلك اليوم.

جهز ساكو أدوات الصيد وودع زوجته وخرج قاصدًا النهر، كانت الشمس قد مالت للغروب وبدأت الأشياء تظهر كالأشباح، سمع «ساكو» صوتًا ويدًا تضرب

مياه النهر سابحة.

ارتعد ساكو وهو يرى امرأة تخرج من النهر وتختفي وراء شجرة، وكانت كالجن الذي ظهر واختفى في لحظة.

ألقى «ساكو» بأدوات الصيد وراح يتلصص على من هي خلف الشجرة، وقد جذبه الجسد المياس الذي يتقطر منه الماء والشعر المنهدل والسيقان المشوقة.

مازال «ساكو» يقترب وقلبه يرتجف.. صدر من الفتاة صوت ينم عن المفاجأة وراحت تغطي صدرها العاري بيديها وجلست القرفصاء، وطلبت من الغريب المتلصص أن يبتعد حتى ترتدي ملابسها وتواري عورتها.

تراجع «ساكو» وابتعد عن المكان، ومرت لحظات وساعات والفتاة لم تخرج من وراء الشجرة، فذهب إلى حيث كانت الفتاة فلم يجدها، فعاد إلى بيته وصورة هذه الحورية لم تفارق خياله، ومنذ ذلك الحين، والفتى «ساكو» يذهب إلى النهر ينتظر تلك الحورية التي أذهبت عقله وشغلت فكره وبدلت حاله.

وذات يوم أتت الفتاة «تينو» تمشي الهوينا نحو النهر، فتوارى «ساكو» نزعت الفتاة ثيابها وهي على يقين أن «ساكو» يترقبها ودلفت إلى النهر سابحة في سكون ودعة وأخذت تتقلب في ماء النهر وعينا الفتى «ساكو» لا تفارقها.

خرجت الفتاة من الماء وارتدت ثيابها وعادت إلى القرية تسير في دلال ومازال «ساكو» يسير خلفها حتى عرف باب الدار.

ظل «ساكو» عدة أيام يفكر في كيف الوصول إلى هذه الفتاة التي شغفته حبًا وعشقاً، وانتهى به التفكير إلى الزواج بها مهما كان الثمن، وبالفعل توجه إلى بيت «تينو» وطلبها للزواج.

وافقت الأسرة وانتقلت «تينو» إلى منزل «ساكو» تزاحم «بير» في حياتها

وتشاركها زوجها.

على مضض قبلت «بير» هذه الحياة القاسية وأن تكون الزوجة الثانية، وصارت «تينو» الزوجة الأثيرة والمحببة والتي صارت ترافقه في حله وترحاله وتشاركه الحفلات والمسرات، في حين قبعت «بير» في المنزل خادمة تقوم بأعمال المنزل الشاقة والمرهقة.

أقبلت أيام الأعياد ومواسم الحصاد وفي هذه الأيام تكثر الاحتفالات وتلبس القرية حلتها الجديدة، وكانت «تينو» قد استعدت لهذه المناسبة بعدد كبير من الملابس الجديدة واشترت الحلى والجوهر لتتزين بها، في حين كانت «بير» المسكينة تنزوي في إحدى أركان المنزل، وكانت قد زهدت الحياة.

وفي إحدى الليالي وقد زاد عليها الكرب والضيق، عندما رأت «تينو» تستعد لإحدى الحفلات الكبرى وتجهز الجديد من اللباس والغالي من الجواهر، وشاكو قد أهمل «بير» وتركها نهبة للحزن والقهر.

خرجت الفتاة «بير» إلى الغابة تبث همها وحزنها، وتبكي سالف أيامها قبل أن تأتي «تينو» وتحتل مكانتها في المنزل.

ظلت «بير» تبكي وتئن وقد علا نحيبها، ولم تسمع حفيف الشجر وتكسر الأغصان وارتعدت عندما سمعت صوتًا أجشا يصرخ فيها: ما هذا العويل والبكاء الذي أقلق راحتي وأرق نومي؟!

فزعت الفتاة من هول الثعبان الذي انتصب واقفًا في مواجهة الفتاة وقد أخرجه لسانه وبرزت أنيابه وسُمع فحيحه.

عرف الثعبان مدى الرعب الذي أصاب الفتاة، فأخفض هامته، ورق صوته، وقال للفتاة «بير»: من أنت؟ وما الذي أتى بك إلى هذا المكان الموحش، وفي هذا



الظلام الدامس؟، ولم كل هذا البكاء والنحيب؟!

ما زالت الفتاة ترتعد فرائصها ويتعلثم لسانها وتهزي بكلمات غير مفهومة، حتى هدأ الثعبان من روعها وأزال مخاوفها فانطلق لسانها تحكي عن حالها فقالت:

«كنت وزوجي نعيش في هناء وسرور، نغترف من متع الحياة ما نشاء وقتما نشاء حتى جاءت الفتاة «تينو» فسرقت أحلامي وتحولت حياتي جحيمًا لا يطاق، واليوم وقد تركتها تستعد لإحدى الحفلات ، في حين لا زحد عندي ملابسًا مناسبة لمثل هذه الحفلات.

أطرق الثعبان رأسه يفكر ثم قال لها: الزمي مكانك حتى أعود إليك!. فتركها فترة ثم عاد إليها، وأشار لها أن تتبعه، زاد ارتباك الفتاة، وكيف تتبع الثعبان إلى حيث لا تعلم، وهل يستدرجها إلى حتفها؟!

.. لا.. لو كان يريد أن يفتك بها ، ماذا كان يمنعه من ذلك؟!

فلتتبعه فلم يعد الأمر بيدها على كل حال.. فإنها لن تستطيع الفرار من فكه أو لدغته.. على بعد خطوات انحنت الفتاة إلى دهليز كبير يناسب حجم الثعبان الضخم، ثم إلى نفق أوسع، وسقطت الفتاة إلى مكان فسيح وقد غمره ضوء القمر الذي انعكس على أنواع غريبة من الجلود التي تصدر ضوءًا يفوق ضوء النجوم الأمر الذي جعل المكان يتلألأ ويبرق فزاغت عينا الفتاة التي أفرغت فاهها دهشة من روعة ما ترى.

قال الثعبان: تلك جلودي التي أنزعها عن جسدي كل فترة من الزمان، وهي تمثل لي قيمة عظيمة،فهي كنزي الذي لن أتنازل عنه ولم أطلع عليه أحدًا قبلك ولا أسمح لأحد مهما كان من الاقتراب منه.



قالت الفتاة «تير»: ولماذا أتيت بي لهاذ المكان؟!

قال الثعبان: هذه الجلود إذا ما لبست جسدًا أخذت هيئته وصارت وكأنها قد حيكت عليه، اختاري إحداها.

جالت الفتاة ببصرها، وهي غير مصدقة ما يقوله الثعبان، ولكنها فكرت.. بأنها لن تخسر شيئًا حتى وقع بصرها على أحد الجلود البراقة فأشارت إليه.

أشار إليها الثعبان بأن تتناوله وتضعه على جسدها ، ففعلت ، وما كادت تفعل حتى أضحت تومض كالنجوم الزاهرات وتورد خدها وبرقت عيناها واختلف ومظهرها وصارت في بهاء القمر ونداوة الزهور..

شهق الثعبان من ذلك الجمال الذي بهره ، فأخذ يتثنى ويتلوى ويزحف على الأرض حتى وصل إلى ركن بعيد من الكهف، وعاد يحمل بين فكيه قلادة تتوسطها جوهرة ثمينة وقال للفتاة: هذا الجيد قد خلقت له هذه الجوهرة النادرة، ولكن عليك أن تعيدي الثوب والقلادة خلال أيام ثلاثة وإلا ستكون العواقب وخيمة عليك وعلى أهل القرية جميعًا.

من باب آخر لكهف الثعبان وكان يطل على القرية وبدون عناء، توجهت الفتاة «تير» إلى ساحة الاحتفالات حيث كانت القرية مجتمعة يملؤها السرور، الجميع يرقص، وفي مكان بارز كانت «تينو» تقف بفخر وكبرياء وحولها النساء والفتيات وقد بهرهم ثيابها وأناقتها وكان الرجال يتغزلون في جمالها ويحقدون على «ساكو» الذي يمتلك هذا الجمال الباهر.

بريق يومض ونجوم تسير على الأرض متلألئة، وجيد ممشوق وفتنة طاغية، وعيون آسرة، جعل كل أهل القرية كبيرها وصغيرها، رجالها ونسائها يلتفتون إليها، وهم لا يتبينون وجهها، وقد تسمرت عيونهم جميعًا على الجوهرة التي تتوسط صدر الفتاة وشيئًا فشيئًا تقترب «تير وتصدح شمسها على الجميع،

ويخطف بريقها كل الأبصار.

وفي حركة غير إرادية التف الجميع حول «بير» وهم لا يصدقون ما يرون... هي «بير» زوجة «ساكو» التي كادت تنسى، وسط هذا الزحام، أخذ «ساكو» يسعى جاهدًا للوصول إلى هذه الغادة الهيفاء التي ذهبت بالعقول وشلت الألسن وأذاغت الأبصار.

- اقترب «ساكو» وهو يفرك عيناه غير مصدق ما يرى .من أنت؟!.. أأنت حقًا «بير» زوجتي التي تركتها في المنزل.. لقد بحثت عنك ولم أجدك.. من أين أتيت بهذا الثوب الرائع؟!!، وهذه الجوهرة كيف حصلت عليها؟!.. وأمسك بيديها التي مازالت ترتعش ولم تشعر بالاطمئنان حتى قبض «ساكو» على يديها وأخذ بها ومشى وسط ذهول الجمع الغفير، وصارت «تير» محط أنظار الجميع الذين تحولوا عن «تينو» التي نظرت إلى «تير» بحقد وغل لم تعرفه من قبل، بعد أن وجدت نفسها تقف وحيدة بعد أن انفض عنها الجمع.

لم تطق «تينو» هذا الموقف فانسلت راجعة إلى البيت غاضبة حانقة ساخطة على ساكو» وعلى «بير».

كاد الفجر أن يبعث بخيط الشمس الذهبية لتغمر الكون البهية من عيون «بير» و«ساكو» بعد أن عادت الألفة بينهم وجملهما الود الذي كاد أن يفتر ويزول.

دخل «ساكو» البيت تتبعه «بير» ليجدا «تينو» وقد احمرت عيناها وكمد صدرها وسُمع زفيرها وشعث شعرها وبدنها يرتعد.

أغفل «ساكو» النظر إليها وذهب يتبع «بير» إلى غرفتها، وقبل أن يدلف من الباب كانت يد «تينو» تقبض على كتفه وتجذبه إلى وسط الدار... وقالت له: ألم ترني .. هما أنت تتركني مهملة وتتجه إلى غرفتها، هل سألتها أين كانت ليلة الأمس؟! وكيف حصلت على هذا الثوب؟!، ومن ذا الذي أعطاها هذه الجوهرة

الثمينة، وهل وهبها لها دون ثمن؟! وما الثمن الذي يمكن أن تدفعه امرأة مقابل هذا الثوب وهذه الجوهرة؟!!!!

قاطعها «ساكو» بصفعة على وجهها، فأمسكت لسانها، ولكنها تركت الرجل في دوامة من الفكر، ورغم أنه كان يثق ي أن «بير» من أشرف نساء القرية، ومن بيت طاهر ولا يمكن أن تزل قدميها ولو مقابل كنوز الدنيا.

دخل «ساكو» على زوجته «بير» وقد تغير وجهه واحتد صوته، وقال لها : سبق أن سألتك من أين أتيت بهذه الأشياء الثمينة؟! وقلت لي عندما نذهب إلى الدار ستخبريني ، وها نحن بمفردنا ويجب أن تخبريني الآن بمصدر هذه الأشياء.

أخذت «بير » بيد زوجها وأجلسته في حنان ومودة ، وبدأت تقص عليه قصتها مع الثعبان.

قال «ساكو» ما تقولينه يصعب تصديقه فإن الثعبان الذي تتحدثين عنه لم يره أحد وعاد إلى الحياة..

أقسمت «بير» على صدق كلامها وأخبرته بأنه في الصباح ستعيد الثوب والجوهرة إلى كهف الثعبان ويمكن أن يرافقها حين ذاك.

أخذ «ساكو» «نير» بين يديه وأغدق عليها من الحنان ما يعوض الأيام والليالي التي تركها نهبًا للوحدة والشقاء.

وفي الصباح خرج «ساكو» إلى عمله، وكانت «تينو» قد أرسلت واستدعت والدتها التي جاءت على وجه السرعة، وكانت «تينو» قد استرقت السمع وعرفت بقصة الثعبان، وجلست وأمها يتدبران الأمر.

قالت الأم: إن «نير» بذلك ستستعيد مكانتها في قلب «ساكو» وأهل القرية وسيذهب ما فعلته خلال الأيام الماضية هباء، وستتحولين إلى الزوجة الثانية التي

تتجرع الذل والهوان.

قالت «تينو» : لا يهمني «ساكو» الآن فإن «نير» قد وقعت على كنز ثمين ولا بد أن يكون في كهف الثعبان ثياب وجواهر أكثر من تلك وأعظمك، ولابد من الحصول عليها لأصبح أغنى نساء القرية، بل أغنى نساء العالم، وأجعل «ساكو» الذي لطم وجهي وزوجته عبداً عندي.

قالت الأم :وكيف؟!

قالت «ستينو»: أولاً أجعل الثعبان ينقلب على «نير» ويصب غضبه على القرية باكملها، ثم أتحايل على هذا الثعبان، وأستدر عطفه وأتمكن منه، وما عليك الآن يا أمي إلا أن تشغلي «نير» حتى أنتهي من عملي..

قالت الأم: وماذا ستفعلين؟

ستعرفين فيما بعد

قامت الأم وتوجهت إلى غرفة نير وقالت لها: إن ابنتها «تينو» تعاني مما حدث بالأمس ولا يوجد في البيت ماء تغتسل به وأنا لا أقوى على إحضار الماء ، فأرجو منك أن تسرعي بإحضار الماء حتى نعمل على انخفاض درجة حرارتها التي في ازدياد وقد أصابتها الحمى!

لم تتوان «نير» وحملت جرتها وأسرعت نحو النهر لتأتي بالماء.

قامت تينو وتوجهت إلى غرفة «نير» وأحضرت الثوب وأخذت تمزقه وحولته إلى قطع صغيرة، وبحثت عن الجوهرة فلم تجدها، فتركت المنزل وهربت هي وأمها.

عادت «نير» لتجد الثوب على الأرض ممزقاً فأخذت تصرخ وتولول .. حتى جاء «ساكو» فأخبرته بما حدث، وأن «تينو» بعد أن فعلت فعلتها هربت وتركتها



في هذه الورطة التي ستعود عاقبتها عليها وعلى القرية..

أجمعت القرية على صوت «تير» وعرفوا بقصة الثعبان وخشي الجميع من وطأة الثعبان والعواقب المنتظرة والتي قد تؤدي إلى تدمير القرية.

قالت «تير»: أنا من يقع عليها اللوم وما كان يجب أن قبل هذا الثوب تحت هذا الشرط، ولكني لم أتوقع كل هذا الحقد وهذا الغل من «تينو».

قال «ساكو»: لن أدعك تتحملين العواقب وحدك ولن أستمر في ظلمك وسأذهب معك إلى الثعبان العظيم وإما أن نموت معًا، أو نعود معًا، هب حكماء القرية وقالوا:

نحن جميعًا سنذهب إلى الثعبان ونقدم له القرابين ونتوسل إليه أن يعفو عن «نير».

كانت «تينو» وأسرتها قد غادروا القرية هربًا من أهلها ومن غضبهم، ولكن «تينو» وأمها دلفوا إلى الغابة وكمنوا في كهف قريب من كهف الثعبان ليعرفوا كيف ستسير الأمور ويحاولون السطو على كنز الثعبان.

حملت «نير» الثوب الذي تحول إلى قطع وفي جنح الليل ذهبت إلى كهف الثعبان وعند الباب وقفت تنوح وتبكي، خرج الثعبان غاضبا وعندما عرف أن الباكية هي الفتاة «نير» رجع عن غضبه وقال لها:

لماذا تبكين، ألم تحضري الحفل؟ أولم يكن الثوب مصدر سعادتك أم أنك عدت لتعيدي الثوب.

زاد بكاء الفتاة وهي تنثر قطع الثوب، فلما رأى الجلد وقد تحول إلى قطع متناثرة صرخ في الفتاة، وهم أن يلتقمها، ارتعدت الفتاة وألقت الجوهرة في وجهه وأطلقت ساقها للرياح.



زمجر الثعبان وأطلق فحيحه الذي تحول إلى لهيب مستمر كاد يلحق الفتاة، وراح يزحف في اتجاه القرية وأقسم أن يصب جم غضبه عليهم جميعًا.

انتهزت «تينو» وأمها ابتعاد الثعبان عن كهفه ونزلا مسرعين نحوه ودلفا إلى الداخل ولم يشعرا إلا ومئات الثعابين من أبناء الثعبان الكبير تحيط بهما وانقضت عليهما تنهش لحمهما وقد غرقا في بحر السم الزعاف.

وفي تلك الأثناء كان الثعبان أصبح على مشارف القرية، ووجد «نير» ملقاة على الأرض وقد غابت عن الوعي على أثر الاجهاد الكبير الذي بذلته في الجري.

كان الثعبان مازال على غضبه حتى تعثر في الفتاة المسكينة «نير» فرأف بحالها وانتظر حتى استعادت وعيها، فوجدته يقف عند رأسها، فانساب من عيناها الدموع غزيرة.

فقال لها الثعبان: لماذا لم تحافظي على الأمانة التي حملتك إياها؟.

لم أفرط في الأمانة فقد احتفظت بالجوهرة التي ألقيتها أمامك، أما الثوب فقد قامت «تينو» بتمزيقه غلاً وحقدا.

نظر الثعبان حوله فوجد أهل القرية يقتربون منه ويتقدمهم الفتى «ساكو» يحمل القرابين ويركعون أمامه متوسلين أن يعفو عن تلك الفتاة الأمينة الطيبة.

كانت «نير» مازالت تنظر إلى الثعبان في خضوع وتوسل، فرق قلبه لها بعد أن عرف صدقها وحب أهل القرية لها، فلفظ من جوفه الجوهرة الثمينة لتقع عند قدمي الفتاة وعاد أدراجه إلى كهفه ليجد أولاده مازالوا ينهشون جسد الفتاة «تينو» وأمها.



البوق العاجي

كان الملك «ياموها» زعيم قبائل «يويا» ملكه شاسع وثراؤه واسع، ولكنه كان من طبعه الخبث والدهاء والمكر والخداع وسوء النية، وكان يحقد على كل من حوله حتى أقرب الناس إليه ويتوسم فيهم الشر والخيانة.

له من الأبناء ولدين «تيرانا» الابن الأكبر و«ديراند» الابن الأصغر، كان الابن الأكبر على عكس أبيه، كريم الخصال، دمث الخلق، عف اللسان، طيب المعشر، نقي السريرة، جواد سخي، فأحبته الرعية وتعلقوا به.

كان الأخ الأصغر، مثل أبيه سيء الطبع، منافق، شحيح بخيل، يسعى والخراب بين يديه فكرهته الرعية ونفروا منه.

شعر الملك أن ابنه الأكبر يزلزل العرش من تحته، فكرهه وتمنى زواله وموته، وأراد أن يرثه ابنه الأصغر العرش من بعده، ولكن كيف و«تيرانا» على قيد الحياة، فجلس هو والابن الأصغر يفكران ويدبران، كيف يحدثون وقيعة بين الأمير والرعية أو التخلص منه، وتفتق ذهنهما أن يرسلاه في مهمة لا رجعة له منها، وإذا عاد ولم ينجزها كان العار والخزي وعدم أهليته للعرش.

كانت الممالك حول هذه المملكة بينهم حروب وصراعات عمد الملك «يوماها» إلى إشعالها حتى يفقدوا قواهم ويظل هو على قوته، وكانت هناك عصابات متوحشة ولصوص طريق ومخاطر شديدة.

على الساحل البعيد كان هناك حصن قوي، يخضع لملك «يوموها» وبه «بوق عاجي قديم» ورثته قبائل «يويا» منذ زمن بعيد ويعتبر أهم كنوز هذه القبائل.

في قاعة العرش جلس الملك وعلى يمينه ابنه الأكبر وعلى شماله ابنه الأصغر وجمع كبير من أشراف المملكة وحكمائها، فتكلم الملك موجهًا حديثه إلى رجال

الدولة فقال:

لقد اشتد الصراع في الممالك المجاورة وأخشى على البوق العاجي أن نفقده وهو ميراثنا من السلف ويمثل عزنا وفخرنا، وإذا فقدناه فقد يكون في ذلك دمارنا وذهاب ريحنا.

فقال أحد الحكماء: لابد أن نجلب هذا البوق مهما كلفنا الأمر قبل أن يستولي عليه أحد، ولكن من هو القادر على اجتياز هذه المخاطر.

قال الملك: لو لم أخشى على الأمير العظيم «تيرانا» لأرسلته لإحضار البوق العاجي الذي هو رمز عزتنا وفخر أمتنا.

أثارت هذه الكلمات نخوة الرجال وشهامة الفرسان وكرم النبلاء في الأمير الشاب، فنهض وقال:

أنا لها، ومن غيري أولى بهذه المهمة.

قال الملك: أنت خليفتي ووريثي على العرش ويجب عدم المخاطرة بحياتك.

فقال تيرانا: ليس هناك مفر من قيامي بهذه المهمة.

نظر الملك «ياموها» إلى ابنه الأصغر «ديراند» نظرة تنم عن الخبث وأنهما ذاهبان إلى المراد.

قام الأخ الأصغر وقال: أيها الأخ العزيز أنت أميرنا ونخشى عليك المخاطر.

فقال تيرانا: إنني فداء وطني.

فقام الملك وقال: إذن عليك أن تتجهز لهذه الرحلة وتحافظ على نفسك لتعود لنا بالسلامة.

احتشد جمع غفير من أفراد الشعب والرعية وبعض الحكماء ليثنوه عن القيام

بهذه الرحلة وراح بعض الحكماء يهمس في أذن الأمير بأن هذا المخطط من تدبير الملك والأمير الصغير للتخلص منه وإزاحته من طريقهم إما بالموت أو الإهانة والسخرية والحط من قدره.

ازداد الأمير عزمًا على إنجاز هذه المهمة والعودة بالبوق العاجي، فقال له الحكيم: إذا كنت مصممًا على السفر، فعليك أن تقوم بزيارة العجوز «ني» وأن ينصت إلى نصحها والأخذ برأيها.

ذهب الأمير إلي كوخ العجوز عند أطراف الغابة، فاستقبلته بوجه بشوش وقبل أن يتكلم بادرته بالحديث: إذاً فقد أصررت على القيام بالمهمة ولا تخشى أن يكون فخًا منصوبًا لك ليردوك ويكون إما حتفك أوخذلانك.

قال الأمير: لكل منا قدره الذي سطر على جبينه وما كان يومًا الخذلان والعار عاقبة للشجاعة والنبل ودائمًا ما ينتصر الخير والذكاء على الشر والدهاء.

نظرت العجوز إليه بعطف وحنان وقالت له:

عند شروق الشمس، اذهب إلى شجرة النبق عند سفح الجبل، ستجد حصانًا أبيض اللون بدون سرج وعليك أن تروضه وإذا تمكنت منه امتطه ولا تضع عليه سرجًا، وهو الذي سيريك الطريق ويسلك لك الدروب للوصول إلى الحصن الحصين، وفي الطريق ستقابلك عدة مخاطر، وإليك هذه العصا التي ستحميك من الشرور وتجنبك من المخاطر.

شكر الأمير العجوز وهم أن يخرج من باب الكوخ، فنادته العجوز وقالت له: عليك أن تحرص ولا تنام في فراشك حتى تعود، واعرف أنك لا تأخذ كلامي على محمل الجد، ولكن كن حذرًا.

نظر الأمير إلى المرأة العجوز، وكأنها قرأت فكره وعرفت ميله إلى عدم



تصديقها، فانصرف وعلى وجهه علامات التعجب والدهشة.

ومع خيوط الفجر الأولى كان الأمير في طريقه إلى سفح الجبل، فوجد حصانًا أشهب في لون الثلج، وما أن اقترب منه الأمير حتى شب الحصان وكاد أن يطأه بقدميه الأمامية، فأسرع الأمير وتفادى رفسته وما كادت ساقاه تلمس الأرض حتى قفز الأمير وأمسك بغرته وامتطى ظهره.

أخذ الصحان يشب ويقفز وينط والأمير قد التصق به وتشبث، كانت شجاعة الأمير وسيلته في ترويض هذا الشهاب البري وتمكن من السيطرة عليه وامتطى صهوته، فأطلق الحصان ساقيه للرياح.

بدأ الأمير يوقن أن كلام العجوز قد يكون صحيحًا فتشبث بالعصا التي أعطته إياها كما تشبث بغرة الحصان، وقد هاله أن يرى الحصان كأنما يسير على خطاً مرسومة ومحفوظة يعبر أنهارًا ويجتاز جسورًا حتى وصل إلى مفترق طرق، وأبطئ الحصان من خطواته حتى وقف وكأنه ينتظر إشارة ما.

تذكر الأمير قول العجوز ومهمة العصا، فرفع يده بها فإذا بالعصا وكأنها وقد دبت فيها الحياة فتنثني وتشير إلى أحد الاتجاهين، يهز الأمير الحصان فينطلق متجهًا نحو الغرب.

مع غروب الشمس في الأفق وصل الأمير إلى بعض الأكمه وعندما اعتلاها وجد مدينة على مرمى البصر. اقترب الأمير ونصح العجوز يتردد على مسامعه، وعرف بأن عليه أن يتوخى الحذر دخل الأمير المدينة فوجد جمعًا غفيرًا في انتظاره يرحبون به وكأنهم على علم بميعاد وصوله، وأرشدوه إلى الدار التي سيبيت فيها.

ألجم الأمير الحصان بعيدًا عن الدار التي دخلها شاهرًا العصا، وكان قد أرهقه طول السفر، فاغتسل وتناول بعضًا من الطعام الذي وجده على مائدة،



وأغفله جوعه وعطشه عن الحذر، وكان بالطعام بعضًا من العشب الذي يذهب بالإنسان إلى عالم النوم ولا يفيق منه إلا بعد عدة أيام.

راح الفتى في ثبات عميق، وفي الهزيع الأخير من الليل كانت يد الغدر تعبث في ظلام الليل فأحالت الدار إلى جمرة من النار..

لم تكن العصا على حال سيدها من الغفوة، فأخذت تتلوى وتنثني وتنفرد، والحصان قد علا صهيله في محاولة يائسة لإفاقة الأمير.

مازالت النار تقترب من جسد الأمير، والدخان قد عبق المكان، فإن لم تقض عليه النار قضى عليه الدخان، ومازالت العصا تتلوى وتكاد تحمل صاحبها لتقذف به خارج الدار، وبعد محاولات مضنية تمكن الفرس من فك لجامه واقترب من النافذة، فتشبث العصا لتلتف حول رقبته، وقام الحصان يجذبها وكانت قد التفت حول معصم الأمير، وتمكن الحصان والعصا من إخراج الأمير من وسط الدار الذي تحول إلى كومة من الرماد.

عند شاطئ النهر بدأ الأمير يستعيد وعيه، أفاق ولم يصدق الذي صار فيه بعيدًا عن تلك المدينة، غير أنه وجد جماعة من أهلها قادمين عليه ليهنؤه بسلامة النجاة من هذه المحنة وودعوه وسط الدعوات باجتياز المخاطر، والعودة سالمًا.

امتطى الأمير صهوة الحصان، بعد أن عبر له عن شكره وامتنانه، وأمسك بالعصا وانطلق حتى وصل إلى عدوة نهر، توقف الحصان وكأنه يشعر بدنو خطر، واحتار الأمير، حيث إن العصا تشير عليه بضرورة التقدم إلى الأمام وعبور النهر.

خاض الحصان النهر على غير إرادته، وسلك طريقًا يؤدي إلى دغل مليء بالوحوش الضارية والزواحف السامة، ولكن كان للعصا مفعول السحر، فتراجعت أمامها الوحوش وانسحبت الزواحف إلى جحورها.

طال الطريق وامتد والأمير يسير على هدي الحصان والعصا، وفجأة يفزع الحصان وتنحني العصا أمام حية كبيرة ملتفة حول نفسها، وقد رفعت رأسها وكأنها جزع شجرة ضخمة باسقة، جرسها يصم الآذان وفحيحها يفزع الركبان، كان نظرها مسلط على الأمير الذي ظن أن اليوم يوم هلاكه وأن العصا قد بَطُلَ مفعولها وقد جثا الحصان على ركبتيه.

تمالك الأمير رباط جأشه ونظر إلى الثعبان نظرة تحدي وكبرياء، ولكن ما أفزعه أن سمع الثعبان يسأله: لماذا أتيت إلى هذه الأغوار التي لا يخرج منها داخل.

قال الأمير: أنا الأمير «تيرانا» ابن الملك «يوموها» زعيم قبائل «يويا» وقد أرسلني والدي في مهمة مقدسة لإحضار البوق العاجي.

قال الثعبان: الملك «يوموها» ذلك الذي يسعى بالشر بين الناس ويشعل نار الحروب ويذكي سعيرها لتدمر البلاد وتشقي العباد وقد جمع حوله قومًا من الطغاة يثيرون الحروب والصراعات من أجل السلطة والمال وكرسي العرش، لم القتال والصراع والإنسان إلى فناء وموت؟.

قال الأمير: ما تقوله صحيح ولكنها النفس البشرية الأمارة بالسوء، وطبيعة الإنسان التي تدفع الإنسان للتناحر والصراع وقتل الأبرياء وتشريد الشعوب، وهتك الأعراض وترمل النساء وتيتم الأطفال.

قالت الأفعى: أنتم معشر الإنسان حمقى، تقتلون وتتصارعون من أجل الأحقاد والأطماع والريش والديباج، أما في عالم الحيوان فلا أحقاد ولا أضغان ولا يتقاتل إلا إذا جاع.

قال الأمير: أنا لا أسير على نهج والدي الملك ولكني أطيعه لأن طاعته واجبة ولشعبي ورعاياي حق عليَّ وقد وعدتهم بأن أحضر البوق العاجي.

قالت الأفعى: اعرف ما أنت عليه من خُلق طيب وسمات صالحة، اعبر واسلك هذا الطريق وصاحبتك السلامة.

انتفض الحصان وتابع سيره والأمير شاهرًا عصاه وتوغل في غابة كثيفة الأشجار كثيرة الدروب، وإذا بنهر يتتبع أثرهما، مسافة طويلة، حتى اقترب الأمير من نهر وقام باجتيازه، وعندما وصل إلى العدوة الأخرى، وجد النهر يعترضه صارخًا فيه: ماذا أتى بك إلى هنا، ألا تعرف بأنك ستلقى حتفك وتفقد شبابك.

أعاد الأمير على سمع النهر قصته وسبب مجيئه وضرورة وصوله إلى البوق العاجي.

لان النهر ورق صوته وأخبر الأمير بالطريق الذي يسلكه وأنه سيصل إلى الحصن عند غروب الشمس.

شكر الأمير لين عريكته ودماثة خلقه وتركه بعد أن ودعه وسلك طريقه إلى الحصن.

وصل الأمير إلى مشارف الحصن فوجده حصنًا حصينًا منيعًا، عالي الأسوار مدججًا بالحراس الذين يتربصون بكل من يقترب من الحصن، فعرف أن دخوله الحصن سيكون صعبًا ولكنه كان قد عقد العزم على إحضار البوق العاجي، حتى وإن فقد حياته في سبيل ذلك.

نزل الأمير عن صهوة الحصان وجلس تحت شجرة مشرفة على الحصن يفكر في وسيلة تمكنه من الدخول والحصول على البوق العاجي.

سمع الأمير صوتًا حانيًا يدعوه: مرحبًا بالملك الذي سيكون.

التفت الأمير، فوجد امرأة عجوز تقترب منه متوكئة على عصا تشبه العصا التي يحملها.



فقال لها: أيتها العجوز الطيبة، لما تدعونني بالملك الذي سيكون.

قالت العجوز: لقد عرفت قصتك وما أتيت من أجله وأعرف المجازفات التي خضتها لتصل إلى هنا.

كيف عرفت كل هذا؟ قاله الأمير.

قالت العجوز: من عجوز مثلي رأفت بحالك وأرشدتك إلى الحصان وحملتك العصا، والأن عليك أن تتبعني.

قال الأمير: وكيف السبيل إلى دخول هذا الحصن المنيع واجتياز أسواره والتغلب على العسكر الذين يحرسونه والذين بداخله.

قالت العجوز: عليك أن تختفي حتى يرخي الليل سدوله وعندما يعم الظلام اتبعني وسأرشدك إلى دخول الحصن.

سار الأمير يتبع العجوز وهو يحدث نفسه: إذا ساعدتني هذه المرأة في الدخول فكيف سيكون الخروج؟

وهل سيتركني الحراس أخرج بالبوق العاجي؟

ولكن ليس أمامي إلا أن أتبع هذه العجوز، فإن ما يجعلني مطمئنًا بعض الشيء، أنها تحمل عصا مثل التي أحملها.

تبع الأمير تحت شجرة متواريًا عن الأنظار وتناول بعضًا من الطعام الذي قدمته العجوز له، وارتوى الحصان وأكل حتى جن الليل وأرخى سدوله.

أقبلت العجوز على الأمير، وكانت في شكلها وهيئتها قد تخطت المائة وأقد ابيض شعرها وانحنى جيدها وظهرت عروقها، ولكنها في مشيتها ورشاقتها كانت ابنة العشرين أو أقل.



ألجم الأمير الحصان وربطه إلى جذع الشجرة، وتقدمته العجوز، إلى خلف أسوار الحصن وعند مكان مهجور، ينفذ منه ماء النهر إلى داخل الحصن، طلبت العجوز من الفتى أن يتبعها، وفي لحظة كانت العجوز تمر بنفسها إلى ماء النهر وتغوص فيه.

قفز الأمير إلى النهر وغاص يتتبعها حتى وصلا إلى باب من الحديد موصد، قامت العجوز بتحطيم المزلاج والمحابس بواسطة العصا التي تحملها، وما هي إلا أمتار وكانت العجوز والفتى داخل الحصن.

ومن نفق إلى آخر، ومن دهليز إلى سرداب، وغرف تعج بالحرس الراقدين، وعندما يجدان حراسًا يقظين كانت العجوز تشير إليهم بالعصا، فيغشاهم النعاس وهم واقفين، حتى وصلوا إلى باب كبير الحجم، فتأخرت العجوز، وقالت: الآن أصبح الأمر بيدك، وعليك أن تدلف من هذا الباب، وأن تأخذ حذرك من الفخاخ الموجودة في البهو، وأنك ستجد البوق العاجي، على منضدة تتوسط البهو، وما عليك أن تدخل الحصن وتحصل عليه بسرعة قبل أن يفيق الحرس.

دخل الأمير من الباب تسبقه عصاه التي تشير إلى مكان الأفخاخ الكثيرة حول المنضدة، وسار حتى وصل إليها وحمل البوق العاجي ولم يجد معاناة في الخروج من البهو، بعد أن اختفت الأفخاخ.

عند باب البهو لاقى العجوز في انتظاره، فنظرت إليه فرحة وهنأته على نصره وامتلاكه البوق العاجي وطلبت منه أن يرفعه إلى شفتيه وينفخ فيه.

قال الأمير: ماذا تقولين، أنفخ في البوق؟!! إن مجرد صوت مهما كان ضعيف من البوق سيجمع الحراس والرعية وسيكون ذلك هلاكي.

قالت العجوز: هل قالت لك العجوز السابقة وأنا على شيء يسيء إليك ويلحق بك الضرر؟

قال الأمير: لقد كنتما من نعم المعين، لولاكما ما حصلت على هذا البوق، ولكن ما تقولينه صعب

قالت العجوز: ارفع البوق وانفخ فيه.

نفخ الأمير البوق، فأصدر صوتًا اهتزت له أرجاء الحصن، وفي لمح البصر كان المكان يعج بالحراس والقادة والجنود والرعية، وظن الأمير بأن هلاكه هذه المرة واقع ولا فكاك منه، فنظر إلى العجوز وقال لها: كيف طاوعك قلبك الذي ظننت أنه طيب أن يفعل بي هذه الفعلة.

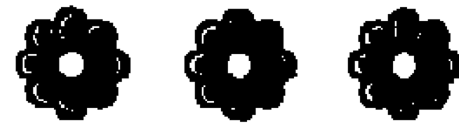
ابتسمت العجوز وقالت: لن يضرك أحد، لأنه بامتلاك البوق أصبحت أنت الملك وصاحب الكلمة، وعندما اجتمع عليه القوم ووجدوا أن البوق أصبح بحوزته، هتفوا به «يحيا الملك» وحملوه على الأعناق، وطافوا به جنبات الحصن التي كادت أن تتصدع من هتافات الشعب.

نظر الملك حوله فوجد العجوز وقد تغيرت هيئتها وصارت في صورة العجوز الأولى التي وهبته العصا وأرشدته إلى الحصان، وهي التي هدته إلى النفق وفتحت له المزاليج.

تطايرت الأخبار فوصل إلى الملك «ياموها» خبر حصول ابنه على صولجان العرش «البوق العاجي»، فغمه ذلك الأمر وقهره، وقبل أن يصل الأمير إلى البلاد عائدًا، وهو منتصر ظافر كان الملك قد مات قهرًا وكمدًا، وهاجر الأخ الصغير البلاد حقدًا وكرهًا.

وصل الأمير البلاد واعتلى العرش وأنعم على الشعب بالخيرات بعد أن وزع عليهم من المال المكتنز وحرر العبيد وأفرغ السجون من المقهورين وحكم بالعدل ونشر الأمن والأمان فتجمعت حوله الرعية ودعوا له بالخير والنماء.

كان زعماء القبائل قد بدأوا يتوافدون على المملكة لتهنئة الملك الجديد، فأخذ يؤلف بين القلوب ويذهب الأحقاد التي بذرها أبوه، ويهدم أسوار الشك التي أقامها، فاجتمعت حوله القبائل وسار السلام وعم الرخاء، واختفى ميراث الشر فلم تعد هناك صراعات ولا حروب، ولكن إلى حين. فإن الخير والشر من سنن الحياة، فلا شر أبدي ولا خير سرمدي، وطبيعة الإنسان لا تتغير ولا تتبدل وإن انزوت وهمدت وخمدت وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.



الجزاء من جنس العمل

لكل فصيل من الكائنات أنواع يطلق عليها «الكناس» أو آكل الرمة يقتات على الفتات والبقايا، وفي الحيوانات يمثل الخنزير والضبع هذا الكناس، فهو لا يقوم بالصيد، ولكنه اعتاد على أن يهيم على وجهه في الغابة يأكل الرمة وبقايا الحيوانات.

كان «لوبو» أمهر شباب القرية وأكثرهم نشاطًا وقد اعتاد على صيد حيوانات اللحوم، ولكنه كان لا يصيد كغيره بالنبال والسهام، وإنما كان ماهرًا في صناعة الشباك وإعداد الفخوخ، ونصب الأكمنة، وقد جعله ذلك محل إعجاب الجميع، فزاد ثراؤه من بيعه اللحوم والجلود وصار من علية القوم، ولم يجاريه أحد فيما يفعل.

وذات يوم وقد نصب الأكمنة وجهز الفخوخ وأعد المصائد، وراح يدور حولها ويتفقد صيدها ويجمع ما حصل عليه، وفي أثناء ذلك قابله رجل عجوز تبدو عليه آثار السنين التي جعلته حكيمًا في قوله رصينًا في فعله فقال «للوبو»: إن ما تفعله لصيد جائر، وسيؤدي إلى اختلال ميزان الطبيعة، وسيأتي يوم ستندر فيه

حيوانات اللحوم، وستتحول إلى جلود نطؤها بأقدامنا أو عاج نزين به الأكواخ أو نصنع منه أدوات الزينة والمائدة، ونحن نصطاد الحيوان ولا نأخذ سوى الجلود والقرون ونترك ما تبقى من لحوم لتفسد وتصير جيفًا.

لم يكن «لوبو» ليكترث لمثل هذا الحديث، فقد كان لا يهتم إلا بما يدخل خزائنه ويشبع جوعه ويحفظ جاهه بين الناس، وكان كثرة المال أقعده عن العمل الجاد وأصبح أكثر أنانية وحبًا لذاته.

مرت أعوام، وحدث ما تنبأ به الحكيم فقد ندرت حيوانات اللحوم، وكان «لوبو» يعود متحسرًا على الشباك الخاوية، وبدأ يفقد مصدر رزقه وتقل ثروته ولكنه مازال أناني كسول.

وذات يومًا وكان يتفقد الشباك والأفخاخ الخالية من الصيد قابله رجل عجوز عيناه الخبث والدهاء وعلى وجهه علامات الشر وبيده عصا قبضتها رأس ثعبان.

توجس «لوبو» منه خيفة بعد أن عرف من هيئته إنه ساحر من الطوافين، بادره السلام فلم يجبه الرجل وأمره أن يتبعه.

وجد «لوبو» نفسه يتبع الرجل وكأنه قد سُلب الإرادة، وعلى شفا حفرة جلس الرجل وطلب من «لوبو» أن يجلس في مواجهته، وعلى غير العادة وجد «لوبو» قلبه يرتعد وجسده ينتفض.

ابتسامة صفراء غامضة تظهر على وجه الرجل الذي قال: أنت «لوبو» الصياد الماهر ولكنك حرمت متعة الصيد وفقدت مورد رزقك بعد أن ندرت حيوانات اللحوم.

شعر «لوبو» بشيء من الاطمئنان الذي حل عقدة لسانه فقال: نعم، ولم أعد

أجد ما أقتات به من اللحم، وقد فقدت معظم ثروتي في صناعة الشباك والفخاخ وقد صارت غير ذي نفع...

قال الرجل: لقد أتى رجال بيض شقراء يحملون أسلحة يقنصون بها الطير في أعالي الشجر والحيوان مهما نفر وابتعد والسمك ولو في قاع النهر، وعندما يصطادون حيوان اللحم يقطعوه أجزاء صغيرة ولا يتخلصوا من شيء فيه فلا فتات ولا جيفة.

وأعرف ذلك ويطلقوا عليها البندقية وكم تمنيت أن أملك منها واحدة، أستعيض بها عن الشباك والفخاخ، وإن لم أكن أخشى على مكانتي كنت سرقت إحداها.

قال الرجل: ومالنا نتحمل عناء الصيد والسعي وراء الحيوان داخل الغابة والتعرض للمخاطر، ونحن يمكننا بدلاً من سرقة البندقية، الاستيلاء على الغنيمة سليمة نظيفة.

- كيف يكون ذلك والرجال البيض يعيشون داخل معسكرات محاطة بالأسوار الشائكة والموانع الحصينة.

- وحده يمكن أن يدلف داخل هذه المسعكرات واجتياز الأسوار.

- من يكون

- الضبع

- وكيف نستأنس الضبع وأنت تعرف طبائعه فهو حيوان خسيس أناني يعيش على الرمم وبقايا الجيف.. إنه أنسب الحيوانات فهو خبير في سرقة اللحوم.

- وماذا لو جعلت منك ضبعًا يمكنه إجتياز الأسوار وتخطي الحواجز.

- أنا كيف؟!!



- لا تسألني كيف فأنا ساحر يمكنني أن أحولك إلى ضبع ثم أعيدك إنسانًا مرة أخرى بعد أن تنهي عملك وتحصل على صيدك.

- الأمر يحتاج إلى تفكير.

- عليك أن تفكر ولكن عليك أن تعلم بأن الصيد المسروق سيتم اقتسامه بيننا بالتساوي.

- وكيف ألقاك إذا أردت؟

- في وسط الغابة بين أكمة من أشجار الشوك ستجد باب كهف هو مكمني ومنزلي.

- الصيد أصبح قليلاً وصارت اللحوم نادرة وعزيزة وتباع لأهل القرية بأثمان مرتفعة، وعن طريق الساحر إذا تحولت إلى ضبع سأتمكن من الاستيلاء على كميات كبيرة من اللحوم، وعندما أجمع ثروة كبيرة أعود إلى هيئتي ويعود لي جاهي وأنازع الرجل الأبيض سلطانه وقوته، دار هذا الحديث بين «لوبو» ونفسه الدونية الأمارة بالسوء، أثناء عودة إلى داره.

وفي الصباح راح يبحث عن مكمن الساحر ليتم الصفقة التي اتفقوا عليه بالأمس، تدخل «لوبو» داخل الغابة يبحث عن الساحر، كانت الأحراش زاخرة بالضواري من الحيوان، وقد حاول الفتى تفاديها حتى وصل إلى حيث وصف له الساحر المكان، والتقاه عند باب الكهف وقال له:

أعرف كم عانيت للوصول إلى هنا، ولتعلم أن معظم هذه الضواري ما هم إلا مخلوقات وقعت تحت تأثير سحري ولذلك لم يتعرضوا لك بالأذى.

- كل هذه الضواري من سحرك.

- نعم وكل حسب طبيعته.

- علينا بالإسراع فقد علمت أن الرجل الأبيض قد اصطاد غزالاً كبيرًا وقد تم ذبحه وسلخه وصار جاهزًا ليوزعه على أهل القرية.

- اعرف كل هذا ولكن هل تعلم لماذا يقوم بتوزعه على أهل القرية.

- لم أفكر في هذا من قبل.

- إنه يريد أن يستولي على عقولهم عن طريق بطونهم، فحين تمتلئ البطون تغلق العيون ويصبح التفكير منحصرًا في كيفية الحصول على الغذاء وإرضاء الشهوات وتكمم الأفواه.

قال «لوبو» أنا لا يهمني ماذا يريد الرجل الأبيض فليستعمر العقول قبل الأرض وليسيطر على الأبدان قبل الأرواح «أنا» أبحث عن مدى استفادتي، فإذا كان الرجل الأبيض سيكفيني عناء الصيد والقنص فأهلاً به، وما عليَّ إلا سرقته.

قال الساحر: نعم الرأي هو.. أنت صاحب الطبيعة التي أبحث عنها. وعندما علمت بقدومك جهزت كل شيء، وها هو الماء يغلي والعشب ينضج، وما هي إلا دقائق ويكون المشروب جاهزًا.

كوب من خلاصة الأعشاب والمساحيق، وكثير من التعويذات والهمهمات، وناول الساحر الكوب «للوبو» وطلب منه أن يزدرده دفعة واحدة دون أن يأبه لمذاقه المرور ورائحته الكريهة.

كان «لوبو» مستعدًا لفعل أي شيء للوصول إلى الأهداف التي أصبحت راسخة في ذهنه والتي توافق طبعه الذي زاد عن الأنانية ليصبح انتهازيًا أكثر من الانتهازيين الأغراب عن بني وطنه وعلى بني جلدته.

ازدرى «لوبو» ما في الكوب حتى الثمالة، دوار بسيط وزيغ في البصر ورجفه في البدن وشعر أسد يكسو الجلد وتقلصات في الظهر يتبعه انحناء وتقوس،

وتحولت الأصابع إلى حوافر صلبة وأذن مستطيلة وفم ممدود ومخالب وأنياب، وهيئة ضبع أفزعت «لوبو» عندما نظر إلى وجهه على صفحات ماء البئر الذي أسرع إليه ليروي ظمأه بعد أن أحس بحشرجة في عنقه وفقد القدرة على الكلام.

عاد «لوبو» إلى الساحر يجر ساقيه خجلاً مما أصبح عليه من هيئة كريهة منفرة قابله الساحر بصرامة وقال له: لم يعد هناك مجال للتراجع فقد أصبحت ضبعًا ويجب عليك أن تسعى لإنجاز ما اتفقنا عليه وبكل جد وسرعة.

توجه الضبع إلى حيث معسكر الرجل الأبيض - الأسلاك الشائكة كثيفة ولا تسمح بمرور الضبع من وسطها، وقف الضبع يفكر وكان يظن أن الأمر هين وسهل، ماذا يفعل ولا يمكنه العودة خاوي الوفاض بعد كل ما حدث.

أخذ الضبع ينشب الأرض ويحفر لنفسه ممرًا تحت السور وبعد عناء تمكن من التسلل وعند زحفه قام السلك بعمل المخالب في ظهر الضبع ولكنه تماسك ولم تصدر منه آهه رغم أن الجرح كان غائرًا.

تمكن الضبع من التسلل إلى حيث الغزال معلق، وكانت قفزة الضبع من القوة بحيث سقط الغزال على الأرض، وبدء الضبع ينشب مخالبه في الرقبة كما يفعل الأسد عندما يصطاد فريسته وراح يسحبها نحو السور.

كان كل من في المعسكر من بيض وسود في غفلة عما يحدث إلى خارج المعسكر سحب الضبع جسد الغزال وذهب إلى حيث الساحر ينتظره وتم تقسيم الغنيمة، وعاد «لوبو» إلى صورته كإنسان.

حاول «لوبو» حمل نصيبه الذي كان ثقيلا وبالكاد حمله وذهب به إلى سوق قرية بعيدة وبسرعة كبيرة تحول لحم الغزال إلى نقود دخلت جيب الفتى «لوبو».



ظن «لوبو» أن الفكرة سديدة وقد تغيرت طبيعته، وبعد أن كان يخشى سرقة البندقية ويخشى على مظهره الاجتماعي، تحول إلى لص من نوع آخر بطبيعة مخالفة.

باع «لوبو» كل نصيبه من الغنيمة دون أن يفكر في أن يبقي جزءًا له يقتات به، وظل يتضور جوعًا وجيبه مملوء بالمال.

كثرت السرقات من معسكر الرجل الأبيض، وكان «لوبو» لا يقتات ويأكل إلا حين يتحول إلى ضبع، فيسير إلى حيث الرمم والجيف ويأكل منها، ليوفر ثمن الطعام والشراب.

كان «لوبو» من الذكاء والدهاء وبمساعدة الساحر لم يتمكن الرجل الأبيض من الإمساك باللص وقد تأكد أن حيوانًا ضاريًا يسطو على حيوانات اللحوم والتي كانت تخصص للفقراء والمساكين.

فكر الرجل الأبيض في حيلة ليصطاد هذا الحيوان، فبعد أن صاد غزال غيره قام بتعليقه على حامل بالقرب من خيمته، وجعل في فراشه دمية، وانتظر حضور اللص وكمن خلف شجرة وبيده بندقية.

ساد السكون المكان وراح الجميع في سبات عميق، شبح الضبع يظهر على الأسوار وهو يزحف متسللاً إلى أن اقترب من الغنيمة المعلقة، وكعادته نظر إلى فراش الرجل الأبيض وظن أنه يغط في نومه، واستدار وانتصب على قوائمه الأربعة وقفز في اتجاه الغنيمة.

وفي هذه اللحظة، انطلقت رصاصة ولكنها لم تصيب الضبع اللص.

انطلق الضبع نحو السور تلاحقه الرصاصات، حتى وصل إلى السور، ولكنه لم يتمكن من الافلات منه، وراح يجري بسرعة داخل السور.



قام أهل القرية على صوت الرصاص، وراح الجميع يطارد الضبع الذي أصيب بالجنون والهلع والخوف، ولكنه تمكن من القفز فوق السور بعد أن استقرت طلقة في كتفه.

أسرع الضبع نحو الغابة حيث كان الساحر ينتظره والغنيمة، رأى الساحر الضبع يجري نحوه مذعورًا وقد فغر فاه وبرز نابه، فوقع في قلبه الرعب وتراجع مسرعًا إلى الخلف ليسقط من فوق الجبل جثة هامدة.

قفز الضبع خلفه فوجده قد فارق الحياة.. نظر الضبع إلى الجثة وقد أصابه مس من الجنون، إذ كيف سيعود إلى طبيعته الإنسانية بعد أن مات الساحر، وبين الضحك والبكاء وفقدان الأمل في العودة والتفكير في الثروة التي تمكن من اكتنازها والتي لم يعد في الإمكان التمتع بها أو حتى الوصول إليها، راح «لويو» يختفي ولا يظهر إلا عندما يرخي الليل سدوله ويخرج مع الهوام يبحث عن الجيف والرمم،، وهو يضحك على حاله ويرثي لها ويشمئز من مظهره المنفر كلما نظر إلى صفحة الماء ليلعق بلسانه مرارة تفكيره وينظر بعينه قبح منظره وهيئة، أما عن طبيعته وأنانيته فلم تختلف فهو أناني وضبع كإنسان كما أصبح حيوانًا وعجبًا أن كان الجزاء من جنس العمل.





بين الرواية والأسطورة

الشبيه

كان «ناصرو» ملكًا يتسم بالشجاعة والعدل وحسن السياسة سمح الخلق، يحب رعيته ويحبوه، الملك حرفته والصيد متعته، وعندما يخرج للصيد يخرج معه بعض من الحاشية والأصدقاء المقربين.

وفي إحدى رحلات الصيد نظروا غزالاً شاردًا عن قطيعه، فاجتمعوا على صيده وأعلن الملك عن جائزة لمن يصيده حيًا ودون أن يمسه بسوء.

انطلق الركب كالريح يلحق بالغزال الرشيق الذي انطلق كالسهم داخل الغابة، تدخل الغزال داخل الغابة والفرسان خلفه يتقدمهم الملك وكأنهم ذاهبين إلى موقعة حربية.

كانت الأشجار كثيفة والأحراش موغلة وبدأ الفرسان يترنحون الواحد تلو الآخر، ولم يستمر في العدو خلف الغزال غير حصان الملك الذي أصر ألا يترك هذا الغزال، ومن دغل إلى آخر ومن سهل إلى سفح، وفجأة اختفى الغزال وكأن الأرض قد انشقت عنه، وغاب عنها.

نزل الملك عن حصانه الذي أصبح يلهث وعند نبع صغير توقف الملك ليرتوي ببعض الماء، ثم قام وألجم حصانه وعقله، وراح يسير بين شعاب الجبل عسى أن يعثر على الغزال الذي شرد منه.

دخل الملك أحد الكهوف فقد يجد فيه الغزال، وأخذ يسير بحذر شديد، وكلما



دخل داخل الكهف زاد الظلام، وقلت الرؤية، تعثرت قدماه بحجر كان على شفا هوة سحيقة مرت لحظات حتى سمع دوي ارتطامها بالقاع، فحمد الله على أنه لم يكن هو الذي سقط، ولكنه راح ينظر داخل هذه الهوة ليتبين قبسًا من النور كان ينبعث من أعماقها يتلألأ ويتلون وفجأة تحول هذا النور إلى عمود من اللهب الصاعد ليلفح وجهه ويجذبه إلى أسفل.

ملك وبيده صولجان يجلس على كرسي العرش، وحوله حاشية، وليسوا جميعًا من الإنس، صوت أجش يصيح في وجه الملك «ناصرو» الذي ذهل عقله واضطربت نفسه، ردد الصوت سؤالاً لم يسمعه «ناصرو» : من أنت؟ وماذا جاء بك إلى بلاد الجن؟

تلعثم «ناصرو» ولم يقو على الكلام إلا همهمة.

صوت آخر يصيح: كيف تجرؤ على أن تقذفنا بالحجارة من أعلى؟ وما لك علينا سبيل إلا قتلك وحرقك بالنار!!

قال ملك الجن: اتركوه حتى تهدأ نفسه ويزول عجبه ويمسح عرقه، ونعرف ما الذي أتى به إلى مملكتنا ويفعل فعلته!!

شعر «ناصرو» ببعض الأمان وطلب كوبًا من الماء حتى تزول رهبته، ويروي عطشه، وكان الجواب: لا يجتمع الماء والنار في إناء واحد.

خرجت الكلمات من فيه «ناصرو» متلعثمة غير مرتبة، فقال: أنا الملك «ناصرو» ملك «نيبار» وقد خرجت مع حاشيتي، وأما عن الحجر الذي سقط عليكم فإن قدماي تعثرت به وأسألك أيها الملك الكريم العفو فإن ظلمة الجهل كظلمة الليل.

قال ملك الجن: ما رأيكم يا معشر الجن؟!



قال كبيرهم: الأمر أمرك ولا معقب عليك!

قال ملك الجن: سأعفو عنك ولكن بشرط.

قال «ناصرو»: وأنا رهن أمرك!

قال ملك الجن: أنت ملك من ملوك الإنس ، وأنا ملك من ملوك الجن، ما رأيك ألبس رداءك وأمسك صولجانك، وأحكم عالم الإنس يومًا، تظل فيه أنت هنا في مملكتي ؟!

قال «ناصرو»: لقد قالها حكيمكم: لا معقب على أمرك!

لبس ملك الجن ملابس «ناصرو» كملابس هيئته وخرج إلى الغابة، وجد الحصان فركبه، وأطلق له العنان ليوصله إلى مملكة «نيبار» التي لا يعرف مكانها، دخل الشبيه المملكة ولا يعرف فيها أحدًا ملوك ولا مكانًا.

كلما مر الشبيه بفرد أو جمع من الناس ركبوا حتى يمر من أمامهم، وظل يلف البلاد وهو لا يعرف الطريق إلى قصر الملك، وكان قد قبض على لجام الحصان فصار يسير حسب هوى الشبيه الذي تحير، فاستنهض فتى من ركوعه وقال له: أمامي إلى قصر الملك!

وعند باب القصر كان الوزير والحاشية والأسرة وفتية مهللين بسلامة العودة، فقابل الشبيه هذا اللقاء بشيء من الفتور وظهر بعض التعب والإرهاق، وأمر فانعقد المجلس وتدفقت الجموع المهنئة تبدي سعادتها بعودة الملك سالمًا، وتكالبت عليه الحاشية والرعية منه من يقبل يده أو كتفه ومنهم من اكتفى بالسلام والتحية، حتى إن الشبيه أصابه التعب، وطلب من الوزير أن ينفرد بالخاصة من حاشيته.

فأمر الوزير وخلت قاعة العرش من عامة الشعب فقال الشبيه: لم كل هذا

الهرج والتدافع والتزاحم من هؤلاء الرعية.

قال الوزير: إنهم مسرورين لكونك حيًا وعودتك سالمًا بعدما أشيع أمس وما سمعوه مما حدث !

- ماذا أشيع وما الذي سمعوه؟

- أشيع أن مولانا - حفظه الله- قد ضاع في الغابة وعندما غابت الشمس ولم تعد حسبنا أنه -لا قدر الله- أنك صرت ضحية لحيوان ضار فعم الحزن البلاد، ولكن الحمد لله ها أنت تعود لنا سالمًا، فأخبرنا بما حدث.

- كانت ليلة فظيعة بعد يوم شاق ومطاردة مثيرة وأنت تذكر عندما انطلقنا خلف الغزالة الضخمة الكبيرة ولكنها كانت ذات رشاقة وسرعة عجيبة.

نظر الوزير إلى الملك مستغربًا وقال: نصر الله الأمير، لم أكن معكم، فلا يمكن أن نترك المدينة معًا.

قال الشبيه: نعم أنت الذي تركتك لتحرس المدينة أثناء غيابي، لقد كان معنا قائد الجيش.

قال الوزير: ولا هذا أيضًا كان معكم، فهو الذي أرسله مولانا إلى إحدى ولايات الشمال، لقد كان معكم ولي العهد وقائد الحرس.

قال الشبيه : نعم .. نعم.. ولي العهد وقائد الحرس.. أين هم عليك باستدعائهم فورًا لأعرف منهم ماذا حدث بعد أن تفرقنا؟!

قال الوزير: نصر الله الملك وعافاه .. إنهم أمامك وفي حضرتك!! وها هو ولي العهد وذاك قائد الحرس ومعهم خادمك المطيع!!

قال الشبيه: لا أدري ماذا حدث لي ليلة أمس.. لقد أصبحت الرؤيا عندي غير واضحة ألم يكن حري بهما أن يتحدثا لأسمعهم فأعرف أنهما هنا.



تقدم ولي العهد وقال: عز الله الملك ونصره .. لقد كانت مطاردة مثيرة استمرت ساعات وعندما طلبنا من مولانا التوقف ، لم تسمع لنا، وكنت آخر واحد خلفك، وعندما ثار الغبار وانعدمت الرؤية توقفت في حين انطلق حصانك ولم تلو على شيء، وبعد ذلك اجتمعنا وتجولنا في الغابة فلم نجد لك أثرًا عندما جن الليل عدنا أدراجنا وقلوبنا مملوءة حزنًا وغمًا، ولكن الحمد لله على تباشير هذا الصباح عدت لنا سالمًا، وعليك أن تقص علينا ما حدث بعد أن فارقتنا وفارقناك، خاصة وقد سمعتك تقول : إنها غزالة كبيرة ضخمة كالثور، وكانت الغزالة التي انطلقت خلفها صغيرة، هل كنت تطارد غزالاً آخر غير التي عرفناها.

قال الشبيه: ما هذا الهراء؟ .. لم تكن صغيرة، وقد كنت أنا أقربكم إليها وأراها جيدًا وقد صممت ألا أتركها تفلت مني، لولا أنها حاورتني كثيرًا واختفت في شعاب الجبال وكان الحصان قد شق عليه الأمر، وصادفني جدول صغير، فارتويت ورويت الحصان، وأصابتني سنة من النوم فلم أصحو إلا مع إشراقة شمس اليوم.

قال الخادم: لعل مولاي كان يريد أن يأخذ الجائزة التي أعلن عنها لنفسه .

قال الشبيه: أي جائزة تعني؟!

نظر بعض الحاضرين والذين رافقوه بالأمس إلى بعضهم البعض ولم ينبسوا بكلمة.

شعر الشبيه بشيء من الارتباك فقال: دعونا مما حدث أمس، ولنعد إلى شؤون الحكم وإدارة البلاد حتى يمكنني أن أخلو بنفسي وأستعيد عافيتي، وتوجه إلى الوزير فقال: هات ما عندك من أمور!

قال الوزير: كل شيء على خير ما يرام، لقد عاد العمال بعد أن جمعوا

الخراج، وعمرت خزانة البلاد وبعد غد يقام سوق الجواري وسيكون في استطاعة مولاي أن يشتري ما يريد.

وقال ولي العهد: ويمكننا أن نشتري ما نحتاجه من عتاد الحرب ولتكن مستعدين للقضاء على حركات التمرد في الجنوب، وإن كان مولاي لا يرى ضرورة محاربتهم، وأرى هذه السياسة ستساعدهم على الاستمرار في تمردهم وسيجتمع إليهم نفر كثير ويثيروا القلاقل في البلاد، وقاطعه الشبيه وقال: دعك مما تراه الآن وناقش هذا الأمر مع مولانا غدًا.. هل هناك شيء آخر؟!

تعجب ولي العهد !! مع مولاي.. ثم أردف قائلاً: وذاك الرجل الذي حبسته بالأمس؟!

- ماذا فعل؟

- لقد امتنع أن يرد الدين إلى أصحابه، وقد أمرت أن يحبس ويعرض عليك اليوم..

- كم دينه؟

- عشرة دراهم!!

- فليحبس عشرة عوام!!

- استغرب الحاضرون الحكم!!

- ترونه قليلاً.. فليحبس مائة عام!!

- قال ولي العهد: ألن تسمع رأي القاضي.

- وأين القاضي هذا؟، ولماذا لم يحضر ليعرض الأمر بنفسه!

- ها هو القاضي أما ناظريك أعزك الله وعافاك.

- ولماذا لم تنطق لأعرفك.. ألم أقل لكم بأن عيني لا ترى بوضوح من أثر



أمس وقد التبس عليَّ الأمر فلم أعد أفرق بين القاضي والحاجب.

قال الوزير: هناك عدة أمور ملحة لا يمكن تأجيلها وخاصة بعد جمع الخراج فبيت المال يحتاج إلى مراجعات وتوزيع المعونات على الفقراء والمساكين وشؤون الجند والعسكر، والصحة والتعليم وإعادة توزيع الفقهاء والمعلمين و ..

- انتظر أيها الوزير .. وأين الوزير المساعد لك والمعاونين من أهل الرأي والخبرة ومجلس الحكم والشورى..

نظر الوزير إلى الشبيه وقال: أعز الله الأمير ومتعه بالصحة والعافية، ليس هناك وزير مساعد ولا شيء من هذا القبيل، فقد عودتنا بأن كل هذه الأمور لا يبت فيها غيرك وأنت صاحب الأمر فيها، ولا تترك لأحد غيرك أن يقرر شيئًا، والجميع راض بحكمك وقانع بحكمتك وعدلك.

قال الشبيه: أنا أفعل كل ذلك وحدي.. ما خلق الله إنسًا ولا جنًا قادر على أن يعلم كل شيء وفي كل وقت مهما بلغ من علم ومعرفة وحكمة، ولابد أن يكون حوله من أهل العلم والخبرة والثقة الذين يعاونونه على النهوض بمملكته ويحقق لرعاياه آمالهم في التقدم والرخاء.

تبادل الحاضرون لنظرات وقال ولي العهد: من الواضح أن الملك إعانه الله في حاجة إلى الراحة يومًا وأكثر يستعيد عافيته وتركيزه ويبدو أن ليلة الأمس كانت شديدة الإرهاق فيجب أن نتركه في سلام..

قال الشبيه: نعم.. نعم.. أنا مرهق وفي حاجة إلى الراحة.

انصرف الجميع وتركوا الشبيه غارقًا في الهموم وكان أكثر همه أنه لا يعرف الطريق إلى مخدعه، حتى الخادم لا يعرف اسمه.

فأخذ ينادي دون ذك الاسم، حتى جاءه أحد الخدم فقال له: يا بني، لقد

أصابني التعب وأشعر بدوار ، فخذني إلى مخدعي لأنال قسطًا من الراحة.

توكأ الشبيه كتف الخادم حتى باب الحريم فتلقنه الجواري، وراحت أخريات ينادين زوجته وبناته اللائي كن بانتظاره.

وجد الشبيه نفسه وقد أحيط بامرأة وثلاث بنات، وكأنهن حوريات من الجنة، فزاد ارتباكه وعرف أن كل كلمة ينبس بها محسوبة عليه ولم يعرف كلامهن رد، فهو لا يعرف شيء عن حياة الملك «ناصرو» الشخصية.

جلست الزوجة تهنئه بسلامة العودة وكانت بناته تسأله عن الليلة التي قضاها في الغابة وحده وعما حدث فيها، وكيف كانت مطاردة الغزال وهل هو كبير كما قال أم صغير كما قالوا.

وراح الشبيه يحاصر بأسئلة كثيرة لا يعرف لها جوابًا، وهو ينظر لهن في بلاهة واستغراب فتعلل لهم بأنه غير قادر على الحديث وطلب منهم أن يتركوه إلى الصباح عندها يكون مستعدًا للحديث معهم.

لم تتركه الأسرة إلا بصعوبة بالغة وبعد إلحاح شديد منهم وتملص كبير منه، وكان جميع من بالقصر قد تحير من أمر الملك الذي تبدل حاله في يوم وليلة، فقد أصبح عابسًا وهو الباش المرح، ولا يعرف في أمور القضاء شيء وهو الحكيم، وطالب بتوزيع الاختصاصات وهو المتفرد بشئون الحكم، وظهر جهله بدروب المملكة ومنازل قصره والذي كان قد تلاحظ للجميع أنه لم يذكر اسم أي فرد من الحاشية أو أفراد أسرته.

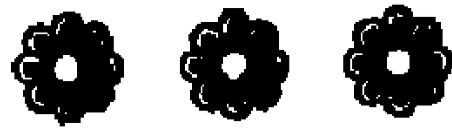
أرخى الليل سدوله وأسرع الشبيه وامتطى الحصان وعاد إلى الغابة ودخل إلى عالمه، فوجد الملك «ناصرو» قابعًا في مكانه لم يتحرك ولم يغادر غرفته مطلقًا، فقال له: كان الله في عونك: ما كل هذه الأحمال الذي تحملها على عاتقك؟ وتشغل بها عقلك؟ وما كل هذه الثرثرة؟ لقد سمعت في نصف نهار أكثر مما



سمـمت طوال حـياتي، فـإن الناس لا تغلق أفواهها ولا تعقل لسـانهـا، ومـا أكـثـر الأسواق عندكم والتي تجمع الشريف والمحتال والصادق الأمين مع الكاذب الأثيم، والتملق والنفـاق والغش والخـداع، ولا أنكر أن بينهم من أهل التـقـوى والورع الكثـيـر ولكنهم مـحـجـوبون عنك وصـوتهم بعـيـد عن آذانك، فـاقـتـرب أنت منهم وابحث عنهم، فلابد للحاكم من أعوان مخلصين حكماء نابهين.

تسامـر الملكان وعقـدت بينـهـمـا أواصـر الصـداقـة، واتفـقـا على تـبـادل الزيارة، وخـرج «ناصـرو» من الكهـف مـحـمـلاً بكنوز كـثـيـرة مع الوعـد بأن تنفق في أوجـه الخير والبر، ومع إشـراقـة الصبـاح قـام الملك «ناصـرو» ينادي أسـرته فـردًا فـردًا وراح يداعب الجميع ثم أمـر فعقـد مجلس الدولة وأصدر تعليمات بأن يعين نائبًا له من كل ولاية ووزيرًا لكل دائرة وفقيه لكل جماعة وشيخًا لكل صناعة وخفض الجباية ووزع الهبات والعطايا.

قال الوزير: سبحان الله ما بين عشية وضحاها يغير الله من حال إلى حال!!!



بين الحكاية والأسطورة

أنانسي العنكبوت المحتال

تشتهر غرب أفريقيا بالأقاصيص والروايات الخرافية عن العنكبوت ومنها :

أن العنكبوت كان يعيش بالسماء العلا في عالم الآلهة، فهفت نفسه بالنزول إلى السماء الدنيا، فتوسل للإله الأعظم أن يسمح له بذلك، فسمح له على شرط أن يأتيه بمائة عبد من خيرة شباب الأرض.

شكر العنكبوت الإله وطلب منه أن يهبه عرنوس ذرة فوهبه إياه مستغربًا كيف سيأتيه العنكبوت بمائة عبد.

هبط العنكبوت يحمل عرنوس الذرة وصار يجوب الأرض، وصادف قرية فدخلها وقام زعيم القبيلة باستقباله.

زعم العنبكوب أنه رسول الإله إلى أحد الملوك ويحمل إليه عرنوسًا من الذرة، ويخشى على هذه الهبة الإلهية الضياع وطلب من زعيم القبيلة أن يدله على مكان آمن يضع فيه العرنوس حتى الصباح.

صاحب زعيم القبيلة العنكبوت منفردين وقاموا بدفن العرنوس وعادا إلى الدار، وذهب كل إلى مخدعه، غض الجميع في نوم عميق.

قام العنكبوت متسللاً، وأخرج العرنوس وفرط حباته وأعاده خاليًا إلى مكانه



ثم أكل الحب وأبقى على بعضه ونثره عند باب أولاد زعيم القرية.

أشرقت الشمس وتناول العنكبوت إفطاره ثم ذهب لإحضار العرنوس، وعندما أخرجه وجده بدون حب، صرخ العنكبوت، لقد سرق الحب الإلهي وسيعود ذلك بالخراب على القرية وأهلها.

قال الزعيم: لقد دفناه سويًا ولا يعرف أحد مكانه سوانا.. قال العنكبوت: قد يكون أحد من أولادك قد تتبعنا وعرف مكانه ثم تسلل وفرط الحب وأخذه.

عاد الاثنان إلى المنزل وبحثا في أرجائه، فوجد الزعيم بعضًا من الحب علي باب غرفة أبنائه فأيقن أن أحد أولاده هو الذي فعل الفعلة.. وأسرع يتوسل إلى العنكبوت أن يتضرع إلى الإله ويغفر لأبنائه زلتهم وأنه مستعد للتضحية وتقديم القرابين.

اختفى العنكبوت بعضًا من الوقت، ثم عاد إلى زعيم القبيلة يخبره أن الإله قد يغفر لأبنائه إذا ما قدم عددًا من الدجاجات والماعز ، فقدمها زعيم القبيلة راضيًا وودع العنكبوت وهو يسوق أمامه الماعز ويحمل أقفاص الدجاج.

عبر العنكبوت النهر واستمر في سيره فدخل قرية أكثر حظًا وثراء من سابقتها فالتقى زعيمها وأخبره أنه رسول الإله الأعظم إلى إحدى القرى ومعه بعضًا من الدجاج الذي يبيض ذهبًا، وأنه يقتات على لبن الماعز.

رحب به زعيم القبيلة وأقام له وليمة عظيمة دعا إليها أهل القرية ليتبركوا برسول الإله وبعد السمر والانتهاء من الاحتفالات، طلب العنكبوت من الزعيم توفير مكان آمن لمبيت الدجاج والعنزات.

لم يكن هناك آمن من الغرفة الملحقة بدار زعيم القبيلة وخلد الجميع إلى النوم بعد أن اطمأن العنكبوت لمبيت رفاقه.

وفي الهزيع الأخير من الليل تسلل العنبكوت إلى الغرفة وخنق زوجًا من الدجاج وسحبها خارج الغرفة وألقى بها في النهر بعد أن نتف بعضًا من الريش ونثره عند باب زوجات الزعيم.

وفي الصباح سمع الجميع صياح الزعيم وهو يصرخ لفقد زوج من الدجاج وخرج العنكبوت من غرفته وبدت على وجهه علامات الغضب لسرقة الدجاج وحذر الزعيم بما سيناله وفريقه من سوء العذاب وانتشار الخراب.

أخذ الزعيم يهدئ من ثورة العنكبوت ويتوسل إليه بالغفران وأنه وأهل قريته مستعدين للتضحية وتقديم القرابين.

ومرة ثانية يختفي العنكبوت فترة من الزمن ثم يعود ويخبر زعيم القبيلة بأنه توسط لدى الإله الأعظم وكم عانى حتى أقنعه بأن السارق من خارج القرية، فقبل الإله الأعظم وساطته على أن يقدموا عشر بقرات سمان قربانًا للآلهة.

اجتمع أهل القرية وهم يودعون العنكبوت وهو يغادر القرية يسوق أمامه عشر بقرات والعنزات ويحمل ما تبقى من دجاج، وكان أهل القرية يشكرون الإله أن خرج هذا المبعوث من قريتهم وهم آمنين.

مازال العنكبوت يجول في الأرض يتخير فريسته التي يحتال عليها وفي أحد الأودية قابل رهطًا من الناس يحملون جثمانًا ويسوقون بعضًا من الماشية، فاستوقفهم يسألهم عما يحملونه فأخبروه أنه كان يصحبهم في تجارة وقد وافته المنية وأنهم يعيدونه إلى قريته ومسقط رأسه وعرف منهم أنهم ليسوا من أهله، فقال لهم إنه في سبيله إلى هذه القرية وإنه قريب له وعرفانًا منه بما فعلوه، فإنه يهبهم العشر بقرات والدجاج والعنزات، فشكروا له ذلك وحمل الجثمان واتجه إلى إحدى القرى البعيدة عن قرية الفتى المتوفي.

دخل العنكبوت القرية يجر عربة عليها جثة هامدة، فقابله زعيم القبيلة، وبعد أن رحب به سأله عن ذلك الجسد الساجي على العربة دون حراك، فأخبره العنكبوت بأنه الابن الأكبر للإله الأعظم وقد أرهقه التعب فغشيه النوم، وإنه إذا نام فلا يوقظه أحد إلا بعد ثلاثة أيام، وهو نائم منذ يومان وفي الصباح سيفوق من نومته، وأنه سيبارك قريتهم التي أحسنت وفادتهم واستقبالهم.

وكانت الحفاوة والموائد والسمر والرقصات حتى بزوغ ضوء الفجر والجميع في انتظار ابن الإله أن يفوق من سباته.

توسطت الشمس كبد السماء، وقام العنكبوت من نومه ووجد أهل القرية يحيطون به، فطلب من بنات زعيم القبيلة أن يذهبن ويبتهلن عن قدمي ابن الإله ليفيق من سباته.

ذهبت الفتيات وحاولن أن ينادوا ابن الإله ولكن لا حياة لمن ينادي، فعدن إلى العنكبوت يخبرنه بأنه لا يقوم من نومه، فأخبرهم بأن يضربوه ضربًا خفيفا على وجهه، عندئذ سيقوم من نومه. فعدن إلى الجثة الساكنة وأخذن يضرب وجهه فلم يفيق، فعدن إلى العنكبوت وأخبروه بأنه يذهب هو لإيقاظه، فتعلل بأنه يتناول فطوره، وناولهن عصا غليظة وقال لهم بضربه واحدة.. واحدة فقط على مقدمة رأسه عندها سيستيقظ.

عادت الفتيات وضربنه واحدة على أم رأسه أسالت بعضا من الدماء، فزعت الفتيات وأسرعن بالعودة إلى أبيهم والعنكبوت يخبروهما بما حدث.

ألقى العنكبوت الطعام الذي كان يتناوله ولطم خده وهرول وهو يصرخ وأخذ يهز الجسد بقوة فلم يتحرك الجسد فأخذ يولول.. ابن الإله.. الأبن الأكبر للإله.. يا ويليتي وويلكم.. سينتقم منا الإله وسيرسل عليكم ريحًا صرصرًا عاتية تأتي على الأخضر واليابس وتزلزل كيانكم وتخرب بيوتكم .. يالها من مصيبة

وويل سيطول الجميع.. ماذا نفعل الآن.

بهت الزعيم وبناته وصم أهل القرية وقد أصابهم الذهول والرعب وهم ينتظرون غضب السماء ولعنة الإله. وتوجه الجميع إلى العنكبوت.. أنت رسول الإله وتعرف أسرار عبادته وكهنوته، ونتوسل إليك أن تتضرع إلى كبير الآلهة أن يرفع غضبه عنا ونحن على استعداد لنقرب إليه القرابين ونقيم له المعابد.

اختفى العنكبوت بعض الوقت ثم عاد يطلق البخور ويتمتم بكلمات غير مفهومة، ثم توجه إلى زعيم القبيلة وقال له: إن الإله الأعظم قد غضب عليكم وموت ابنه البكر لا يكفر عنه إزهاق كل أهالي القرية، فارتفعت أصوات الاستغاثة والتضرع واختلطت الدموع بالنواح والعويل بالصراخ.

نظر العنكبوت إليهم وقال: أني أشفق عليكم من غضب الإله الذي لا مثيل له لذا سأعود إليه أسأله أن يعفوا عنكم وأنكم مستعدين لتقديم القرابين مهما كانت قاسية.

نعم... نعم... نحن مستعدين لتقديم القرابين مهما كانت قاسية وصعبة، عاد العنكبوت للخلاء ومن الصباح حتى انتصف الليل والعنكبوت منفردًا بنفسه وأهل القرية ينتظرونه بشغف أن يخرج إليهم ويبشرهم.

قارب الليل على الانتصاف.. عندها خرج عليهم العنكبوت وعلى وجهه علامات الرضا فقال لهم:

لقد نجحت في مسعاياودعائي وابتهالاتي للإله الأعظم الذي قبل منكم القرابين وإنه سيعفوا عنكم، تهلل الجميع وقالوا: كم من الذهب يرضيه.. كم من الغنم يكفيه.. كم من الماشية تغنيه..

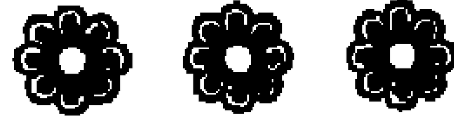
فقال العنكبوت: إن الإله الأعظم لا يريد منكم ذهبًا ولا فضة ولا غنمًا ولا

ماشية، إنه فقد أكبر أبنائه ولا يقبل نظيره إلا مائة شاب من خيرة شبابكم عوضا عن أعظم شباب السماء.

صرخ أهل القرية ولكنهم أمام تهديد العنكبوت رضخوا لمطلب الإله الأعظم، وعادوا وظهرت على وجوههم علامات الرضا والحبور وهم يرون العنكبوت يسوق الشباب عارجًا إلى السماء.

ذهل كبير الآلهة مما يرى والعنكبوت يعرض عليه مائة شاب من خيرة شباب الأرض خدمًا له.

استمع كبير الآلهة إلى العنكبوت وهو يحكي حكايته ويسرد قصته فتعجب من ذلك المقال فأطلق عليه اسم «أنانسي» ومازال هذا الاسم متداولاً في أفريقيا ومنحه جائزة كبيرة لتغلبه على بني الإنسان وجعل منه المسئول عن الضيافة في العالم العلوي.



المخادع الأعمى

وثب العنكبوت على مركزه الجديد الذي وهبه إياه الإله الأعظم كما يثب الفهد على فريسته ورغم أنه المسئول عن الضيافة إلا أن الغرور اعتراه جعله يسيء إلى من حوله، وأخذه الكبر بأنه المخادع الماكر وإنه أكثر ذكاء من الإله نفسه.

ترددت الاشاعات في العالم العلوي وما أكثر الواشين عندما تسوء الأخلاق، ووصل قول العنكبوت إلى الإله الأعظم، فثار وغضب واستدعى العنكبوت وقال له:

أنك تدعي الذكاء والقدرة على الخداع، وعليك بذكائك أن تحضر لي ما أريد كما أحضرت العبيد المائة.

كان العنكبوت يرتعد من غضب الإله ولكنه عندما أنهى الإله حديثه اطمأن قلبه وقال للإله:

عليك أن تطلب وعليَّ الطاعة والتنفيذ،

فقال الإله الأعظم:

تقول أنك صاحب فراسة ودهاء، وهناك شيء يدور في ذهني وأريد الحصول عليه، وما عليك إلا أن تعرف هذا الشيء وتحضره، ولا تسألني ما هو هذا الشيء، ولا تعد إليَّ قبل أن تحضر ما أريد.

خرج العنكبوت من قاعة العرش وقد أسقط في يده، فهو لا يدري ماذا يرد الإله الأعظم وفيما يفكر، وأخذ يطوف في أطراف العالم العلوي على غير هدى

ثم هبط إلى السماء يجولها، وهو لا يدري عما يبحث ونزل إلى الأرض يجوب أنحاءها يعلو الجبال ويهبط إلى الوديان ويغوص في المستنقعات ويسبح في البحار ويعتلي الأشجار ويسلك الدروب ويسأل كل من يقابله عما يريده الإله الأعظم ويردمه.

جلس العنكبوت على شاطئ النهر يستريح من وعثاء السفر وعناء البحث الذي طال، وراح في تفكير عميق أذهب عنه هناء النوم وراحة البال.

لم يلاحظ العنكبوت سربًا من الطيور مر من أمامه ليحط على شجرة قريبة منه، ولم يفق إلا على صوت طائر صغير يسأله الابتعاد عن دودة يطؤها بقدميه ليقتات بها. فسأله العنكبوت عما يريد الإله ووعده إذا عرف الإجابة وشفى غليله وبد حيرته سيهبه الدودة وأكثر.

أطرق العصفور برهة ثم قال للعنكبوت:

أنت مشهور بالاحتيال والخداع ولكن لا يمكنك أن تقرأ أفكار الآخرين فما بالك بالإله الأعظم وسأدلك على طريقة تعرف بها ما يريد الإله الأعظم

عليك أن تتخفى في شكل طريقة تعرف بديع وتكمن بالقرب من عرش الإله الأعظم، ومن اقترابك منه قد تعرف مرامه وفيما يفكر.

أعجب العنكبوت بالفكرة وأخذ الدودة وراح يناولها للعصفور مكافأة له على الفكرة وما إن أقترب منه العصفور حتى أمسك به ونتف ريشه الجميل وتزين به وترك العصفور يتخبط ويخايله شبح الموت.

طار العنكبوت واخترق الحجب وعلى شجرة قريبة من شرفة الإله الأعظم وقف يتباهى بريشه البديع وصوته الجميل.

خرج الإله ينظر ذلك الطائر الجميل صاحب الصوت الرخيم واستدعى الآلهة



عسى أن تراه وتتعرف عليه فهو ليس من طيور العالم العلوي وكيف وصل إلى هذا المكان.

حارت الآلهة في معرفته، فاستدعى الإله طيور العالم العلوي وحيواناته للتعرف على ذلك الطير الذي لا يبرح مكانه، فعجز الجميع عن معرفته، فهو رغم ريشه فليس له منقار الطيور ولا أقدامها فقالت إحدى الآلهة:

لن يعرفه غير العنكبوت ذلك المحتال الذكي.

فقال الإله الأعظم:

إنه غير موجود في العالم العلوي، لقد أرسلته في مهمة وأظنه لن يقوم بها، وستكون نهايته التي أوشكت بعد أن تفاخر علي.

فقالت الآلهة: وما هذه المهمة التي ستقسم ظهره وتذهب غروره وتخلصنا منه، فقال الإله:

لقد طلبت منه أن يحضر لي ما أفكر فيه دون أن أوضحه له، وما عليه إلا أن يدخل عقلي ليعرف ما أريد وهذا مستحيل.

فقالت الآلهة: وما الذي تريده؟

فقال الإله الأعظم: أريد منه أن يحضر لي الظلام والشمس والقمر، وهو وإن عرفهم مع الاستحالة فلا يعرف أحد طريقهما غير الحية الرقطاء.

مازال العنكبوت كامناً على فرع الشجرة وقد سمع حديث الإله الأعظم وآلهته، وما كادوا يغادرون المكان ووسط التعجب والدهشة من ذلك العصفور الذي ليس له منقار ولا أرجل.

أسرع العنكبوت هابطاً إلى الأرض يبحث عن الحية الرقطاء ذات اللونين الأبيض والأحمر، طال أمد البحث وعندما اقترب من الشاطئ في ذات المكان



الذي كان فيه من قبل وجد العصفور يرتعش من البرد وقد أوشك على الموت.

اقترب من العصفور وقال له:

كنت مضطرًا لأسلك ملك هذا السبيل ولكني على استعداد أن أعيد لك ريشك على أن تدلني على مكان الحية الرقطاء ذات اللونين الأبيض والأحمر.

ظهرت علامات الفرحة على وجه العصفور وانتقلت بسرعة إلى وجه العنكبوت الذي أيقن أن العصفور يعرف مكان الحية.

طلب العنكبوت من الطائر أن يدله على مكانها، فطلب منه الريش حتى يمكنه الطيران وليدله عليها فناوله ريش الجناح ولم يعطه ريش الذيل حتى لا يطير ويبتعد عنه ويخدعه فلا يدله على المكان.

أخذ العصفور ينط على قدميه ولا يمكنه الطيران متقدمًا أمام العنكبوت حتى وصل إلى مكان الحية، اقترب العنكبوت من جحر الحية بحذر يسألها مكان الظلام والشمس والقمر.

قالت الحية: كيف أهبك هذا السر دون مقابل، فقال لها:

لقد أحضرت معي هدية ووليمة دسمة، وقبل أن يعرف مكان الظلام والقمر والشمس كان العصفور الصغير في جوف الحية تفت عظامه وتعتصر لحمه.

أسرع العنكبوت نحو المغرب وكانت الشمس تميل إلى الغروب وقد سحبت خيوطها الذهبية فأخذهما ووضعهما في جرابه وتناول القمر ووضعه في جراب آخر وكان الظلام في جرابه الثالث وعرج إلى السماء في حبور وسعادة.

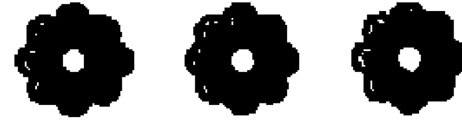
احتشد مجمع الآلهة وامتلأ بكل الكائنات وجاء العنكبوت يزهو ويتفاخر على الجميع بأنه الوحيد الذي عرف كيف يفكر الإله وأحضر إليه ما يريد دون أن يخبره.



بُهت الإله الأعظم عندما أخرج العنكبوت من جرابه الظلام الذي غشى العالم العلوي، وسأل نفسه كيف عرف هذا المخادع ما أريد.

وما هي إلا لحظات وكان سنا القمر يحول السماوات العلى إلى وميض وتكتسي الأشجار والأنهار بلون اللجين لتبتهج النفوس وتنشرح الصدور.

وكان الجميع يعرف أن القادم وهج الشمس الحارق وعندما هم العنكبوت بإخراجها من الجراب أغمض الجميع عيناه تحسبان منها إلا العنكبوت، الذي نال جزاء خداعه ومكره وأصبح أعمى وفقد بصره وصار يتحسس طريقه ويلتمس مساعدة الآخرين، وتحول كبرياؤه وغروره إلى مذلة وهوان.



الجزاء الأوفى

وعند قبائل «الهوسا» التي تعيش في نيجيريا، يروى أن عنكبوتًا يعيش مع زوجته على الفلاحة وزراعة الأرض، وذات يوم وقد بدأ الجميع حرث الأرض وبذر البذور، فطلب العنكبوت من زوجته الاستعداد وتحضير تقاوي البندق ليقوم بزراعتها بعد أن حرث الأرض وأعدها للبذر.

لم يكن العنكبوت قد حرث الأرض، فحمل البذور وذهب إلى الحقل وهو يمني نفسه بالعمل الشاق واللحاق بجيرانه الذين حرثوا أراضيهم.

وصل العنكبوت إلى الأرض فنظر إليها وقال في نفسه، الأرض واسعة وتحتاج إلى مجهود كبير والحر شديد، سأرتاح الآن وأنال اليوم قسطًا كبيرًا من الراحة وعند فجر الغد سأكون مستعدًا وأنجز عملي بسرعة.

على شاطئ النهر جلس العنكبوت في ظل شجرة وارفة فغلبه النعاس، فتناول بعضاً من تقاوي البندق ورشف الماء وذهب في سبات عميق.

غابت الشمس وقام العنكبوت من نومه يتثاءب ، فتذكر زوجته التي تنتظره في البيت وماذا سيقول لها وهي سليطة اللسان..

قام العنكبوت ونزل إلى حافة النهر وأخذ يتمرغ في الأوحال فغطى جسمه وأنهك قواه وتوجه إلى البيت يطلب الماء والعشاء والخلود إلى النوم بعد يوم شاق من العمل المضني

توسطت الشمس كبد السماء والعنكبوت غارق في النوم ولم تقترب منه الزوجة حتى يستريح من تعب الأمس.



أفاق العنكبوت من نومه يؤنب زوجته ويلومها بأنها السبب في تأخره عن العمل، وحمل بعضًا من تقاوي البندق وأسرع في اتجاه الحقل مصحوبًا بدعاء زوجته له بموفور الصحة والعافية.

لم يجد جديد على ما حدث بالأمس ، فالشمس حارقة والأرض واسعة، فلجأ العنكبوت إلى فيء الشجرة واسترخى حتى كان الغروب وكما فعل بالأمس وزاد بأن مزق من ملابسه، ودخل على زوجته مكفهر الوجه مبديًا التعب والإرهاق.

وكل يوم كما سبق وهو يمني نفسه الذي لم يأت، وانتهى الأمر بأن أتى على كل التقاوي ولم يحرث ولم يبذر.

حان أوان الحصاد وذهب كل فلاح يجني ثمار تعبه ومجهوده وهو سعيد فرحان، فقالت الزوجة: لقد آن وقت الحصاد واليوم سأذهب معك أساعدك بعد أن بذلت مجهودًا عظيمًا خلال الأيام الماضية.

فزع العنكبوت لطلب زوجته وهب واقفًا وقال: لا .. لن تذهبي معي.. لقد أقسمت أن أجنبك التعب والعناء، فأنت زوجتي الحبيبة.. سأذهب أنا أجمع المحصول، وأنت عليك بتجهيز وليمة عظيمة وبعضًا من الحلوى احتفالاً بهذا اليوم..

خرج العنكبوت من البيت وهو لا يدري ماذا سيفعل وكيف سيتخلص من هذا الموقف العصيب، وفكر في ألا يعود إلى البيت ويبحث له عن مأوى بعيد عن هذه المرأة التي ستكيل له صنوف العذاب إذا علمت بما حدث، فلا يوجد حصاد ولا توجد تقاوي.

هام العنكبوت على وجهه بين الحقول وهو يداري وجهه عن الفلاحين، حتى صادف حقلاً قد امتلأ بالحصاد وصاحبه بعيد عنه.

نزل إلى الحقل وأخذ بعضًا من محصول البندق وحمله إلى منزله، استقبلته زوجته بالبشرى والتهليل والفرحة بالمحصول الجديد، وقد أخبرها أن الخير كثير والمحصول وفير.

ظل العنكبوت يتسلل إلى الحقل كل يوم ويعود إلى زوجته بحمل من ثمار البندق وسط تهليل زوجته وحبورها، فصارت توزع من المحصول على جيرانها وأقاربها وأصدقائها، ولما لا وزوجها يبشرها كل مساء بأن الخير كثير والمحصول وفير.

لاحظ صاحب الحقل أن محصوله يتناقص، فقال: عسى أن تكون الطيور هي السبب فتنزل على المحصول وتنال منه، فلابد من وضع دمية تخاف منها الطيور.

لم تجد هذه الطريقة في وقف نزيف المحصول، وعرف الفلاح أن هناك لصًا يسرق المحصول، فقام فصنع دمية على هيئة امرأة جميلة وأخذ يطفق عليها من الصمغ اللاصق.

وعندما خيم الظلام جاء العنكبوت خلسة ليغترف من ثمار البندق، فلاحظ الفتاة الواقفة على أطراف الحقل ، خفق إليها قلبه وأسرع إليها ، فلم يجدها تهرب منه وتبتعد فظن أنها ترومه وتريده وقد برزت مفاتنها على ضوء القمر.

اقترب العنكبوت منها، ومد يده يتحسس نهدها، فالتصقت يده بالنهد، فتخيل أنها تصر على الاقتراب منه، فمد يده الأخرى، فالتصقت، فاقترب أكثر فالتصقت بطنه بها فشعر بالضيق وأراد أن يتخلص منها، فحاول أن يتخلص منها ويرفسها بقدميه فالتصقت قدماه وصار لا يمكنه الفكاك منها.



جاء الصباح ومعه صاحب الأرض وأهل القرية بما فيهم زوجته ليغيثو ذلك اللص الذي ظل طوال الليل يستغيث دون مجيب.

كان الخزي والعار على رؤوس الأشهاد ومنذ ذلك الحين والعنكبوت لا يتحرك إلا خلسة ويلتصق بكل من يتقرب إليه، ولا عمل له إلا اصطياد فرائسه التي تساق إليه

وفي سيراليون تروى قصة مشابهة تختلف في التفاصيل ولكنها ذات مضمون واحد وهو تكاسل العنكبوت عن العمل وتطفله على جيرانه وتروي القصة:

«إن العنكبوت وبعد أن تكاسل عن الحرث والبذر والري وعندما جاء أوان حصاد الأرز ، طلب من زوجته أنه إذا مات فعليها أن تدفنه على أطراف بيته، وفي اليوم التالي اصطنع الموت، وقامت زوجته بدفنه حسب وصيته.

كان العنكبوت ينتظر حتى يرخي الليل سدوله، فيخرج متسللاً من قبره ويذهب إلى حقل جاره فيقتات من الأرز ويحمل بعضه إلى زوجته وهي لا تدري من أين جاء الأرز وقد حسبت أن فاعلي الخير يتركون لها بعض الأرز مساعدة منهم.

ظل العنكبوت على هذا الحال حتى شك صاحب الحقل في أن زوجته تهب بعضًا من المحصول لأهلها فغضب عليها.

ذهبت المرأة إلى أحد السحرة ترجوه أن يكشف لها سارق المحصول، فأشار عليها بأن تصنع عروسًا من المطاط وتدهنها بالصمغ الذي يستخرج من شجرة الكوكا، وقامت الزوجة بعمل ما أشار به الساحر، وتستمر الرواية على نهج الرواية السابقة التي أوضحت نهاية اللص المتسلل العنكبوت الأقرع لينال الجزاء الأوفى.

الأميران

عاش الملك «قمر الزمان» في «إيبوتي» أحد الممالك المسلمة وكانت له زوجتان «بدور» و«حياة النفوس»، وكانت بدور زوجته الأولى وبعد مرور ثلاثة أعوام لم ترزق بطفل، فتزوج «قمر الزمان» من «حياة النفوس» وبعد عدة أشهر شعرت «حياة النفوس» بأن جنينًا بدأ يتحرك في أحشائها الأمر الذي جعل قصر الملك يضج بالفرح والسرور وكانت أكثرهم فرحًا وسعادة «بدور» حتى إن «حياة النفوس» استغربت هذه الفرحة التي بدت عليها «بدور» ،ولم يمر الشهر حتى شعرت «بدور» ببوادر الحمل، فكانت فرحة الملك غامرة ، وهو الذي ظن أنه سينتهي أجله دون وريث أو خلف صالح، فأمر بالهدايا والمطايا ونذر الحج إلى بيت الله الحرام.

مرت شهور وتحولت السعادة إلى فرحة طاغية عندما وضعت «حياة النفوس» لسيدها الأمير «أمجد» ولم يكتمل الشهر حتى كانت «بدور» قد وضعت وليدها الأمير «شهاب» ، وبات الملك وكأنه رزق بتوأم لا يفرق بينهما سوى شامة على خد «شهاب» ابن الملك من «بدور» .

وفّى الملك بالنذر وحج واعتمر ودعا لولديه بطول العمر والهدى والطاعة والرضا والقناعة وأن يكونا خير خلف ليحافظوا على المملكة متحدة قوية، غنية شامخة بين الممالك، وقد عمل الملك لذلك، فلم يفرق بينهما في المعاملة وعهد بهما إلى فقهاء ليتعلموا أصول الدين الحنيف، وفرسان يعلموهما فنون الحرب

والقتال، فنشأ الأميران على قدر كبير من دماثة الخلق وسمو الأخلاق، والكرم والنبل، والسخاء، وكانت الزوجتان « «بدور» و«حياة النفوس» على قدر كبير من الوئام والحب وطيب المعشر، وكان جميع من بالقصر يعيشون حياة طيبة هانئة يجمعهم الود والمحبة، إلا فتاتان روميتان، كانتا هدية من أمير عربي قد وهبهما إلى الملك قمر الزمان.

كانت الفتاتان يظنان أنهما ذوات الشعر الأشقر والجيد الناصع الأبيض والعيون الزرقاء قادرتان على أثر لب الملك «قمر الزمان» واستخلاصه لهما فكان يأكلهما الحقد وتذلهما الغيرة من حياة «بدور» و«حياة النفوس» خاصة بعد أن رزقا بالأميرين.

شب الأميران وقد أعدهما «قمر الزمان» لتولي شؤون الحكم، وعندما آن موسم الحج وكان الملك يقضي عدة شهور خارج مملكته، فجمع الأسرة ومجلس الدولة والوزراء وقد قرر الملك أن يقوم كل يوم أحد الأمراء بإدارة شؤون المملكة، ويكون كل أخ عونًا لأخيه.

خرجت الأسرة ورجال الدولة والرعية لوداع الملك في رحلته متمنين له سلامة العودة والحج المبرور والذنب المغفور، ومرت الأيام وكل شيء في المملكة يسير في هدوء وامتثال والجميع يتعلم بالأمان والاستقرار.

كان غياب الملك عن القصر فرصة للجاريتين للتدبير والتخطيط لزعزعة هذا الاستقرار وانتزاع الأمن والطمأنينة من النفوس وبذر الشر.

اتفقت الجاريتان على إحداث الوقيعة بين الأخوين وتقليب قلوب الزوجتين، وذات يوم دخل رجل عجوز على الأمير أمجد وهو على كرسي العرش ، وسلمه رسالة وهم أن ينصرف ولكن الأمير استبقاه حتى يفض الرسالة:



من خادمتك المطيعة «سارة»

إلى الأمير الأحق بالملك من غيره، أحذرك فقد علمت من مكاني أن الأميرة بدور وابنها شهاب يتآمران لقتلك وأمك الأميرة حياة النفوس وقد أوشكا على تنفيذ مخططهم ويساندهم في ذلك بعض من رجال الحاشية، وإن أمرت فيمكنني أن أدس السم في طعام الأميرة «حياة النفوس» وأنت تقوم بالتخلص من أخيك، وعليك أن تكون البادئ حتى لا تكون الخاسر».

نظر الأمير مليًا إلى الرسالة وقرأها مرة ثانية وثالثة، ثم أطرق وعاد وانتبه، ونادى السياف وأمر بفصل رأس هذا العجوز اللئيم، دون أن يعرف أحد بذلك حتى الأمير «شهاب».

وفي اليوم الثاني وبينما الأمير أمجد مستغرق في التفكير كيف الخلاص من هذه الورطة التي لا شك أنها دسيسة سعت بها الجارية سارة كان الأمير «شهاب» جالسًا على كرسي العرش ودخلت عليه امرأة عجوز طلبت مقابلته لأمر هام، وعندما مثلت بين يديه ناولته رسالة وانتظرت أن يعطيها جواب لها:

«من خادمتك المخلصة «ماري»:

إلى الأمير الشاب أطال الله عمره: عليك الحذر كل الحذر فإن الدسائس تحيط بك من كل جانب وإن الأميرة «بدور» وابنها الأمير «أمجد» قد عزما التخلص منك قبل عودة أبيك لينزع الأمير أمجد منك ومن أبيه الملك، ويصير متفردًا بالملك، وإن عزمت فأنا المخلصة له ويمكنني التخلص من الأميرة «بدور» في حين أن تتولى أنت أمر أخيك أمجد الذي يضمر لك الشر والحقد.

وعلى الفور أخلى الأمير شهاب قاعة العرش ولم يتبق منها إلا هو وحاملة الرسالة فنادى السياف وأمره بأن يأخذه هذه العجوز الشمطاء إلى خارج المدينة ويفصل رأسها اللعين عن جسدها.

وراح يفكر هو الآخر في هذه الورطة وهو على يقين بأن هذه الأفعال الشيطانية بعيدة كل البعد عن رأس أخيه أمجد وأمه الأميرة «بدور».

وقد اتفق الاثنان على إخفاء هذه الرسائل وعدم الاكتراث إلى مثل هذا الأمر البعيد عن المنطق والمعقول، وأخفيا الأمر حتى عن أمهما، ولكن ماذا يفعلان في هاتين الشيطانيتين؟ فأسر كل منهما أن يتركا الأمر لحين عودة أبيهما، حتى لا يحدثا بلبلة داخل القصر.

مرت الأيام والجاريتان لا تعرفان مصير الرسولين، وما زال الأمر بين الأميرين على حاله وكأن لم يكن شيئًا، فتوجسا خيفة وامتلأ قلبهما بالرعب، خاصة وقد أعلن عن قرب عودة الملك «قمر الزمان».

ارتفعت الزينات ومدت الموائد ودقت أهازيج الفرح التي عمت البلاد بعودة الملك وكان في استقباله جميع أفراد الأسرة والحاشية وتقاطرت وفود القبائل تهنئ الملك بسلامة ا لوصول ودامت هذه الاحتفالات سبع ليال لم تعرف المملكة النوم.

اختلى الملك بالأسرة يسألهم كيف جرت الأمور في المملكة أثناء غيابه، وهل كان الأميران على قدر المسؤولية التي ألقيت على عاتقيهما في هذه السن المبكر، وأثنى الجميع على كياسة وفصاحة وحسن تدبير الأميرين في إدارة الأمور وحل المعضلات واستتباب الأمن .

لم يكن في استطاعة الأميرين أن يقصا على والدهما موضوع الرسالتين أو حز رقبة العجوزين، وكان كل منهما ينوي إخبار والده الملك عندما ينفرد به.

كانت الجاريتان الروميتان يرقبان الموقف عن كثب وكانت فرصة عندما اختلت به إحداهما، وقالت ماريا: أيها الملك المفدى لقد أخفى عليك الجميع فظاعة ما قام به الأخوان في غيابك فلم يكونا على اتفاق وكان كل منهما يسير الأمور وفق

هواه وضد مصلحة أخيه وما عليك إلا أن تسألهما ماذا جني العجوز والعجوزة وقد فقدا رأسيهما دون ذنب أو جريرة، وإن كنت لا تصدقني فاسأل «سارة».

استدعى «قمر الزمان» «سارة» وسألها عما جرى أثناء غيابه، فراحت تكيل الاتهامات للأميرين اللذين تضاربت تصرفاتهم وزاد طغيانهم ولا تعرف كم قتلا غير هذين العجوزين، فقد أخفيا كل شيء عنك حتى لا تغضب عليهما وتنحيهما عن ولاية العهد وخلافة العرش وأظنهما يستعجلان هذا الأمر.

ظهر الغضب الشديد على وجه الملك وطلب منهما الانصراف ولا يطلعا أحد على ما دار بينهم، ومن فوره أرسل إلى الأميرين «أمجد وشهاب» اللذين حضرا على وجه السرعة، وهما لا يعلمان ماذا غير حال والدهما ولماذا ينظر إليهما شذرًا ولماذا كل هذا الغضب البادي عليه.

قال الملك : كيف كان الحال أثناء غيابي؟

أجاب الاثنان في آن واحد: كان الحال على خير ما يرام، فعلى نهجك كان حكمنا وبلسانك كان قولنا، ولم يحدث ما يعكر صفو الأمن وما وقع ظلم على أحد.

وما قولكما في عجوز وعجوزة قد تم نحرهما وقتلهما دون ذنب أو جريرة؟

بهت الأميران، ولم ينبسا بكلمة وقد آثر كل واحد منهما عدم الحديث في أمر الرسالة التي وصلته، عسى أن يكون فيها شيء من الحقيقة أو أن هذا الأمر سيؤدي إلى إثارة الشك وإحداث بلبلة في القصر، وقد ظنا أن الأمر سيمر دون لغط أو إحداث مشكلة.

وأن أحدًا لن يعرف بهذا الأمر، ولم يشأ أيًا منهما بذكره في حضور الآخر فالتزما الصمت.



زاد غضب الملك، وأعلن أنه لابد من القصاص للعجوزين، أرسل واستدعى السياف وقال له: ماذا ستفعل إذا أمرتك أن تضرب رقبة أحد أولادك؟

قال السيفا: أفعل دون تردد، فإن أمرك مطاع وكل الرقاب طوع أمرك.

قال الملك: أنا آمرك أن تضرب هذين الراسين قصاصًا حقًا.

كاد السياف أن يفقد وعيه من هول ما يسمع وظهر عليه التردد.

قال الملك: إن لم تضرب رقابهما لضربت رأسك في الحال، اخرج بهما سرًا دون جلبة إلى الغابة ولا تعد إلا بعد أن تنهي مهمتك.

في الهزيع الأخير من الليل خرج السياف وأمامه الأميران اللذان يساقا لنحرهما طاعة لوالدهما الملك دون اعتراض أو حتى إبداء امتعاض أو تردد.

كانت خيوط الشمس الذهبية تخترق فروع الشجرة وأوراقها تسقط على السيف الذي يعكس نصله ضوء الشمس على وجوه وجباه مستكينة راضية بقضاء الله وخاضعين لرغبة الملك.

وقف السياف تخذله قدماه ويداه ويعجز عن الحركة وكان يتمنى أن يأمر الملك بضرب عنقه هو لكان ذلك فيه راحة من هذا العذاب الذي سيظل مقيمًا في ذاكرته، ولكنه تذكر صرامة الملك وضرورة تنفيذ الأمر ، فتحامل على نفسه وقال: بمن أبدأ ، فإن الأمر صعب وشاق.

قال أمجد: شهاب أخي الصغير ويصعب عليَّ أن أراه يفقد رأسه ، فأرجو أن تبدأ بي..

قال شهاب: لا.. فلتبدأ بي إن أخي هو مثلي الأعلى ونور عيني وحبة قلبي وأحبه أكثر من نفسي وأتمنى أن تزهق روحي قبله، وأرجوك يا أخي أن ترحمني من أن أصاب فيك وأراك تفقد حياتك، ويراق دمك أمام عيني.

قال السياف : عندي حل.. ما رأيكم سأقوم بقييدكم معًا بحيث لا يرى أحدكم أخاه، وعندها سأقوم بتنفيذ أمر الملك وإن كان ذلك يعز علي فأنتم أولادي.

قام السياف بشد وثاق الأخوين (أمجد وشهاب)، وهم أن يرفع سيفه البتار، فما كان من حصان السياف الذي هاله السيف الذي ارتفع في الهواء ، فأطلق ساقيه للرياح وغاب بين الأشجار، فما كان من السياف إلا أن ألقى السيف، وراح يعدو خلف الحصان حتى لا يغيب عن ناظريه ويفقد وسيلته في العودة، وترك الأميرين غير قادرين على الحركة.

مرت ساعات وتوسطت الشمس كبد السماء، فسقط الأميران على الأرض من الإعياء وقال أمجد: أكاد أن أموت عطشًا ، وقال شهاب: وأنا كذلك. وأخذا يزحفان حتى وصلا إلى السيف وتمكنا من قطع الحبال وتحررا من القيد.

قال أمجد: يجب أن نتتبع خطوات السياف حتى نعينه على تنفيذ أمر الملك !

حمل الاثنان السيف وذهبا في أثر الحصان والسياف بعد أن شربا بعض الماء وتناولا بعض الثمار حتى تعود لهما الحيوية، ثم جدا في البحث.

كان الحصان أثناء عدوه على غير هدى وطئ ابنة لبؤة ، فما كان منها إلا أن ترصدت السياف والحصان.

تمكن السياف من اللحاق بالحصان فامتطاه عائدًا إلى مكان الأميرين، اعترضت اللبؤة طريق الحصان ففزع وطرح السياف أرضًا وأصبح نهبًا للبؤة ولا فكاك له من مخالبها، وأسرعت اللبؤة وقفزت في الهوء لتنشب مخالبها وأنيابها في الجسد الساجي أمامها لا حول له ولا قوة، وقبل أن تصل إليه كان السيف قد قسمها وفصل الرأس عن الجسد!

لم يصدق السياف أنه ما زال على قيد الحياة بعد أن رأى الموت بعينيه على



بعد شبر منه، ساعد الأميران السياف على النهوض وأخذا يهدآن من روعه حتى تمالك زمام نفسه وطلبا منه أن ينفذ ما أمر به والدهما الملك «قمر الزمان»!!

قال السياف: إن ما أراه عجيب ، فلم أر في حياتي إنسان حريص على الموت لإرضاء رغبة أحد مهما كان هذا الشخص، إنكم أكثر من أن تكونوا من البشر، وإن كتب عليكم الموت فمن أحق بالحياة، والله لو كان في ذلك ضرب عنقي أو تشريدي في أسقاع الأرض أو طوردت في الجبال ما أمسكما بسوء، لقد أنقذتما حياتي وعلمتموني معنى الوفاء والإخلاص.

قال أمجد: وماذا نحن فاعلين الآن؟!

قال السياف: عليكما أن تنطلقا بعيداً وتبحثان عن مأوى آمن حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، المهم ألا يعرف الملك أنكما على قيد الحياة الآن.

قال شهاب: أسرع يا أخي ، كنت قد عاهدت نفسي ألا أفشي هذا السر، ولكن الآن يجب أن تعرف سبب قتل العجوز، فقد جاءت برسالة وبها أنك وأمك تتآمران لقتلي وأمي ولما كنت على يقين بأنك بعيد عن هذا التفكير فقد أمر بقتلها، وأخرج الرسالة من طيات ملابسه فما كان من أمجد إلا أن أخرج رسالة مشابهة ، وقال لأخيه: لقد جاءني مثل ما جاء لك وقد فعلت كما فعلت وأمرت بقتل العجوز..

قال السياف: ولماذا لم تخبرا الملك بذلك؟!

قال الأميران: لم نكن نريد أن نعكر صفو الملك ونكدر حياته وندعو الله أن يأتي يوم يعرف والدنا الحقيقة.

قال السياف: إلى أين يأتي هذا الوقت عليكما الاختفاء عن الأنظار، ويمكنني أن أوصل هذه الرسائل للملك.



أخذ السياف بعضًا من ملابسهما ولطخها بدماء اللبؤة وركب حصانه واتجه نحو المدينة وراح الأخوان يتوغلان في الغابة ومعهما قليل من الماء والزاد تركه السياف.

دخل السياف على الملك وبين يديه الملابس وعليها آثار الدماء فاغتم الملك قليلاً، ثم قال السياف: معذرة أيها الملك ولكني وجدت هاتين الرسالتين بين طيات ملابسهما ولكن بعد فوات الأوان، ولكني أتكذر قول الأمير أمجد الذي حملني رسالة للملك شفاهة فقد قال لي: أخبر والدي الملك بأن كل من يأخذ بكلام النساء إنه كله حقيقة، فإنه لابد وأن يشعر بالندم ولكن بعد فوات الأوان».

تناول الملك الرسالتين بيد مرتعشة وقلب يرجف وبصر ذرائغ وأخذ يقراهما مرة وثانية وثالثة، ثم أخذ يهذي ببعض الكلام ووقع مغشيًا عليه.

جاء حمو الملك والد حياة النفوس والزوجتان والحاشية واجتمعوا ليطمأنوا على الملك الذي أفاق ولسانه قد عقد على : «ولدي - ولدي، ليتني فارقت الحياة بدلاً من هذا العذاب ».

وعندما علمت الأمهات بما حدث لولديهما أخذا يولولان ويبكيان وقالا للملك: أما كان من العقل التروي حتى تعرف الحقيقة كاملة، لم تفكر قليلاً في أن هاتين الجاريتين يحملان لنا الكراهية والحقد - وقال الحما: لقد تسرعت أيها الملك ، ما ذنب هذين الشابين وهاتين المرأتين اللتين فقدتا نور العيون وفلذات أكبادهن، وأنا وقد فقدت صغيري.

أرسل الملك وأحضر الجاريتين وأمر أن تقطع أوصالهما وأن يعلقا على أسوار المدينة نهبًا لكواسر الطير.

عم الحزن أنحاء البلاد وتوشح قصر الحاكم بالسواد واكتست الوجوه بالحزن والغم والكدر، وأعلن الحداد، ولم يكن السياف يجرؤ على إظهار الحقيقة بأن

الأميران على قيد الحياة.

واصل الأميران سيرهما يقتاتان على جذور النباتات وثمار الأشجار، ومن الغابة إلى واد ومن سفح جبل إلى قمة آخر يتواريان في الليل، ويسيران في النهار، عانيا طوال السفر وتقلب الجو وندرة الطعام وبعد خمسة عشر يومًا وقف الاثنان على باب أسوار مدينة لا يعرفان اسمها ولا من يسكنها وما هي طبائعهم ومسالكهم.

قال أمجد لأخيه: عليك أن تنتظرني هنا، بينما أدخل أنا المدينة لأتعرف عليها وعلى أهلها، فإن كان خيرًا عدت إليك ودخلناها سويًا، وإن لم يكن فيسهل عليَّ الخروج منها وإن لم أعد بعد ليلتين ، فعليك أن تبتعد عن هذا المكان بكل ما أوتيت من قوة.

قال شهاب: لا يمكن أن أتركك تواجه وحدك المجهول فإن مصيرنا واحد .

قال أمجد: فلنستمع إلى صوت العقل، سأذهب أنا، ويجب أن يبقى أحدنا خارج المدينة لينقذ أخاه، نعم لقد أصبح مصيرنا واحدًا ولكن الحيطة واجبة.

بعد ساعة من الجدال والإيثار تمكن أمجد من إقناع أخيه من دخول المدينة وحده، دلف أمجد داخل المدينة.

كانت المدينة غريبة المنظر قبيحة المخبر وجوه الناس عابسة واجمة، لا أطفال يلعبون في الطرقات، ولا نساء عليها زينة، ولا رجال يظهر عليهم الوقار والاحترام الكبير منهم والصغير.

ما زال أمجد يطوف في المدينة يبحث عسى أن يجد مأوى ومصدرًا للرزق ، فقابل رجلاً عجوزًا توسم فيه خيرًا وسأله أحوال هذه المدينة الغريبة.

فقال الرجل: أراك غريبًا عنها ما الذي أتى بك إلى هنا؟!



قال أمجد: هكذا شاءت الأقدار ، وأنا أبحث عن مكان يأويني وعمل كريم يوفر لي سبل الحياة.

قال العجوز: اتبعني وأنا سأوفر لك حاجتك، ولكن عليك ألا تعارضني فيما أقوله لك، وإن بدا غير طبيعي وغير مألوف.

اتبع أمجد الرجل العجوز الذي بدت عليه مظاهر الفرحة وبرقت عيناه ونشطت حركته ومن شارع إلى حارة إلى زقاق وجد أمجد نفسه أمام بيت عتيق أبوابه من الخشب السميك وقد علته العناكب ومزاليج تصدر صريرًا يصم الآذان حين كان العجوز يجاهد لفتحها، بهو وسطه موقد عليه نار مستعرة، وعندما دخل العجوز ألقى في النار بنوع من البخور كريه الرائحة واستمر الرجل يرتقي بعض درجات السلم وفتح بابًا عليه ثلاثة مزاليج، ودعى أمجد للوصول ولم يفق أمجد إلا وهو يسمع المزلاج يلي الآخر يغلق عليه من الخارج، وصوت العجوز يقول لفتاة، الطعام والماء مرتين فقط في كل يوم، ولا يفتح الباب إلا في وجودي.

سمع: أمجد هذا الحديث واضطرب حاله وارتجف بدنه وقد علم أنه أصبح سجينًا لهذا الرجل العجوز وبدأ يخاف قادم الأيام.

ثلاثة أيام وليلتين مرا على شهاب وهو في انتظار عودة أخيه، وتصادف مرور رجل عليه فسأله سبب وجوده في هذا المكان الموحش ، فقال له: أريد أن أدخل هذه المدينة ولكني متردد فأنا لا أعرف طبائع أهلها!!

قال الرجل: ما اسمك؟!

قال: شهاب.

أنت مسلم؟!

نعم.



- إذًا عليك الابتعاد عن هذه المدينة الظالم أهلها.

- كيف هم.

- إنهم من الوثنيين وعبدة النار، والداخل إليهم مفقود!

- صدر من الفتى شهاب صرخة عظمية، وهم أن يجري نحو أسوار المدينة، أمسك الرجل بيده ومنعه فقال شهاب: اتركني لأنقذ أخي!

قال الرجل: لن تتمكن وحدك من إنقاذ أخيك ويجب أن يكون معك جيش كبير ورجال أقوياء ، وإذا دخلت وحدك فلن تخرج منها.

جلس شهاب يقص على الرجل حكاية الأميرين اللذين تركا ملكهما وساحا في البلاد دون مأوى وها هو الأخ يفقد أخاه وترك الآخر يهيم على وجهه في أرض الله الواسعة.

قال الرجل: يا بني عليك أن تعود إلى أبيك وأن تطلعه على الأمر، وقد يكون في ذلك إنقاذ أخيك من مصير لا يعلمه إلا الله.

كان الرجل الذي أسر ماجد كبير موابذة عبدة النار ومن سدنة معبدها، وكان الناس يقدمون القرابين من حيوانات اللحوم أو الطيور، أما هذا الموبذ كان يقدم قربانه من البشر، و كان يحبس ماجدًا ليكون قربانًا للنار عند الحول الجديد الذي سيكون بعد ثلاثة شهور.

صاحب شهاب الرجل من طريق عودته إلى مملكة أبيه، ودخلا إحدى الممالك وكانت تتزعمها امرأة يطلق عليها «بيجانتو» تدين بالإسلام.

سوق المدينة واسع، يعج بالناس الذين يأتون إليه من جميع الأقطار يبيعون ويشترون منهم التاجر الأمين وفيهم الغاش الذميم والعامل الكادح والمحتال الطالح، وعندما مالت الشمس للغروب كان الرفيقان قد افترقا ولم يعد أحدهما



يجد الآخر وراح كل في طريق.

وعندما جنى الليل كان شهاب قد أعياه طول السفر وقلة الزاد فآوى إلى مقابر المدينة لينال قسطًا من الراحة ويبيت فيها.

وفي الصباح استيقظ شهاب على صوت شرطي يوخزه بالعصا، فانتفض مذعورًا !

قال الشرطي: من أنت؟! ولم تنام في هذا المكان؟!

- أنا غريب عن المدينة وليس لي مأوى ولا أهل.

- لدينا المأوى والمأكل ونحن أهلك، وسحب الفتى مقيدًا إلى سجن المدينة وهناك عرض على صاحب الشرطة الذي سمع روايته ورأف بحاله، وكان صاحب الشرطة يعرف مدى العداء الذي تكنه الملكة لأهل هذه المدينة الملعونة، فساق الأمير شهاب إلى الملكة «نيجانتو».

أنزلت الملكة شهاب منزل الأمراء بعد أن سمعت منه وأخبرته أنها لن تترك أخاه أسيرًا داخل المدينة الملعونة، وأنها خلال أيام ستعد جيشًا وستهاجمها وتخلص أخاه من الأسر وستقضي على هؤلاء القوم.

كان كبير الموابذة قد أعد العدة وتجهز للذهاب إلى جزيرة النار حيث المعبد الكبير الذي تقدم فيه القرابين، وقد وضع أمجد داخل صندوق بعد أن قيده وكمم فمه.

كان هجوم جيش الملكة «بيجانتو» سريعًا وخاطفًا وتمكنت قواتها من السيطرة على المدينة وقامت فرق للبحث عن الأمير أمجد.

كانت «تبيار» ابنة الكاهن قد أشفقت على الأمير أمجد، وما كانت الفرق التي تبحث عن الأمر تصل إليه لولا أن دلتهم هي على مكانه حيث كان في صندوقه



داخل سرداب أسفل البيت، والتقى الشقيقان بعد أن ظنا ألا تلاقيا.

أمرت الملكة بهدم دور عبادة الأوثان وحطمت الأصنام وكان إما الجزية أو الدخول في عبادة الواحد الديان.

عادت الملكة «بيجانتو» يصحبها الأميران والفتاة «ميار» التي أعلنت إسلامها، وقامت الملكة بإرسال سفن تلاحق سادن بيت النار وأتباعه إلى جزيرتهم، وتمكنت هذه القوات من اجتياح الجزيرة وهدم المعبد الكبير وقتل كبير الكهنة وكثير من الأتباع الذين رفضوا الاستسلام.

كان العجوز رفيق الأمير شهاب قد وصل إلى مملكة «إيبوتي» وقابل الملك «قمر الزمان» وأخبره أن ولده الأمير شهاب على قيد الحياة وقد أقسم ألا يعود إلى البلاد إلا وأخوه الأمير أمجد معه، وقص عليه اختفاء الأمير أمجد في المدينة الملعونة، كانت فرحة الملك غامرة، إلا أن الزوجتين رفضتا أن يعلنا فرحتهما قبل أن يريا الأميرين رؤيا العين، وطلبتا سرعة التأكد من السياف بأن الأميرين على قيد الحياة.

حضر السياف وقص عليه حقيقة الأمر وأنه لم يقو على تنفيذ أمر الملك بحصد رأسيهما فشكر له عدم إطاعته الأمر، فطلب السياف أن يكون ضمن الجيش الذي سيخرج للبحث عن الأميرين.

وقبل أن يخرج الجيش كان رسول الملكة «ميجانتو» قد وصل بالخبر اليقين بأن الأميرين أحياء وبعد أيام سيكون الجميع في حضرة الملك «قمر الزمان».

أقيمت الأفراح وارتفعت الزينات ونثرت الزهور في الطريق الذي سلكه القادمون وعلى أبواب المدينة كان الملك وزوجتيه والجد وجموع غفيرة في استقبال الملكة «ميجانتو» والأميرين أمجد وشهاب والفتاة «ميار».



عمت الفرحة وانتشى الجميع، وكان أسعد الجميع «بدور وحياة النفوس» وكانتا لشدة الفرحة يقدمان الطعام والحلوى والشراب لكل الحاضرين، وقد لاحظت بدور أن ابنها الأمير شهاب يبدي اهتمامًا بالفتاة «ميار» وعرفت «حياة النفوس» أن ابنها الأمير أمجد قد تعلق قلبه بالملكة «ميجانتو» وأسرتا بذلك إلى الجد.

وفي اليوم التالي وكان الجميع على مائدة الطعام قال الجد: لقد عشنا أيامًا عصيبة، فقدنا فيها الأمل والرجاء وعادت لنا السعادة على يد امرأتين فقد نفرت الملكة «ميجانتو» لإنقاذ الأمير أمجد وظهر منها النبل والشجاعة والإقدام ورقة المشاعر، وكذا كانت «ميار» التي عرضت نفسها للأذى ومدت يد العون وقامت برعاية الأمير أمجد طوال فترة أسره، وما كنا نصل إليه لولا مساعدتها وكفاها أن دخلت الإسلام طواعية وتخلت عن عقيدة أبيها وأجدادها الوثنية.

أتمت الملكة «حياة النفوس» ما أجملهما من فتاتين وكم أتمنى ألا يفارقانا ، فقالت الملكة «بدور»: إن الأميرين قد عانيا الكثير وقد آن الأوان لأن يستقرا ويتزوجا فأنا أريد أن أرى حفيدًا لي.

قال الملك «قمر الزمان»: لن أجد لأبنائي أجمل من هاتين الدرتين اللتين تزينان التاج ما رأي الملكة «ميجانتو» فأنا أخطبك لابني الأمير.. لا أعرف من منهما..

قالت الملكة «ميجانتو» منذ أن وقع نظري على الأمير شهاب، وعرفت أنه قدري وأنه نصيبي من الدنيا، وأنا الذي أخطبه لنفسي.

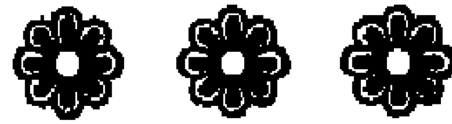
نظر أمجد نحو «ميجانتو» وقال: ما كنت أتمنى غيرك أمًا لأبنائي فأنت حلم حياتي ولكني كنت أخشى ملكك وعرشك وكنت أظنهم حائلاً بيني وبينك، ولكن ها أنت ترفعي عني الحرج وتهدمي الحواجز.



قالت حياة النفوس: وأنا أخطب «ميار» لابني الأمير «أمجد» حتى تتم فرحتنا وتكمل سعادتنا.

أطرقت «ميار» برأسها وقد تورد خدها ، فقام أمجد واقترب منها قائلاً: أرجو ألا ترفضي ودعيني أرد إليك بعضًا مما قدمت لي وإنقاذك حياتي.

مر أسبوع لم تعرف فيه مملكة «إيبوتي» النوم فقد طال الفرح كل بيت وكل حي وفي اليوم السابع خرج الأمير شهاب الذي أصبح ملكًا متوجًا على قلب الملكة «ميانتو» متوجهين إلى مملكتهما، وفي حفل الوداع أعلن الملك «قمر الزمان» تنازله عن العرش للأمير أمجد بعد أن أقر بأنه أخطأ في حق ولديه ولكن الله قد رأف به وأعادهما إليه.





الوزير الذي حفر قبره

الكرم والجود نعمة يفيء الله بها على الموسرين والفقراء كل يجود ولو بكلمة طيبة، فالكلمة الطيبة صدقة، واكتناز المال والطمع وعدم الرضا والتطلع لما في يد الغير نقمة يبتلي بها الحاقد الحسود، والنار تأكل بعضها والمكر يقتل صاحبه.

كان في بلاد السودان أمير دمث الخلق سخي، طيب القلب نقي، يجود بطبعه ويطعم الفقير والمسكين وعابر السبيل.

وذات يوم مر بالبلاد عالم جليل يدعى «عبده آجو» استقبله الأمير بالحفاوة والترحاب وطلب منه أن يبقى معهم بعضًا من الوقت يستفيد الناس من علمه، فلما قبل الرجل أنزله مكانته وهيأ له منزلاً وأكرم وفادته.

كان لهذا الأمير وزيرًا منافقًا يظهر غير باطنه وكان كلما وجد الأمير يفيض بكرمه يزداد غله ويقول في نفسه: ماذا لو أعطاني الأمير نصف ما يبذره على هؤلاء الفقراء أو الذين يدعون أنهم فقراء، لزادت ثروتي وقوي سلطاني، وعلا جاهي، وعندما حل «عبده آجو» على البلاد ، كانت نقمته عليه وحسده على مكانته عند الأمير الذي أصبح لا يقطع شيئًا إلا بمشورته ووفق رأيه وقربه إليه في مجالسه، وكل يوم يمر ترتفع منزلة «عبده آجو» عند الأمير وبين الرعية.

وصل حقد الوزير وغله على عابر السبيل مداه فراح يفكر في مكيدة تزلزل مكانة هذا الرجل عند الأمير وتقلع جذوره.

وذات يوم كان الأمير -كعادته- بين حاشيته وندمائه وزواره وكان الأمير في ذلك اليوم أكرم ما يكون وأجود مما هو عليه وزادت عطاياه، وسط هذا الحشد المبتهج جلس الوزير وقد عبس وجهه وظهر عليه الوجوم، فنظر إليه الأمير وقال له: مالي أراك وقد تغير حالك وانشغل بالك؟!

قال الوزير: في قلبي حاجة وعلى لساني قول وأريد أن أعرض عليك أمرا!!

قال الأمير: عندما ينفض المجلس نختلي فإن رأيك يهمني وإلا لماذا أنت وزيري؟!

ما زال الوزير يكظم غيظه ويكبت غله حتى انفض المجلس، فقال الأمير: هات ما عندك عسى أن يكون خيرًا!!

قال الوزير: أنت أمير وسليل أمراء وملوك لهم ولك شأن عظيم، وأرى أنك متواضع إلى حد كبير ومجالس الرعاع من الرعية وتتبسط معهم في الحديث وهذا أمر خطير يجعل الرعية تتجرأ عليك وهذا يضعف سلطانك عليهم وتهون في ناظريهم.

نظر الأمير إلى وزيره نظرة تدل على عدم الرضا وقال: هكذا أنا في نظرك أنت !!

عرف الوزير أنه تطاول في الكلام وتعدى حدوده، فاعتدل في جلسته واقترب من الأمير وكأنه يهمس به، أعز الله الأمير ونصره: أنت تعرف مدى حبي وإخلاصي لك وخوفي عليك وكنت أرى أن تجعل على بابك حاجبًا حتى لا يدخل كل صاحب هوى، وأنا على يقين أن أكثر من يترددون عليكم غير ذي صاحب حاجة ولكنهم يأتون طمعًا في كرمكم ولكن الأمر قد زاد عن الحدود عندما أدخلت بيننا غرباء لا نعرف لهم أصل ولا من أين جاءوا. وهذا ما أملاه عليَّ ضميري وفيه أحتكم إلى ولائي لك. رفع الله مقامك وأيدك ونصرك على

أعدائك والطامعين فيك.

قال الأمير بعد أن طال صمته: اسمع أيها الوزير، عليك أن تعرف أن عزي وجاهي وسلطاني، حب الرعية لي، وأن ثرائي وعلو شأني أثر نعمة الله علي وما نقص مال من صدقة أنا قضائي بيد الله وحده، وأمني وثبات ملكي جاء بهواني مع الناس وصارهم لهم الدرع الواقي والسند عند الخطوب والملمات وانتشار العدل وإقامة حدود الله هم دعائم استتباب الأمن وعموم الرضا في البلاد، أما إكرام عابر السبيل فهو أحد أهم وجوه الخير والأمر الذي يجعل المروءة تسري بين الناس ومن أوجه صرف الزكاة، وأظنك تقصد بذلك الرجل العالم الجليل «عبده آجو» فمنذ جاء لم يقدم لنا إلا الخير ويبذل قصارى جهده من تعليم الناس أمور دينهم ودنياهم.

نكس الوزير رأسه ثم قال: منك العلم والمعرفة أعزك الله وزادك من نعمائه وقام خجلاً وذهب إلى بيته، وبدلاً من أن يرتدع ويرجع عما يدور بخلده وتعتمر به نفسه من غل وحقد، زاد كلام الأمير كمده واشتعلت فيه النار وارتفع سعيرها.

جاءت زوجة الوزير ورأته على حالته المزرية فسألته عما به، فسكت عن الكلام، وعندما ألحت عليه، قص عليها ما كان من أمر الأمير، وكيف أنه كلما أراد أن يكيد لذلك الرجل الغريب انقلب عليه الأمر وكيف أن الأمير قد أحرجه وأن يظن أن مكانته هي التي تزلزلت وصغر في نظر الأمير.

فقالت الزوجة: قم وتناول عشاءك وبعدها نجلس سويًا نتدبر الأمر، وأعدك قبل طلوع النهار سنجد ألف وسيلة لاقتلاع هذه الشجرة من جذورها.

وبعد العشاء كانت رائحة البصل على المائدة قد عبقت المكان برائحة غير ذكية، حتى إن الوزير نفر من زوجته عندما اقتربت منه.

فصاح الوزير .. وجدتها .. وجدتها .. وإذا حالفني الحظ كانت الضربة



القاضية التي ستنهي حياته وتذهب عني الغم والنكد الذي سببه لي - فقالت زوجته: أخبرني علام عزمت وماذا دبرت؟!

قال الوزير: انتظري حتى تري وتسمعي ولكن لابد من الانتظار فترة طويلة حتى ينسى الأمير ما حدث بيني وبينه اليوم.

مرت الأيام والوزير يتقرب من «عبده آجو» حتى ظن «عبده» أن الوزير أصبح أقرب الناس إليه من الأمير وأصبح ملازمًا له، وكان يصحبه كل صباح ولا يدخل على الأمير إلا ويتقدمه «عبده آجو».

وذات صباح لم يمر الوزير على «عبده آجو» فعاده «عبده» في منزله ليطمئن عليه، فقالت له زوجته: إن الوزير ملازم للفراش وقد أصابته حمى على أثر نوبة برد شديدة، فاستأذن منها أن يدخل عليه ليراه..

وعندما دخل «عبده آجو» على الوزير مخدعه، رفع الوزير كمه وغطى فمه وأنفه وقال: لماذا دخلت عليَّ - عافاك الله- ألا تعرف أن مرض البرد معدي..!!

قال «عبده آجو»: إن زيارة المريض صدقة، فما بالك وأنت أعز الأصدقاء ولا يمكن أن أتركك إلا بعد أن تتعافى وتبرأ من المرض.

قال الوزير: شكرًا لك ولكن عليك أن تذهب إلى مجلس الأمير ولا تخبره بأنني مريض بداء البرد أو الزكام لأنه حريص جدًا على نفسه، وإن سألك عني فقل إنني مصاب بعلة خفيفة في ساقي لن تستمر يومًا أو اثنين وبعد خروج عبده من الغرفة، قال الوزير في نفسه: هذه هي الخطوة الأولى.

انصرف «عبده آجو» وذهب إلى الأمير ولأنه لا يحب الكذب، فذكر للأمير أن صديقه الوزير معتل بعلة خفيفة ستزول عنه اليوم أو باكر إن شاء الله، واسترسل في موضوعات أخرى حتى لا يلح عليه الأمير في السؤال عن سبب العلة.



وفي اليوم التالي ذهب «عبده آجو» ليطمئن على صديقه الوزير، فوجده معافى وكأنه لم يكن به شيء وأخبره أنه قد زالت علته وأصبح على خير ما يرام وذهب معافى إلى دار الإمارة.

وفي صباح اليوم الثالث: حضر «عبده آجو» كعادته ليصحب الوزير، قابله الوزير وأظهر على وجهه الدهشة وقال: لماذا أرى وجهك مصفرًا وعيونك حمراء ويدك تنتفض، لعلها بوادر مرض البرد، ياالتعاستي لقد نقلت إليك العدوى، وأظنك ستمرض بالبرد والزكام.

فقالت زوجة الوزير: لم ينفعك في مرضك ويعجل بشفائك غير البصل .. ادخل أيها الرجل الطيب إن عندي منه الكثير وكنت أحضره لزوجي ليتناول منه دائمًا حتى يشفى وها هو الحمد لله قد شفي فعليك أن تعجل وتأكل بعضًا من البصل ليحميك من البرد ويقيك من الزكام.

على مضض دخل «عبده آجو» وتناول الكثير من البصل حتى صارت رائحة فمه لا تطاق، فقال كيف أذهب هكذا إلى الأمير وأحضر مجلسه!!

قالت زوجة الوزير: لا عليك بعضا من الماء والصابون والمسواك يطهر فمك ويذهب هذه الروائح وإن كانت كريهة.

أحضرت الخادمة الماء والصابون وأخذ «عبده آجو» يغتسل ويغتسل ويسوك فمه بالمسواك ولكن الرائحة ما زالت بفمه عالقة.

قال الوزير: لا يجب أن تتأخر على الأمير أكثر من ذلك، وعندي رأي: أن تنتظر بعضًا من الوقت تغسل فمك وأنا ذاهب إلى الأمير أعتذر عن تأخيرك بعض الوقت، وأنت عندما تنتهي تحضر وإذا شعرت أن الرائحة ما زالت في فمك، فلا تقترب من الأمير، وإذا تكلمت معه فلترفع يدك وتضع كمك على فمك حتى لا يشم رائحة البصل التي تصيبه بالفزع، فيضطرب حاله ويعتل مزاجه، لا



تتس إذا اقترب منك الأمير أبعد وجهك عنه وانظر إلى الجهة الأخرى.

أسرع الوزير إلى ديوان الأمير ومع الحاشية وقف يستقبل الأمير عند دخوله.. وكالعادة راح الجميع يلقون على الأمير التحية، جال الأمير بنظره في الحضور فلم يجد «عبده آجو» بينهم فسأل الوزير : لماذا لم يحضر صديقنا الطيب اليوم لعل المانع خيرًا.

قال الوزير: إنه بالفعل رجل طيب وقد صار لي صديقًا لا يفرق بيننا إلا النوم، ولكني أراه هذه الأيام مهمومًا ، وعندما سألته عن سبب همه، قال: إنه يشتاق إلى أهله ويريد أن يرحل عن بلادنا الأمر الذي أحزنني وقد حاولت أن أثنيه عن هذه الرغبة ولكنه مصر على ذلك، وهو يرى أنه لا يستفيد من صحبتكم سوى لقيمات لا تشبع ولا تغني من الجوع، في حين يراك سخيًا مع غيره ويقول: لو كان يطاله بعضًا من هذا الجود والسخاء لكان خيرًا له.

قال الأمير: هو قال ذلك؟!

نعم أيها الأمير وأكثر من ذلك!!

- ماذا قال أيضًا.

- اعفني أيها الأمير فأنا أعرف مدى العلاقة بينك وبينه وإنك لن تصدق فيه شيء حتى ترى بنفسك .

قال الأمير: اصدقني القول.

قال الوزير: إنه يقول .. عفوك أيها الأمير.. لا يمكنني أن أقول وأعيد ما قاله.

قال الأمير: بحق ولائك الذي تتشدق به يجب أن تقول لي الحقيقة و الحقيقة كاملة.



قال الوزير: إنه يقول إن أشد ما يكرهه في هذه البلاد رائحة فمك التي لا يطيقها، وإن قالها غيره لأطحت برأسه ولكني أعرف منزلته عندك، وهذا ما جعلني أصبر عليه، حتى إنه يتعجب مني، كيف أطيق منك الحديث وجهًا لوجه، وطلب مني أن أشيح عنك بوجهي عندما تتحدث إليَّ.

قال الأمير: لا يمكن أن يصدر هذا الحديث من ذلك الرجل الذي أكرمنا وفادته ورفعنا منزلته.

قال الوزير: هذا ما كنت أظنه وأعرف أنك ستظن بي السوء.. ولكن ألم تلاحظ عنه في الفترة الأخيرة أنه يحاول اجتنابك.

قال الأمير: لم ألحظ ذلك!

- لأنك تحبه فلا تعير ما يفعله اهتمامًا.

تغير وجه الملك وصرخ ينادي بضرورة إحضار «عبده آجو».

ها أنا ذا يا أمير أطال الله عمرك وعز اسمك، واقترب «عبده آجو» وألقى التحية ولكنه ظل بعيدًا عن الأمير قدر المستطاع.

قال الأمير: سمعت أنك تطوق شوقًا لرؤية أهلك؟!

- ومن منا لا يهفو قلبه لرؤية أهله وخلانه وأصدقائه وعشيرته.

قال الأمير: لماذا أنت بعيد عنا، هل عفتنا إلى هذا الحد؟!!

قال «عبده آجو»: وهو يقترب .. حاشا لله أن أعافكم ولكن سألتني عن مدى شوقي إلى الأهل والوطن، وكلما اقترب «عبده» من الأمير رفع يده وبكمه يغطي فمه كما أشار عليه الوزير.

اقترب الأمير من عبده حتى كاد يلتصق به وقال له: كنت أظن فيك الولاء

وأنك أصبحت لا تقدر على فراقنا!!

أشاح «عبده آجو» بوجهه بعيدًا عن الأمير وكأنه يفر منه وقال: اعذرني أيها الأمير فالأمر أكبر من أن أطيقه أنا فكيف تطيقه أنت إن الرائحة كريهة تصيب بالقيء.

نظر الأمير إلى عبده شذرًا ونظر الوزير إلى الأمير عجبًا، فأمر الأمير بإخلاء الديوان وقد شعر بحرج شديد وصمم على الانتقام من ذلك الرجل الذي لم يصن المعروف وأصابه بالخزي أمام الحاشية.

مرت أيام ثلاثة لم يقابل فيها الأمير أحدًا وانطوى على نفسه، حتى الخدم الذين يقدمون له الطعام كان يبتعد عنهم.

وذات يوم قام وقد أعماه الغضب وكتب إلى والي الشمال خطابًا قال فيه:

«إذا وصلك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ولا تأخذك به شفقة ولا رحمة وإلا وضعتك مكانه».

ودعى فحضر «عبده آجو» وقال له : أعرف مدى اشتياقك لأهلك ولكن عليك أن تؤدي هذه المهمة التي لن يقوم غيرك بها، عليك أن توصل هذا الخطاب وعند عودتك ، سأهديك بعضًا من المال وتذهب لترى أهلك ثم تعود إلينا .

كانت سعادة الرجل غامرة بعد أن عرف من الوزير بأن الأمير انقلب عليه كما هي عادته دائمًا فإنه يتقرب من الناس حتى يظن أن المرء أصبح خليله، فينقلب عليه وتكون سوء العاقبة.

حمل «عبده» الرسالة وانطلق إلى منزل صديقه الوزير بأن الأمير قابله بوجه بشوش وعاد معه أفضل مما كان، وقد حمله رسالة يظن أن بها خيرًا له.

عجب الوزير من أمر هذا الرجل الذي لا يستوي في هاوية وكلما صنع له فخًا



عاد أفضل مما كان، وسأل نفسه : ترى ماذا يكون في هذه الرسالة وأرى «عبده آجو» مستبشرًا بها ويسرع بتجهيز نفسه للرحلة، ولماذا يذهب عني الخبر لمثل هذا الرجل الغريب، فأنا أدرى به منه.. سأحمل أنا الرسالة وأذهب بها لأنال ما بها من خير ونعمة.

ذهب الوزير إلى عبده فوجده يعد العدة فقال له: أيها الصديق العزيز ما ظنك بالأمير خير، وهذه الرحلة ستكون عليك وبال، فالطيق صعب وبه من الضواري ما تفتك بأي إنسان يجهل دروب الغابة وأحراشها، ومسالك الجبال وشعابها، وأنت تعرف منزلتك عندي، وأرى أن تعطيني الرسالة فأذهب بها دون أن يعرف الأمير، وساصحبك إلى أحد أصدقائي خارج المدينة وعند عودتي أمر عليك وتكون أنت في مأمن وأنجز عنك هذه المهمة التي أرى أنها صعبة عليك وقد توردك موارد التهلكة.

رفض «عبده آجو» الفكرة خوفًا من غضب الأمير، ولكن الوزير ظل يقنعه ويؤكد له أن الأمير لن يعرف بل سيكون سعيدًا إذا أنجزت المهمة ولم يصبك أذى.

اصطحب الوزير عبده إلى خارج المدينة بعد أن أخبر الأمير أنه سيتغيب عدة أيام لزيارة بعض أقاربه، وأودع عبده كوخ أحد أصدقائه وشدد عليه ألا يغادره لحين عودته.

إلى الشمال انطلق الوزير لا يشق له غبار ويسابق الريح، لم يوقفه جوع ولا عطش، ولم يحس جهدًا ولا رهقًا، حتى دخل على الوالي فناوله الرسالة وطلب منه أن يفضها في الحال حتى يعود للأمير الذي ينتظر عودته بما يحمله.

طلب الوالي من الوزير : الروية والهدوء وأن يبيت الليلة وفي الغد سيلبي طلب الأمير ويكون الوزير قد نال قسطًا من الراحة.



قال الوزير بلغة الأمر: سأذهب لأغتسل من غبار السفر وتناول الطعام ويجهز للعودة.

نظر الوالي إلى الوزير الذي يستعجل قضاءه، فنادى الحرس وذهبوا به إلى قبو بعيد القرار وهناك حمل الوزير كفه على يده وقضى نحبه.

أرسل الوالي أحد فرسانه يحمل كتابًا ورأس الوزير ويمتطي حصانه وعاد إلى الأمير وعندما دخل عليه ورأى حصان الوزير قال للرسول: من أين أتيت بهذا الجواد؟

قال الفارس: إنه جواد الرسول الذي أرسلته إلى الوالي.

تعجب الأمير من الأمر وقال للفارس: وماذا في جعبتك وماذا بيدك؟!

ناول الرسول الأمير كتاب الوالي وكشف الجعبة فوجد رأس الوزير ، فهاله ما يرى، واستدعى حاشيته وأرسل إلى زوجة الوزير ليستطلع الأمر.

حضرت زوجة الوزير ، وعندما رأت رأس زوجها انهارت وعندما أفاقت روت للأمير حكاية الوزير الحاقد مع «عبده آجو» الرجل العابد وقالت لهم على مكانه.

أرسل الأمير فحضر «عبده آجو» وعرف ما حدث وتعجب من أمر الوزير الذي كان يسرع إلى حتفه وبيده حفر قبره.





خائن الأمانة!!

كان «جاتو» وصديقه «مارو» يعملان في جمع الحطب، وقد اتفق الاثنان على أن يخرجا كل يوم إلى الغابة يجمعان الخطب ويقومان ببيعه واقتسام الثمن، وظلا على ذلك شهورًا طويلة والصديقان قانعان برزقهما وقد توطدت بينهما أواصر الصداقة، ولكل منهما زوجة وأولاد.

كانت زوجة «جاتو» جشعة دائمة التذمر وتظهر عدم الرضا، وذات يوم قالت لزوجها أنت أقوى من صديقك «مارو» وإذا عملت بمفردك سيتسع رزقك.. ويزيد خيرك، وإنني أشعر أن صداقة «مارو» لك بسبب عجزه واعتماده عليك.

قال جاتو: لا تقولي ذلك فأنت لا تعرفينه فهو يقوم بعمله بجد ويبذل الجهد والقسمة بيننا عادلة، هذا بالإضافة إلى أنه طيب القلب يحب أبناءنا وزوجته صالحة وتكن لك كل محبة.

قالت الزوجة: إنها امرأة لئيمة مثل زوجها.. أنت لا تعرف شيئًا وطيبة قلبك تجعل الناس يطمعون فينا ويستولون على أرزاقنا.. وما زالت بزوجها توغر قلبه على صديقه.

وذات صباح سمع «جاتو» ترد على «مارو» وتقول له لقد سبقك «جاتو» إلى الغابة، وهو يريد أن يجمع الحطب وحده وسيبيعه في السوق لأننا نحتاج إلى مال كثير لشراء بيت جديد.



قام «جاتو» مسرعًا ليلحق بصديقه، فقالت زوجته.. انتظر اليوم وسأتعرف أن صديقك لن يتمكن من جمع ريع الحطب، عندها ستتأكد بأنه يستغل جهدك وتعبك.

خرج «مارو» إلى الغابة وهو يفكر في صديقه الذي يريد أن ينفصل عنه في العمل، وهو الذي كان دائمًا يجد في عمله في حين كان «جاتو» كسولاً ولكنه ارتضى صحبته ليكون له أنيسًا وخليلاً، ولكنه قال في نفسه: إن صديقي «جاتو» رجل أمين ولم أرى منه سوءًا ، لابد أن يكون أمرًا طارئًا.

توغل «مادوا»في الغابة وحده يبحث عن الرزق، وفي أثناء عمله اصطدم قدمه بصندوق وعندما رفع غطاءه هاله ما به من أموال وجواهر، فحمل الصندوق وأخذ يفكر أين يحفظ هذا الصندوق ويخفيه بعض الوقت، فإذا ظهر له صاحب أعاده إليه وإن لم يكن فسوف يقسم ما فيه بينه وبين صديقه... يجب أن يكون المكان آمنًا وليس هناك آأمن من منزل صديقي.

حمل «مادو» الصندوق وذهب إلى دار صديقه فوجده في المنزل، فسأله عن سبب عدم خروجه اليوم، فتعلل بمرضه وأنه سيرتاح بالبيت عدة أيام.

تعجب «مادو» من الكلام الذي يناقض ما قالته زوجته في الصباح ، فقال لصديقه: المهم يا صديقي طالما أنت بالبيت ولم تغادره فعليك أن تحتفظ بهذا الصندوق ولا تفتحه وهو عندك على سبيل الأمانة.

ترك «مادو» صديقه وعاد إلى عمله وجمع الحطب وذهب إلى السوق وباعه وعاد إلى زوجته بكل الرزق وقص على امرأته ما حدث، فقالت الزوجة: لقد لازمك «جاتو» زمنًا طويلاً وكان لك شريكًا في الصحة، فليس من المروءة أن تتخلى عنه في مرضه، وقبل أن أعد لك الطعام يجب أن تعود إلى السوق وتشتري له مثل ما اشتريت لنا وتذهب إلى منزله فلا يجوز أن نأكل ونشبع،

ونترك صديقك وأسرته دون طعام، وغداً سأعد بعض الحلوى وأقوم بزيارة زوجته.

فعل «مادو» ما أشارت عليه زوجته وذهب إلى صديقه بالطعام واطمأن عليه.

تناول «جاتو» وأسرته الطعام، ثم قال لزوجته: ها هو «مادو» قد خرج إلى العمل وحده وذهب إلى السوق وباع واشترى وأحضر لنا الطعام ولم ينسنا.

قالت الزوجة: الأهم من ذلك الصندوق الذي أحضره ، ترى من أين جاء به وماذا ترى يكون بداخله؟!!

قال «جاتو» : الله أعلم.. لقد وضعه عندنا بصفة أمانة ولا يجب أن نفكر فيه.

كاد الليل أن ينصرم ونام «جاتو» ولكن زوجته أغمضت عيناها ولكن عقلها كان يعمل وبشدة حتى جفاها النوم، فقد كان الصندوق وما بداخله يشغلها ويؤرقها، فقامت تحاول فتح الصندوق.

سمع «جاتو» صوت صرير الصندوق يفتح فقام منتفضاً، فوجد زوجته تصفق صدرها وقد تحجرت عيناها على الصندوق وما بداخله، هم «جاتو» أن ينهر زوجته ولكن عندما وقع بصره على ما بداخل الصندوق شهق بصوت عال فأعاد زوجته إلى وعيها فقالت: انظر إلى ما بالصندوق.. انظر إلى المال الكثير والجواهر .. إنه كنز عظيم هذا هو صديقك الذي يعرف حالك ورغم ذلك يضن عليك ببعض المال ويدعي أنه فقير مثلنا.. إنه كنز ساقه الله لنا ونحن أحق به وأولى.

انطلقت المرأة بالكلام حتى إن أذن «جاتو» لا تلاحقها وقد غاب عقله فيما يرى وتحير فيما يسمع، هل حقاً صديقي يملك كل هذا المال ويضن علينا ببعضه، إنه شحيح بخيل وزوجتي عندها حق فإن ذلك كنز قد ساقه الله لنا ولا حق



لصديقي فيه، وسيكون ذلك أكبر عقاب له، ولكن كيف نحتفظ به.. ولا نعيده إليه، ومن المؤكد أنه سيذهب إلى القاضي وسيرسل من يفتش الدار وإذا وجدوه ستفتح علينا اللائمة وسيكون مصيرنا السجن.

قالت الزوجة: لا تخش شيئًا، فأين القاضي الذي سيصدق «جاتو» فيما يقول والجميع يعرفون حاله، أما عن الصندوق قم الآن ولنحفر حفرة عميقة وندفنه فيها، وبعد فترة وعندما تثبت براءتنا وكذبه، نرحل عن هذه القرية ونبدأ حياة جديدة، حياة القصور والخدم والحشم وننعم برغد العيش.

تبسم «جاتو» وقد مر أمام عينه القصر المنيف والعباءات الموشاة بالذهب، والحذم والضياع والبساتين وأهم من كل ذلك زوجة جديدة، جميلة صغيرة والتخلص من هذه المرأة الدميمة القبيحة الثرثارة، أو احتفظ بها خادمة للأبناء.

أسرعت الزوجة تساعد «جاتو» وتعينه وتدعوه إلى جعل الحفرة عميقة.. عميقة.. حتى لا يكتشفها أحد.. وتقول في نفسها.. اجعلها عميقة حتى لا ينكشف جسدك عندما أرديك فيها وأنعم أنا وأولادي فقط بهذا الكنز وأتزوج من فتى وسيم يعيد لي شبابي الذي ضاع في خدمة هذا الكسول البدين.

خرج «مادو» مع إشراقة الشمس وتوجه إلى الغابة وجمع قدرًا كبيرًا من الحطب وذهب إلى السوق فباع حصاده واشترى طعامًا يكفي الأسرتين وعاد إلى بيته، وقال لزوجته: سأذهب إلى بيت «جاتو» وأحضره هو وزوجته وأبناءه ليتناولوا معنا الطعام وعليك أن تعدي لنا الطعام بسرعة، فقد يكون «جاتو» وأسرته يتضورون جوعًا.

قالت الزوجة: من غير اللائق أن ندعوهم إلى درانا وهو مريض.. ما رأيك أن تسبقنا أنت وأنا سأعد الطعام ونحضر جميعًا لنتناول الطعام في منزله.

فكر «مادو» بأن هذا الرأي هو الصواب، فإنه لا يأمن إذا خرج الجميع من



منزل «جاتو» أن يتعرض الصندوق إلى الخطر والسرقة.

استقبل «جاتو» صديقه عند باب الدار وعلى وجهه ابتسامة باهتة وقال له: أتيت اليوم مبكرًا، وأرى يدك خالية وأنا والأولاد ينهشنا الجوع.

قال «مادو» لا تقلق يا صديقي، قليل من الوقت وتأتي زوجتي بالطعام وسنتناول جميعًا الطعام في دارك العامر.

استبشر «جاتو» ونادى على زوجته يخبرها بأن الطعام على وشك أن يحضر إليها دون تعب أو عناء.

وجلس «مادو» وصديقه يتسامران، فقال «مادو» لعلك محافظ على الصندوق قال «جاتو»: أي صندوق.

- الصندوق الذي أودعته عندك أمس.

- لم تعطني شيئًا.

ونادى «جاتو» على زوجته وقال لها: اسمعي ماذا يقول صديقنا «مادو».. وأردف يقول: هل أعطانا صندوقًا لنحفظه له.

قالت الزوجة : أي صندوق يحدث عنه..

قال «مادو» : لقد جئتكم أمس وأعطيتكم صندوقًا تحفظونه على سبيل الأمانة.

نظرت الزوجة إلى زوجها «جاتو» وقالت: هذا هو الصديق الذي تعتمد عليه يصمنا بخيانة الأمانة وسرقة صندوق.. اي صندوق يا رجل؟ ومن أين لك بصندوق؟.. وماذا بداخله؟ وأنت الفقير المعدم!!

ترك «مادو» الزوجان وعاد إلى زوجته وكانت تتأهب للخروج حاملة الطعام

فقال لها: إن «جاتو» ينكر أنني أعطيته صندوقًا ليحفظه عنده، وها هو يخون الأمانة!

- وماذا ستفعل؟

- سأذهب غدًا إلى القاضي وأشتكيه وبات «مادو» وأسرته وهم في نكد، في حين كان «جاتو» وأسرته سعداء بما حصلوا.

وقف «مادو» أمام القاضي يشكو «جاتو» ويتهمة بخيانة الأمانة.

أرسل القاضي واستدعى «جاتو» الذي أنكر أن يكون «مادو» يحفظ عنده صندوقًا وطلب من القاضي أن يذكر «مادو» ما في الصندوق ومن أين له صندوق وهو فقير معدم

كان «مادو» مذهولا مما يفعله صديقه ويقوله واحتار في أمره فقال للقاضي: لا أملك إلا أن أقول حسبي الله ونعم الوكيل، فهو القادر على رد حقي وإظهار الحقيقة وهو المنتقم الجبار.

لم يتمكن «مادو» من إثبات الحقيقة فليس عنده شهود، ولم يتمكن من وصف ما بداخل الصندوق وعاد إلى منزله مكفهر الوجه، حانقًا على «جاتو» الذي كان ينوي أن يتقاسم معه كنزه.

وجلس يفكر كيف يستعيد الصندوق، لابد من حيلة يعيد بها الصندوق!!

كان «مادو» يملك كلبين صغيرين وحاسة الشم عند الكلاب قوية، ففكر «مادو» فأخرج قميصًا كان «جاتو» قد تركه ذات يوم، وجعل الكلبين يشمان عرق «جاتو»، ثم أخذ القميص وألبسه دمية من الخشب وجعلها لعبة للكلاب تلهو بها.

وذات مساء أرسل أحد أبنائه إلى منزل «جاتو» وعرض على ولديه أن يصحباه للهو واللعب وتناول الحلوى في منزله على ألا يخبر أمهما التي سترفض.



ذهب الولدان مع ابن «مادو» فلقاهما «مادو» وأخبرهما أن والدهما يعمل في أحد البساتين القريبة وأنه سيأخذهما إليه ينعمان باللعب في المروج الخضراء وتناول الثمار.

صحب «مادو» الطفلين إلى مكان آمن وطلب من أحد الرعاة الحفاظ عليهما ورعايتهما، وحبس «مادو» الكلبين مع الدمية في غرفة وأغلقها عليهما.

جاء «جاتو» وزوجته يسألان عن طفليهما، فقال «مادو» لقد تحول طفليكما إلى كلبين على يد أحد السحرة، لم يصدق «جاتو» ما يقوله «مادو» وذهب إلى قاضي المدينة يشكوه ويتهمه بسرقة ولديه انتقامًا منه.

استدعى القاضي «مادو» ليحقق في التهمة الموجهة له، وقف «مادو» أمام القاضي وأخبره أن لله في خلقه شؤون وهو القادر على كل شيء وقال للقاضي: منذ يومين كنت أقف في مكاني هذا وعجزت عن إظهار حقي وقد احتسبت الله، ونادى «مادو» على ابنه الذي دخل على القاضي يسحب كلبين صغيرين ما إن شاهدا «جاتو» وشما عرقه حتى قفزا عليه يلاعبانه ويداعبانه ويدوران حوله.

نظر القاضي إلى ما يحدث أمامه وقد دهش هو والحاضرون وكانت دهشة «جاتو» أكبر وأعظم فقال القاضي: خذ ولديك وعد إلى منزلك وإن كان للرجل عندك حق أو مظلمة، فرد إليه حقه، قد يغفر الله لك ويعيد إليك ولديك.

انصرف الجميع من بيت القضاء فريق سعيد فرحان، وآخر واجم غضبان، وراح «جاتو» يصب اللعنات على زوجته التي أوصت إليه بخيانة الأمانة وسرقة صديقه وهي تقول له: ألم يعطك الله عقلاً لتتبعني في الغواية ونسير معًا في طريق الضلالة وكان الأجدر بك أن تنهرني بدلاً من الانسياق خلفي، وها نحن نحصد ثمرة الخيانة والطمع، إن كنوز الدنيا لن تعيد إلينا ولدينا. وأخذ الاثنان يتبادلان اللعان والسباب.



فكر «جاتو» قليلاً ثم قام وحفر وأخرج الصندوق وحمله وذهب إلى بيت «مادو» وقـال له: أيها الرجل العظيم، هذا هو الصندوق حقك الذي جلب عليّ العار والشنار وحرمني أولادي، وأرجو منك أن تدلنا على الساحر الذي حول أبنائي إلى كلبين.

قال «مادو» الآن ظهر الحق وعرفت أن المكر والخديعة لا ينقضهما إلا المكر والخديعة وإلهام من الله والنوايا الصادقة وقوة الإيمان. اذهب إلى المرعى خلف الجبال الشاهقة ستجد أولادك يلعبان في أمان وسلام، ولتعلم بأنني كنت أنوي أن أشاركك كنزي ولكنك لا تستحق المعروف.

أسرع «جاتو» وزوجته واستعادا ولديهما، وهما في طريق العودة لم ينقطع بينهما السباب واللعان ولطم الخدود ندمًا على ما صدر منهما.



الأخت المفقودة

مع خيوط الشمس الذهبية، خرجت فتيات القرية يحملن الجرار إلى عدوة النهر القريب، وكأنهن زهرات ناديات يتراقصن مع نسيم الصباح، ويتغنين مع صوت البلابل، ويعلو صوتهن وضحكاتهن على صوت الطيور.

كانت مظاهر الفرحة بادية على كل أهل القرية، فالحصاد غزير والصيد وفير، واليوم سيتم زفاف جماعي، فقد كان من عادات أهل القرية في مثل هذه الأيام أن يتم زفاف الفتيات والشبان، وتغمر السعادة القرية لمدة سبعة أيام بين الدفوف والطبول وأهازيج الفرح.

عادت الفتيات وكان الدخان يتصاعد من كل دار يحمل رائح الأطعمة المختلفة، وكان شباب القرية يرفعون الزينات ويفترشون الأرض بالزهور، ومجالس الرجال منتشرة، وكأن ساعات الزمن قد توقفت في هذا اليوم.

عادت «ميزيا» و«زارا» إلى البيت يحملا الجرار، وكانت «ميزيا» تتمتع بجمال خنومي باهر يتحدث عنه كل أهل القرية وشبابها ويتكهن لها الجميع بزيجة هنية من أحد الأثرياء أو من ابن زعيم لأحد القبائل، فكانت بعينيها الواسعتين وجدائلها السوداء، وقدها الممشوق تثير حسد الفتيات وتلهب قلوب الشبان، حتى أختها الصغيرة «زارا» ابنة التاسعة تجلس إلى جوارها وتلمس على شعرها الناعم الطويل.



أفلت الشمس وأطل البدر وانتشرت المشاعل لتحيل ليل القرية إلى نهار، ومدت الموائد وعلت الضحكات، وتراصت العرائس وقد توارين خلف خمائل من الزهور، وقام الشاب والفتيان يرقصن ويتغنين، وكانت النساء يقدمن الطعام والشراب.

وفي غمرة الفرح والسرور سمع الجميع صوت طلقات نارية تنطلق فتستقر في أجساد فتحولها إلى جثث مضرجة في الدماء، ويتحول الغناء إلى عويل وصراخ، وتتحول البسمات والضحكات إلى هلع ورعب.

كانت جحافل من النخاسين قد هبت كالرياح العاتية، وجوه حمراء وصفراء وسوداء، وسواعد مختلفة الألوان تتلقف الفتيات والشبان وتقذف بهم في أقفاص، وكأنهم ضوار مسعورة تلتقم كل من يقابلها، دقائق، كانت هذه العصابات تأخذ طريقها إلى الغابة تاركة القرية وأهلها في حالة ذهول، وأخذ كل عجوز يبحث بين الضحايا والجثث التي افترشت الأرض والكل يتمنى أن يكون ذوي القتلى والمصابين، وعلت الصرخات بين نواح وعويل لأب مسكين وأم مكلومة على قتيل أو جريح أو مفقود.

على بعد أميال وقريبًا من سواحل البحر كان هناك سوق كبير للنخاسة يتجمع فيه صيادو البشر ، يبيعون فيه العبيد.

كانت «ميزيا» و«زارا» ضمن إحدى القوافل التي تم اصطيادها وقد ربطت الفتاتان بقيد واحد وقد شحب وجههما وجفت دموعهما.

قالت الصغيرة: ماذا سيحل بنا يا أختي وقد ابتعدنا عن القرية وحرمنا من أهالينا وصرنا فريسة لهؤلاء القوم الذين لا تعرف قلوبهم الرحمة ولا الشفقة.

قالت «ميزيا»: لا تخافي فأنا معك ولن يصيبك شيء، وأدعو الله أن نبقى معًا في بيت واحد أو حقل واحد أو حتى قبر واحد.



قالت «زارا»: أنت جميلة وستكونين محل اهتمام وقد تكوني من نصيب أحد الملوك أو الأمراء الذين سيحسنون إليك ويرعونك، أما أنا فصغيرة ولست بجميلة وسأكون محل سخط ونقمة، وهب أننا افتقرنا، فيا لسوء المصير!!

أسرعت «ميزيا» وخلعت تميمة كانت حول عنقها، وقالت لأختها: البسي هذه التميمة ولا تنزعيها من عنقك أبدًا، وإذا كتب علينا الفراق، فلن يهنأ لي بال حتى ألقاك، وهذه التميمة هي التي ستعرفني عليك، فأنت صغيرة وبمرور السنين سيتغير شكلك، ومهما حدث فسوف أجد في البحث عنك وتقفي أثرك.

انتصب السوق وفتح المزادات، فتيات وفتيان من أنحاء شتى في قلب القارة الأفريقية دموع وضحكات، أموال، وبضائع، بيع وشراء، ومقايضة، وجوه مختلفة، وبشرات ملونة لغات ولهجات وسمات.

وعلى بساط وقفت الأختان يعرضهما النخاس للبيع معًا فاستبشرت «زارا» لأنها سوف تباع مع أختها.

وقف التجار يعاينون البضاعة وفتح المزاد وبين رفض وقبول وصياح وهمسات، تكاد «زارا» تفقد وعيها ويخور جسدها النحيل فبدت في حالة مزرية، فأحجم التجار عنها.

أفاقت «زارا» وقد بيعت أختها، فأخذت تبحث عنها وقد أصابها مس من الجنون، فأخذت تصرخ وتبكي،ولم تكف حتى نظرت أمامها رجلاً يتطاير من عينيه الشرر، وبيده سوط، وتمنت أن يلهب ظهرها وتموت، خوفًا من المصير الذي ستلاقيه بعيدًا عن أختها.

همست فتاة في أذن «زارا» لقد بيعت أختك لرجل يشتري الجواري والعبيد لأحد سلاطين الشمال وإنها لذات حظ عظيم.

قالت: أنا أبكي حظي العثر ومستقبلي المظلم.

كانت «زارا» من نصيب عجوز نساج، يصنع الطنافس والسجاد، وكان «زارا» ضمن عدد من الفتيات الصغيرات اللائي يعملن بجهد وشقاء، ولكن العجوز كان يعاملهن برأفة ورحمة وكانت داره قريبة من سوق النخاسة، وأمام إصرار الفتاة الصغيرة وجهدها الوافر، فكان يسمح للفتاة بين آن وآخر أن تذهب إلى سوق النخاسة وكانت تمني نفسها بأن تسمع أي أخبار عن أختها وكانت تلزم العجوز الذي اشترى أختها، فقد عرفت بعد عناء شديد، ولم ينقطع عنها الأمل رغم مرور الشهور والأعوام.

وذات يوم سمعت قصة السلطان الذي زوج ابنه من جاريته وأن هذه الجارية أصبحت ذات حظوة وسلطان وقد أثرت في رعايا المملكة بعظيم خلقها وحسن تدبيرها وحكمتها وجمالها.

أخذت «زارا» تتقص الخبر لتعرف اسم هذه الأميرة، بعد أن عرفت أوصافها وأنها قريبة الشبه من صفات «ميزيا» وعندما حضر إلى السوق تجار الشمال، أخذت تبحث بينهم عن أحد يعرف اسم الأميرة التي ذاع صيتها في السمال، وقد هالها أن عرفت أن اسمها الأميرة «ميزيا».

انتعش الأمل عند «زارا» وشعرت أنها ستلقى أختها عن قريب، ولكن كيف وممالك الشمال بعيدة وشاسعة، فعادت الفتاة تتقصى عن هذه الممالك وأماكنها والسبل المؤدية إليها، وعرفت أن هذه الممالك بعيدة والطريق إليها صعب ومملوء بالمخاطر والمجازفات والضواري من الحيوان والكواسر من الطيور والصيادين والنخاسين، وباتت تتساءل كيف السبيل للوصول إلى أختها بعد أن أيقنت أنها هي؟

لم تجد «زارا» وسيلة للوصول إلى أختها غير الهرب مهما كانت المجازفة،



والعواقب، وظلت أيامًا تجرع بعضًا من الطعام بكفيها بعضًا من الوقت وبعد ذلك فليكن ما يكون.

وأحد أيام السوق، هربت الفتاة واختفت داخل أحد الأحمال المكدسة واختفت عن الأعين وكانت القافلة متجهة إلى الشمال.

وفي الليل تحركت القافلة تجتاز الأنهار وتعبر الجبال وتخترق الفيافي والوديان، والفتاة كامنة في مكانها لا يسمع منها حس ولا يعرف لها مكمن.

مرت أيام ولم تر الفتاة فيها فلق الصبح ولا ضوء القمر، وذات ليلة وقد سمعت أصواتًا وجلبة شديدة وصليل السيوف وصوت الطلقات يصم الآذان، والأمتعة تتبعثر، فقد كانت جماعة من اللصوص هاجموا القافلة، فأسرعت الفتاة وألقت بنفسها جثة بين القتلى، ولم تفتح عينيها حتى سمعت حوافر خيول اللصوص تبتعد عن بقايا القافلة من قتلى ومصابين.

سمعت الفتاة أنين رجل مصاب فاقتربت منه، فكان لها طوق نجاة وكانت له منقذة، وناولته بعضًا من الماء، فعادت له الروح وضمدت جراحه، وتوكأ عليها وعلى شفا جرف جلس الرجل يسمع قصتها ووعدها أن يوصلها إلى أختها إذا ما كتبت له الحياة.

ما زال الرجل ينزف الدم والفتاة تستحثه على التمسك بالحياة، وبعد يومين فارق الرجل الحياة تاركًا الفتاة وحيدة وسط دغل موحش وأصوات مفزعة وظنون قاتلة، فقد كانت الفتاة تشعر أن الموت سيأتيها في كل لحظة من أي جهة، فالتصقت بشجرة ولم تشعر إلا وضوء الشمس يداعب جفونها، فاستيقظت ولكن لم يفارقها الرعب الذي استبد بها وهي ترى رفيق الطريق وقد أصبح جثة هامدة لا حراك فيها، وبعضًا من الكواسر قد احتلت مكانها فوق الأغصان تنتظر فرصة للانقضاض عليها لتنهشها.



فزعت الفتاة وأطلقت ساقيها للرياح يدفعها الخوف وكأنها تسابق الموت وعلى غير هدى، ومرة أخرى يصيبها الإعياء فتسقط على الأرض بين الحياة والموت.

أفاقت الفتاة فوجدت نفسها في كوخ وسمعت صوت رجل وامرأة يتحدثان بلسان لا تعرفه فقامت تتهادى حتى اقتربت من باب الكوخ، فوجد امرأة عجوزاً ورجلاً عرفت من هيئته أنه صياد.

قضت الفتاة «زارا» عدة أيام في كوخ الصياد تتلقى الرعاية والطعام والشراب وتتناول بعضًا من الأعشاب التي يجلبها الصياد وتعدها العجوز، وكانت لغة الإشارة هي وسيلة التفاهم، وعرفت الفتاة أن الصياد قد أنقذها من براثن حيوان كاد أن ينهشها.

تمكنت الفتاة عن طريق الإشارات توضح وجهتها وضرورة أن تكمل طريقها إلى الشمال لتصل إلى أختها، وحاول الرجل وزوجته أن يبقياها معهم وتكون لهم ابنة، وأمام إصرارها، صاحبها الرجل إلى بحيرة عظيمة تجوبها السفن والقوارب بين الشمال والجنوب وبعضًا من قوارب صيد الأسماك.

لم يكن الصياد من أهل المدن ذات الجلبة والضجيج ولا يعرف للنقود مصرفًا وعلى أطراف المدينة ودع الصياد الفتاة وسط فيض من الدموع والمشاعر الدافئة.

اقتربت الفتاة من أحد القوارب، وكان صاحبه مشغولاً برص البضائع التي سيقوم بتوصيلها إلى بعض مدن الشمال، انتظرت الفتاة وعندما انتهى من عمله ألقت عليه التحية وقالت له إنها في طريقها إلى الشمال لتلقى أختها.

- سألها صاحب القارب:

- هل معك نقود؟

- لا .. ولكن أختي ذات شأن عظيم ومال وفير، وأعدك بمكافأة قيمة، إذا ساعدتني للوصول إليها، وأنت رجل طيب رقيق القلب ولن تترك فتاة مسكينة لتضيع وسط هذا الزخم وتتوه بين الزحام.

- نظر الرجل إليها، وقال في نفسه إنني ذاهب إلى الشمال على أية حال ولن أخسر شيئًا إذا صاحبتها.

- اركبي أيتها الفتاة ولكن عليك أن تخدميني خلال الرحلة وتعدين الطعام والشراب، ولا تنسي مكافأتي عندما تصلي إلى أختك المزعومة.

- أعدك بذلك وإن طال بي الزمان.

- أيام قليلة ووصلت المركب إلى الشاطئ الآخر من البحيرة، ومن بين طيات ملابسها أخرجت الفتاة التميمة وجعلتها في صدرها، فقد انقضت سنوات وتغير شكلها ومظهرها ولن تعرفها أختها دون هذه التميمة، ولكن ما زال الطريق صعبًا.

نزلت الفتاة إلى الشاطئ وكان الليل قد داهم المكان وهي لا تعرف إلى أين ستتجه وهي تتضور جوعًا ولا تملك شيئًا.

كان المكان صاخبًا والحانات منتشرة والسكارى يترنحون هنا وهناك، وها هي وقد نجت من ضواري الحيوانات فكيف الحال مع ضواري الإنسان، وقد غاب عقلهم وعُميت أبصارهم، وما هي إلا لحظات ووجدت يدًا تقبض عليها وترفعها عن الأرض وعيون شرهة تنظر إليها، وكأنها عيون حيوان هم أن يفتك بفريسة.

أخذت الفتاة تتوسل إليه وتستعطفه، وهو لا يسمع إليها وأخذ يسحل بدنها الضعيف على الأرض وسط صرخاتها وتوسلاتها، وفجأة ظهر رجل قد كسى رأسه الشيب ولكنه كان ذو عنفوان فتمكن من تخليص الفتاة من براثن

هذا الذئب الدنئ.

لم تكن «ميزيا» أقل من «زارا» اشتياقًا للقائها ولم يفتر عندها الأمل في أنها ستقابل أختها ذات يوم، ولم تنسها مكانتها الجديدة كزوجة لأمير ولا الجاه والسلطان أختها الصغيرة البائسة الأمر الذي جعلها تعلن عن أوصافها ومكافأة سخية لمن يحضرها أو يدلي بمعلومات عنها، فصارت الصغيرة أكثر شهرة من أختها.

صحب التاجر إلى بيته الفتاة التي أنقذها لتوه وكانت امرأته شرسة فقابلت الفتاة على غير ترحاب، لم ترحم ضعفها ولم ترأف لذلها وألقت بها في مطبخ البيت وجعلت منها خادمة للجميع.

كانت الفتاة قد أخفت التميمة ، ومرت أيام والفتاة تصحو مع خيوط الفجر وتظل تعمل طوال اليوم بين غسيل وتنظيف وقضاء الحاجات وذلك مقابل لقيمات وفرشة تأوي إليها على الأرض لتبيت ليلتها تعاني لسعات البرد القارص.

لم يسمع أحد من أهل البيت قصتها وكان للتاجر ابنة صغيرة في عمر «زارا» لا تقل عن أمها قبحًا وشراسة ، حادة الذكاء، سليطة اللسان، وذات يومًا نشبت أظافرها في جسد الفتاة «زارا» لتأخرها عليها في قضاء حاجة لها.

كان لزوجة التاجر أخ يعيش في مدينة «ميزيا» ويعرف أمر أختها الصغيرة، وحضر لزيارة أخيه وقص عليه قصة الفتاة الضائعة، وعندما رأى «زارا» تذكر الفتاة وقال لأخيه: إن هذه الفتاة تنطبق عليها نفس أوصاف الفتاة، فنادى عليها وتودد إليها يسألها عن ماضيها، توسمت فيه الفتاة خيرًا فقصت عليه حكايتها، فطلب منها أن تريه التميمة، فأخرجتها من طيات ملابسها.

فقال لها: أنا أعرف طريق أختك، ولكن لا يمكنك أن تدخلي قصرها دون تمهيد لذلك.

أعطني هذه التميمة وسأسافر وأعرضها عليها وعندها ستأتي هي إليك وتأخذك معها.

اطمأنت الفتاة لمكْر الرجل وأعطته التميمة، وفي أحد أركان المنزل جلس الرجل وأخته يدبران أمرًا، أن ابنة أخته تشبه إلى حد كبير الفتاة الضائعة وبهذه التميمة يمكنها أن تدخل قصر «ميزيا» وتأخذ مكان أختها، وعندما علم التاجر بالأمر وما سيحصلان عليه من مال وفير ومكان رفيع وافق على هذه الخطة الخبيثة.

عاد الرجل إلى الفتاة «زارا» وقال لها: إنني أستعد للسفر وسوف أعود إليك في القريب العاجل ولكن لا تخبري أحدًا أيًا كان بقصتك حتى أعود إليك، والآن أريد منك بعضًا من التفاصيل التي لا يعرفها أحد سواكما، حتى يتأكد لها الكلام، قصت عليه الفتاة تفصايل كثيرة تعينه على حبكته الخبيثة.

أيام قضتها الأسرة اللئيمة تلقن الفتاة التفاصيل الدقيقة لحياة «زارا» التي فوجئت ذات يوم باختفاء ابنة التاجر وأمها وخالها.

دخل الرجل على «ميزيا» بعد أن طلب مقابلتها لأمر هام، وعندما التقته قال لها: أيتها الأميرة الكريمة، لقد أحضرت إليك قرة عينيك ومنية قلبك، لقد أحضرت إليك العزيزة «زارا».

قفزت الأميرة عن كرسيها وظهرت عليها علامات السرور، وقالت : أين هي، ولماذا لم تأت بها؟!

- قال الرجل: إنها بالخارج مع المرأة التي تولت تربيتها والحفاظ عليها من كل سوء.

- فلتدخل حالاً هي والمرأة الكريمة.



- دخلت الفتاة مسرعة وألقت بنفسها في حضن الأميرة وفتحت مزاريب عيناها تذرف الدمع الغزير وظهر على صدرها التميمة التي تؤكد حقيقة كونها «زارا».

- قالت «ميزيا» أواه يا أختي العزيزة كم تغير حالك وتبدل ولكن الحمد لله أنك حضرت والتقيت بك بعد طول غياب وقد استجاب الله لدعائي وصلواتي.

- تعالي وقصي عليك ماذا حدث لك منذ افترقنا.

- قالت الفتاة شبيهة «زارا» يا أختي العزيزة : كم عانيت وقاسيت وانتقلت من بلد إلى أخرى أسعى للوصول إليك ، حتى التقيت بهذه السيدة الكريمة التي أوتني في بيتها وأطعمتني وكستني وحافظت عليَّ وحتى وصل هذا الرجل المبجل وعرف حكايتي وتمكنت بمساعدته الوصول إليك وقد وعدته بمكافأة كبيرة نظير ذاك.

قالت «ميزيا» إن كنوز الدنيا قليلة نظير ما قدمه لي، وأنت أيتها السيدة الكريمة ماذا أفعل لرد جميلك وأكافئك على رعاية هذه الفتاة التي مرت بظروف صعبة.

أتقنت الفتاة تمثيل دورها حتى أعجبت بها الأم وأخيها، وقامت «ميزيا» بإرسال رسول إلى زوجها الذي كان خارج البلاد تخبره بأنها عثرت على أختها الصغيرة والتي ستعوضها عدم الإنجاب ، والتي ستملأ عليها القصر سعادة وسرور، وتأمر الأميرة بأن تقام الاحتفالات وتمر الموائد.

ما زالت «زارا» الحبيسة يحدوها الأمل وتنتظر الرجل وإن طالت الأيام وامتدت وهي تعاني الشقاء والإرهاق في بيت التاجر، ورغم أن الشكوك بدأت تحاصرها لغياب المرأة زوجة التاجر وابنتها وفقدها التميمة، ولكنها كانت تبعد عنها الظنون بكل وسيلة.

عاد الأمير من رحلته وأجزل العطاء للرجل والمرأة وزادت «ميزيا» عليه وطلبت من المرأة البقاء معهم في القصر ولكنها فضلت العودة إلى بيتها بعد أن اطمأنت على ابنتها وحسن تدبيرها وعلى أن تعود كل فترة تطمئن عليها.

عادت المرأة إلى بيتها محملة بالغنائم والأموال والأحلام والتقت زوجها وسط مظاهر الفرحة والسرور.

استغربت «زارا» عودة الأم دون الابنة والخال وعندما سألت عليها قالت المرأة: إن الابنة ذهبت مع خالها وأنها مقبلة على الزواج ولن تعود إلى المنزل مرة ثانية.

تغير طابع المرأة مع الفتاة فأصبحت تعاملها معاملة حسنة، وعملت على عدم خروجها من المنزل إلا للضرورة وحاولت أن تنسيها أختها، وإن البحث عنها أصبح ليس له ضرورة وأن أختها قد نسيتها وانشغلت بحالها وأن الفتاة عليها أن تستعد للزواج من ابن الحداد الذي سيكفلها ويجهز لها بيتًا تستقر به، وأكد على ذلك التاجر الذي وعدها بأنه يسعى لإتمام هذه الزيجة على وجه السرعة.

توجست الفتاة من ذلك الأمر خيفة وشعرت أن هناك أمرًا قد تم تدبيره وزاد هذا الخوف عندما طال غياب الرجل واختفاؤه بعد أن سلبها التميمة واختفاء الابنة وعودة المرأة محملة بالذهب والحرير وحديثها الهامس مع زوجته وتغيير معاملتهم لها!!

وعلى الجانب الآخر كانت الفتاة المخادعة تنعم برغد العيش وطيب المقام وحنان الأخت ورضا زوجها، وفاض عليها الخير من كل جانب.

وبعد فترة تغلب الطابع السيء عليها ، وبدأت تستغل مكانتها وتزيد طلباتها التي لا تعرف أختها أين تذهب بكل ما تحصل عليه، وظهرت غطرستها وجشعها وتكبرها، وزاد ثراؤها وأخذت تستغل «ميزيا» وتكتنز الذهب والجواهر والأموال.



تناقل التجار قصة الفتاة «زارا» أخت الأميرة التي زاد ثراؤها وهي ابنة الخامسة عشر وقد صارت مطمع الأمراء للزواج بها رغم شراستها وعنوانه، ولكن الطمع في ثرواتها وثروات أختها كان الهدف والمطمع.

كانت «ميزيا» تراقب أختها عن كثب وترى منها مظاهر لا تليق بها ولا بزوجها الأمير ولكنها لم تكن لتسعى لوقفها عما تفعل، وترجع ذلك لما عانته في الفترة السابقة.

طال انتظار «زارا» في منزل التاجر، ورغم المحاولات فإنها لم تنس أختها «ميزيا» وذات ليلة هربت الفتاة من المنزل وأخذت تتسكع في شوارع المدينة الواسعة، وعندما سألت عن قصر الأميرة «ميزيا» عرفت أنه في مدينة قريبة وأن الوصول إلى القصر أمر صعب.

التقت «زارا» بفتاة أخرى في مثل سنها فسألتها المأوى فأخبرتها أنها تعمل طرف خياط وأنه سيسعد إذا ما ذهبت معها فهو في احتياج إلى فتيات تعمل لديه، وأنها ستسعى إليه وبالفعل قابل الخياط الفتاة بالترحاب ووفر لها المأوى والطعام والشراب.

عملت الفتاة بجهد ودأب حتى أصبحت ذات خبرة في هذا المجال، وطلبت من الخياط أن يحجز لها بعضًا من المال، ليكون لها عونًا ومعينًا في السفر إلى أختها.

وفكرت الفتاة وماذا بعد السفر والوصول إلى قصر أختي فإنها لن تعرفني بدون التميمة وهذه الفتاة التي احتلت مكانتي وإنني على يقين بأنه ابنة التاجر، ولكن كيف أثبت أنني «زارا» الحقيقية؟!!

ما أشعد تعاسة المقهور المظلوم، وهو يرى ظالمه الذي غدر به ينعم بالخير والأهل والصحبة والمكانة، وهو يكابد من أجل لقمة العيش وحيدًا

دون أهل ولا عشيرة.

كان يومًا مشرقًا عندما قدم الخياط يخبر البنات بأنه ذاهب إلى قصر الأميرة «ميزيا» التي أرسلت في طلبه لصنع بعض الملابس لها ولأختها التي سيتم زفافها إلى أحد الأمراء.

ألحت «زارا» على الخياط أن يصحبها معه وستكون له نعم المعين، كان القدر رحيمًا بتلك الفتاة المسكينة، فهيأ لها فرصة دخول قصر أختها التي لا تعرفها.

دخلت الفتاة القصر وقد اضطربت مشاعرها واختلج قلبها، وهي لا تعرف كيف ستقابل أختها بعد طول الفراق وضنى الوحدة ومشاعر جارفة فياضة أقوى من أن تتحملها مثل هذه الفتاة في مثل ذلك العمر، وماذا ستفعل عندما تراها الفتاة البديلة ولابد من مقابلتها؟!!

كانت الأميرة «ميزيا» تجلس بين جواريها عندما دخل عليها الخياط وفتاة نحيلة الجسم مصفرة الوجه ، تمسك بتلابيبه وكأنها ستواجه وحشًا ضاريًا، عيناها زائغة، تبحث عن شبيهتها ،وعندما وقعت عيناها على أختها فاضت بالدمع وكادت أن تسرع نحوها لترتمي بين أحضانها.

كانت «ميزيا» على جمالها وحسنها ورقة قلبها لم يغير منها الزمان ولا سعة العيش ورغد الحياة شيء، فنظرت إلى الطفلة وقالت للخياط: أهي ابنتك؟!

فقال الخياط: نعم يا سيدتي..

فقالت الأميرة: ولكنها لا تشبهك..

فقال الخياط: إنها في منزلة ابنتي ويعلم الله أنني أكفيها الطعام ولاشراب ولا أقسو عليها ولكنها دائمًا شاردة عائفة عن الطعام وكأنها تحمل هموم الدنيا كلها.

نادت الأميرة على الفتاة فاقتربت منه فسألتها : ما اسمك؟!

لم تنبس الفتاة وقد تصلبت عيناها على أختها وقد تحجر الدمع في مقلتيها، فسألتها: كم عمرك؟!

فقال الخياط: إنها قليلة الكلام، ولا أكاد أسمع لها صوتًا.

فقالت الأميرة: هذا الوجه ليس بغريب عني وأنت في مثل عمر أختي «زارا» وكم كنت أتمنى أن تكون في هدوئك وسماحة وجهك!!

قال الخياط: أكرمك الله أيتها الأميرة، كيف تكون أختك في مثل هذا البؤس والشقاء، وكانت الفتاة «زارا» ما زالت تحملق في وجه أختها، وقد اطمأن قلبها بعض الشيء.

على بعد مئات الأميال وفي أحد الممالك كان هناك صراع بين الملك وابنه الأمير الذي قرر والده زواجه من «زارا» أخت الأميرة «ميزيا» فقد كان الأمير لا يوافق على هذه الزيجة.

قال الأمير لأبيه: يا أبت لماذا تصر على زواجي من تلك الفتاة الطائشة؟ ألم يصلك إلى سمعك نزقها وقلة عقلها، وتهافتها علي الذهب واكتنازه والجواهر وامتلاكها، وتسلطها بالإضافة إلى كبريائها وغطرستها؟!

قال الملك: يا بني إنها فتاة صغيرة ويكفي أنها أخت الأميرة «ميزيا» صاحبة الخلق الرفيع والعقل الراجح، ورقة القلب، وإنها لابد وأن تؤثر فيها، وعندما تصبح زوجتك سيكون لك عليها سلطان وتنعمان معًا بالخير العظيم الذي ستناله من الأميرة «ميزيا» وزوجها.

قال الأمير: لقد كنت لك الابن المطيع وسأظل ولكن لتعلم أنني غير راض على هذه الزيجة، فأنا لا أشعر نحو هذه الفتاة بأي عاطفة، حتى عندما قابلتها، لم يعجبني أسلوبها في الحديث ولا منطقها في الكلام.

الأيام تمر والاستعدادات على قدم وساق في قصر الأميرة «ميزيا» والخياط يبذل الجهد، والفتاة الصغيرة المسكينة قابعة لا تخرج وقد قتلها التفكير، كيف تعلم أختها بحقيقة الأمر، إن الأيام تمر مسرعة حتى جاء مساء ذهبت فيه الفتاة مع الخياط إلى قصر الأميرة «ميزيا» بعد أن علمت بعدم وجود شبيهتها المحتالة بالقصر، وهناك وجدت الأميرة وزوجها يتحدثان في أمر تلك الفتاة وتصرفاتها المريبة وكثرة إنفاقها على الرجل والمرأة اللذين أتيا بها إلى القصر، وفي حين وجدت الأميرة «ميزيا» تدافع عن أختها رغم عدم اقتناعها ، فإنها وجدت الأمير يستعجل الزفاف حتى يتخلص من تلك الفتاة الطائشة.

جاء داع يخبر الأميرة بأن أختها قد حضرت وهي في الطريق إلى الأميرة، فقام الزوج وقال لزوجته: اذهبي حيث هي، ولا تدخليها عليَّ إلى أن يأتي يوم الزفاف وأسلمها لزوجها، وكان الله في عونه، فأنا لا أعرف كيف تكون أنت وهي من بطن واحدة؟!

نظرت الأميرة إلى زوجها في عتاب رقيق، وخرجت ومعها الخياط وقد فضلت الفتاة أن تنتظر في مكانها.

خلت القاعة إلا من الأمير والفتاة، فاقتربت منه بعد أن توسمت فيه الفطنة والذكاء وعدم الرضا عن الفتاة المحتالة، وقالت له: أطال الله عمر الأمير إني أراك غير راض على أخت الأميرة «ميزيا»، فكيف إذا عرفت أنها فتاة محتالة وقد أخذت مكان «زارا» الحقيقية وأن اللذين يترددان عليها هما أمها وخالها وقد اشتركا في هذه الخدعة!!

قال الأمير: وكيف عرفت بذلك؟!

قالت الفتاة: لأنني أنا «زارا» أخت الأميرة!

- ولماذا لم تخبري أختك بهذا الأمر.



- لأنهما أخذا التميمة التي كانت أداة التعرف على أختي ، وأخشى إذا قلت لها الحقيقة تعنفني وتطردني من القصر

- قال الأمير: قصي عليَّ قصتك وما حدث لك وكيف استولوا على التميمة، فقصت عليه حكايتها وكيف أن الصياد قد نقلها من شاطئ إلى آخر وقد رأى معها التميمة ، وكيف أن خال الفتاة وأمها احتالوا عليها وأخذوها منها.

عرف الأمير من الفتاة اسم الصياد وشعر أن في كلامها بعضًا من الحقيقة، وكان شكه في سلوك الفتاة المحتالة دافعه إلى تصديق رواية الفتاة.

حضرت الأميرة والخياط وكان الخياط يتمتم بكلمات غير مفهومة، فقال الأمير: ما بك؟

فقال الخياط: إن الأميرة الصغيرة متمردة ولا يعجبها شيء.

قالت ميزيا: عليك بالصبر إنها فتاة صغيرة..

قال الأمير: علينا جميعًا بالصبر وسيأتي الله بالفرج القريب.

أرسل الأمير فأحضر الصياد وعرف منه قصة الفتاة وأخبره أنه يمكنه التعرف عليها ومن وراء حجاب أطلعه على الفتاة الشبيهة، فأخبره بأنها ليست الفتاة التي نقلها وصاحب التميمة، وأرسل به إلى حيث الخياط والفتاة «زارا» فعرف الأمير أن الفتاة محتالة ولكن كيف سينقل الخبر إلى الأميرة «ميزيا».

وعندما حضرت الأميرة قال لها: إن في قلبي ريب من هذه الفتاة فهي لا تشبهك في شيء.

فقالت الأميرة: أراك متحاملاً عليها، وما هي إلا أيام معدودة وستفارق إلى حيث دار زوجها وعندها سيرتاح بالك ويهدأ خاطرك.

قال الأمير: ما زلت أشك أنها أختك، ما رأيك في أن تسأليها عن ماضي



عهدكما وكيف كانت جميلة في فستانها الأحمر وجدائلها ذات الشريط الأبيض في عرس خالكما.

نظرت الأميرة إليه وهي تستغرب كلامه، كيف يكون هذا وقد تزوج خالي قبل أن تولد «زارا»..

قال الأمير: فقط اسأليها وعندها ستعرفين الحقيقة، وحتى يكون الأمر مؤكدًا سأكون معك.

ذهب الأمير والأميرة إلى حيث كانت الشبيهة، ودخلا عليها، فقال الأمير: إنك اليوم في أجمل صورة، وكم كنت أتمنى أن تظلي معنا تشعين في القصر نورًا ودفئًا وحنانًا.

فقالت الأميرة «ميزيا»: كم كبرت وكنت بالأمس طفلة صغيرة، هل تذكرين يوم عرس خالنا وكنت ترتدين الثوب الأحمر وزينتي شعرك بشريط أبيض، كم كنت جميلة!!

قالت الفتاة: وأنت يا أختي كانت جميلة إنني أذكر فستاني الأحمر وأتذكر أنك قمت بعمل جدائل شعري وكنت أجلس بجوار خالنا، وكان يومًا سعيدًا بهيجًا.

فقالت الأميرة: وهل تذكرين أبي ماذا فعل يومها؟

فقالت الفتاة: كان أبي يحملني على كتفيه وكان سعيدًا بنا وكذلك أمي.

قالت الأميرة: كيف يكون ذلك وقد تزوج خالي قبل أن تولدي، ومات أبي وأنت ابنة شهر واحد.. إنك لكاذبة.. من أنت؟

ارتبكت الفتاة وقد حل الذعر محل الثقة، والذل محل العزة، والخنوع والخضوع محل التكبر والتسلط، وركعت تتوسل للأمير أن يعفو عنها، وأن أمها وخالها وأباها هم الذين دفعوها إلى فعل ذلك!!.

كان ذهول الأميرة «ميزيا» أكبر وأعظم وهجمت عليها قائلة: أيتها المخادعة المحتالة وأين أختي، ماذا فعلتم بها بعدما أخذتم منها التميمة؟

قال الأمير: أختك كانت بجانبك طوال الوقت..

كيف؟ وأين هي؟!

وفي هذه الأثناء دخلت «زارا» لا تحملها قدماها وطارت نحو أختها التي تلقفتها بين يديها وظلت تقبلها وتحتضنها بشغف ولهفة وهي تلوم نفسها، كيف كنت بجوارك ولا أعرفك ويقولون إنني مرهفة الحس، رقيقة القلب، يا له من قلب قاس، جاحد ناكر للأخوة، وبدلاً من أن تهدهد «ميزيا» أختها، أخذت «زارا» تمسح عن أختها الدموع التي انهمرت تغمر وجهها وتبلل وجهها.

أرسل الأمير فألقى القبض على التاجر وزوجته وأخيها وألقى بهم في غياهب السجن عقابًا لهم على ما اقترفوه من آثام.

وأرسل إلى العريس المنتظر وأخبره بالحقائق الجديدة وأنه في حل من عهده، فلم يرسد الأمير ردًا بل حضر هو وأبوه الملك، وأعجب الأمير بالفتاة «زارا» والذي عرف فيها سمات أختها الأميرة «ميزيا» ، وعرف فيها الرضا بالقليل والصبر على المكاره، والمثابرة رغم العناء والشقاء، والإيمان بأن الحق لابد ظاهر مهما طال زمن الظلم، واتفق الجميع على أن الخداع عاقبته الهلاك.

حكايات شعبية

الكل في الغباء سواء

خرج صياد يبحث عن رزقه ومعه رمحه وشبكته، فوجد غزال ثبت في مكانه وكأنه صنم منحوت، راح يتفرسه من بعيد فوجد ثعبان عظيم الحجم منتصبًا أمامه في حالة تأهب إذا تحرك الغزال لدغه.

وقف الصياد متحيرًا إذا ضرب الثعبان فر الغزال وإذا تحرك الغزال لدغه الثعبان وأصبح مسمومًا لا نفع منه، وأخيرًا تناول حجرًا وقذف الثعبان فانسحب وأطلق الغزال ساقيه للرياح فاختفى.

جلس الصياد يتفكر في هذا الموقف الذي لم يألفه من قبل، ولماذا لم يلق شبكته على الغزال فيصيده وكان الثعبان سيخاف وينسحب.. ليس لي نصيب في هذا الصيد.

سمع الصياد صوت انهيار بعض الصخور فهب مفزوعًا فوجد الثعبان قد انحصر بين صخرتين يريد الفكاك منهما وسمعه يقول:

أيها الإنسان الكريم أرى أنك عطوف رقيق القلب وكيف أنك انقذت الغزال وحرمتني وليمة عظيمة، وأرجوك أن تخلصني من ورطتي فإن لي أولادًا صغار في حاجة إلى رعايتي وأنت قادر على إنقاذي وإنقاذهم فأنت أهل المروءة.

واعدك إن أنت أنقذتني وفككت أسري أدلك على كنز لم تراه عين وأنا الحارس عليه.

راح الصياد يفكر في كلام الثعبان، وأن قتله لن يفيد، وقد يكون صادقًا وبقتله سأفقد الكنز الذي يزعم أنه حارسه، ولما لا ويمكنني أن احتاط منه إن كان غادرًا وصادقا، وجعل بينهما مسافة وساترًا وطلب من الثعبان عدم الالتفاف إلى الخلف وإلا سيكون في ذلك القضاء عليه.

لف الصياد ذراعه بشريط سميك من الجلد وغلظه بقماش من الكتان، ثم دار حول الثعبان وتمكن برمحه من تحريك الصخرة، وما كاد الثعبان يشعر بأن الصخرة تخف وطأتها عن ظهره فالتفت بسرعة لينشب أنيابه في جسد الصياد ويفرغ فيه سمه الزعاف.

كان الصياد أسرع منه ومد يده فتشب الثعبان مخالبه من الجلد والقماش، انسحب الثعبان بسرعة وانتصبت هامته ورفع رأسه وسلط عينيه على الصياد الذي صار على هيئة الغزال الذي ثبت في مكانه وكأنه صنم.

قال الصياد: لقد طلبت مني أن أكون صاحب مروءة فأين مروءتك وكنت معك كريمًا فأين كرمك، وقد حررتك من الأسر فحررني من أسري.

قال الثعبان: لم تكن المروءة ولا الكرم، وإنما الذي حررني من الأسر ذكائي وجشعك حيلتي التي انطلت عليك وطمعك في الكنز الذي ظننت أنني سأهديك إليه.

قال الصياد: كل سيحاسب على ما في ضميره فإن كان خيرًا فخيرا وإن كان شرًا فشر.

قال الثعبان: من يضمن لي عدم غدرك وأني إذا تركتك ستلقي عليَّ الشباك



وتبعني حيا أو تضربني بالرمح وتبيع جلدي وتأخذ سمي تستفيد منه وبه.

قال الصياد: لست مثلك أخلف الوعود وأحنث بما قسمت.

قال الثعبان: إنك مثل بني جلدتك لا تحفظون عهود ولا تبرون بقسم، لقد تعلمنا منكم كيف نقتل دون سبب وتعلمنا منكم الغدر والحقد وصفات كثيرة لم تكن فينا معشر الحيوانات.

قال الصياد: كذبت فيما تدعي فنحن معشر البشر أكثرنا يتمسك بالخلق ونتحلى بالنبل والكرم والاخلاص.

قال الثعبان: سأتركك على شرط أن تترك رمحك وشبكتك ونحتكم لثلاثة من معشر الحيوان الذين ستقابلهم ليقولوا لنا الصفات الغالبة فينا.

ترك الصياد رمحه وشبكته وسار وخلفه الثعبان متوغلين في الغابة، فصادفهم حصان عجوز يتصبب عرقًا ويمشي على ثلاث قوائم والرابع به جرح غائر لا يتحمل وضعه على الأرض.

استوقفه الإنسان وقص عليه ما كان منه ومن الثعبان والحديث الذي دار بينهم وطلب منه أن يحكم بينهما بالعدل.

قال الحصان: لو كانت لي قوة الثعبان لقتلتك ألف مرة، انتفض الصياد والثعبان معًا، الصياد خوفًا ورعبا والثعبان انتشاءًا وفرحا.

قال الصياد: لماذا كل هذا الكره.

قال الحصان: إليك حكايتي وتحكم أنت بنفسك.. كنت في صبايي من الخيول البرية، أذهب وأروح حيث أشاء في المراعي الخضراء لا يحدني نهر ولا منعني جبل، حتى جاءت عصبة من الرجال بشرتهم بيضاء غرباء عنا لم نرهم من قبل وتمكنوا من صيدي وأنست لهم عندما قدموا لي السكر الحلو ووفروا لي الغذاء

الذي تنوع وعرفت فيهم الكرم والجود وبعد أيام ساقني المالك إلى مالك آخر أكثر منه جودًا وكرم ووفر لي مكانًا مريحًا أبات فيه، وبعد فترة وجدتني في ميدان سباق ورجل يمتطي ظهري وعصا تضربني ومهماز ينخس بطني ويأمرني بالعدو والعدو السريع والمهماز يكاد ينخر بطني وفي نهاية السباق أتلقى التهاني وبعضا من السكر وأعود إلى مبيتي فأجد الماء والطعام والرعاية، وأناس سود البشرة يعملون على تدليلي فأستحم وأمشط، لا ذبابة تضايقني ولا بعوضة تلسعني، فعرفت أن هذه المعاملة الطيبة لقاء الجهد الذي أبذله في مضمار السباق فسعيت إلى الاجتهاد وكلما بذلت جهدًا زائدًا نلت معاملة أفضل وطعامًا أوفر وبدلا من الاغتسال مرة أصبح الاغتسال عدة مرات، وجاءتني رفاهية الحياة التي لم أسع إليها وكنت أظنها ستدوم، وكان المالك سعيدًا بما يجنيه من أموال وما يحصده من جوائز وكان هذا الخير العظيم يعود علي في المعاملة والتدليل والطعام الوفير.

حتى جاء يوم وهنت عزيمتي وضعفت قوتي وقلت سرعتي فتبدل الحال وقل الطعام وأهملت بعد أن راح المال وانقطعت الجوائز، وذات يوم وجدتني في يد مالك جديد لا يعرف الرحمة ولا الشفقة، السوط لسانه والجوع عقابه، وأصبحت أجر عربة ذات أحمال ثقيلة ودروب وعرة طويلة، وعرفت الذل والهوان ولكني رضيت في سبيل حفنة من الكلأ وبضع أعواد من البرسيم وشربت ماء، وكنت أعرف أن هذا القوت القليل يدفعه لي المالك الجديد نظير الجهد الذي أبذله ودائمًا يطلب مني المزيد، ومرة أخرى وعندما أصبحت غير قادر على سحب العربة ووهنت قوتي وضعف بصري ووجدتني انتقلت إلى مالك آخر أكثر عنفا وأقل رحمة وشفقة، وأصبحت أحمل الأثقال وأعبر الجبال من قيظ الصيف وبرد الشتاء، وأصبحت أعاني الجوع والعطش أيام طويلة، ما أقسى هؤلاء البشر، وذات مساء وكان المالك في غفلة، تحللت من العقال وانطلقت وكان نصيبي طلقة

استقرت في رجلي وأصبحت لا أقوى على استخدامها وها أنا أمشي على ثلاث قوائم، أعاني العذاب والألم والجوع، لا مأوى يأويني ولا طبيب يداويني.. هل عرفت من هم البشر وكيف ينظرون إلينا معشر الحيوانات، إنهم يستغلوننا لجني الأرباح وقضاء حوائجهم وحمل الأثقال عنهم وفي النهاية جزاؤنا رصاصة تردينا أو حفرة تأوينا أو يتركونا نهبا للكوارث والضواري.

نظر الثعبان إلى الصياد هذا هو القاضي الأول وقد حكم عليك أن تموت ألف مرة، ولكني سأبر بوعدي ودعنا نبحث عن قاض ثان.

ترك الاثنان الحصان يتلوى من الألم وأخذ طريقهما داخل الغابة، فقابلا قردًا يتناقل بين أغصان الشجر في لهو ومرح وقد ارتعد عندما وجد الثعبان عند جذع الشجرة وبجانبه الصياد فاستغرب الأمر، لماذا لم يهجم الثعبان جسد هذا الرجل، ولماذا لا يفر الرجل من مواجهة الثعبان، فاقترب منهما، فهتف الثعبان أن يقترب منهما ويحكم فيما شجر بينهما وأن يكون القاضي.

اقترب القرد على حذر ولكن وقوف الصياد بجانب الثعبان جعله مطمئنًا بعض الشيء، وبدأ الثعبان يقص ما جرى بينه وبين الصياد وأنهى حديثه بطلب أن يحكم من فيهما يستحق الموت.

نظر القرد إلى الثعبان شذرًا وقال: ما أحلمك ويا لطيب قلبك، وهل هناك إنسان يستحق الشفقة، ذلك المحتال الذي تمكن من توظيف عقله لكل أعمال الشر وسخر كل شيء في الطبيعة لخدمة أغراضه التي أكثرها دنيئة وتخلى عن الفضائل التي حباه الله وسيده بها علينا، انظر ما الفرق بيني وبينه، لنا أربع قوائم امشي أنا عليهم ولكنه تحايل على الطبيعة فسار يمشي على اثنين ويستخدم الآخرين في أغراض أخرى منها التسلط على بني الحيوان واستخدمهما في البناء والعمران، وجهه مثل وجهي يكاد يشبهني أو أشبهه لا

فرق بيننا، ولكنه استخدم قسمات وجهه ليعبر بها بغير ما يكنه في صدره، يبتسم وهو يضمر في قلبه الحقد والكره والغل والحسد، يستخدم لسانه فيقول غير ما يفعل سعيه للشر أسرع من سعيه للخيرات، يقتل دون تمييز ويأكل لغير حاجة، يتصور أنه أذكى مخلوقات الغابة ودودة القز أكثر منه ذكاء، يمكر والثعلب منه أمكر، يمشي بين الناس بالنميمة ونحن لا نعرفها، يثير الحروب ويقاتل بني جنسه من أجل حفنة رمال أو حجر عقيق يسرقه وينهب من أجل المال والطعام وكسرة خبز تكفيه وتقيم أوده وثوب يكسيه ويقيه برد الشتاء.

هذه بعض من مساوئ الإنسان وهناك غيرها كثير، فهل يستحق مثل هذا المخلوق ما أنعم به الخالق وقد ميزه عنا بنعمة إعمال العقل ولكنه جنح ومال عن المنهج السليم فحق عليه الموت ألف ألف مرة.

مرة ثانية ينظر الثعبان إلى الصياد الذي أحمر وجهه خجلا تلعثم لسانه نطقًا وارتعش بدنه وظن أنه من الهالكين.

قال الثعبان: لا عليك ودع عنك خوفك ووجلك مازال هناك قاض عسى أن ينصفك ويعيد لك الأمل في النجاة.... هل نكمل طريقنا نبحث عن القاض الثالث.

تصادف وجود كلب يمشي الهوينا يلبس ثوب الحكمة والوقار، ولكنه عندما شاهد الثعبان لبس ثوب الشجاعة وشب واقفًا وكاد يفتك به، فصرخ الصياد يستوقفه في حين انسحب الثعبان متراجعًا إلى الخلف بسرعة.

تقدم الصياد، وقص على الكلب حكايته مع الثعبان والعهد الذي تعاهدا عليه وطلب منه أن يكون بينهما حكمًا ليقضي على أحدهما بالموت.

قال الكلب: لا يمكن لقاض أن يحكم بالسمع أو على غير بينة، وطالما لا يوجد شهود، فعلى الأقل يعرف كيف كانت الواقعة، حتى يحكم بالعدل بين الخصوم،

فيجب أن نعود إلى مكان الحادث ويتم التمثيل وأسمع الأقوال وبعدها يكون الحكم.

أخذ الثلاثة طريقهم إلى مكان الواقعة وكان الطريق طويلاً، وقص الثعبان ما كان من الحصان ومن القرد ورأيهما بأن الصياد يجب أن يموت ألف مرة بعد أن ساقوا أدلتهم على وجوب ذلك، كان الثعبان يروي بفخر واعزاز والصياد يسمع منكث الرأس خذلان.

على شاطئ جدول وقف الثلاثة يرتوون من الماء وينالون قسطًا من الراحة، وانتحى الصياد جانبا وتوضأ وصلى ودعا الله أن يرفع عنه هذا الهم وينجيه من هذا الكرب.

كانت الشمس تميل إلى المغيب وكانت الطيور تعود إلى أوكارها والأسود تعود إلى عرينها والقرود تركب أغصانها والفهود تأوي إلى كهوفها وكل حيوان يبحث عن مأوى له لتختفي الدواب وتخرج الزواحف والهوام تبحث عن رزقها وقد سكنت حركة الغابة.

فقال الكلب: لماذا لا نبيت هنا الليلة، وغدًا مع إشراقة الشمس نكمل المسير.

كان الثعبان قد بدأ يشعر بالجوع فراح ينظر حوله فرأى ضفدعة جاءت إلى النهر تتلمس جرعة ماء، فتربص بها، وفي لمح البصر مد رأسه والتقمها دون رحمة ولا شفقة، وأخذ يتمايل ويتثنى زاحفا على بطنه، ونظر فأرًا صغير وكما التقم الضفدعة التقم الفأر، واتجه نحو النهر فشرب وارتوى وعاد يبحث عن صيد آخر، فوجد قنفذًا أشواكه مسترخية، فأبطأ من زحفه يريد مفاجأته، ولكن القنفذ شعر به فاستنفر أشواكه التي انتصبت كالسهام القاتلة، فتراجع الثعبان خشية الإصابة أو القتل.

تعجب الكلب من الثعبان وقال له: أراك أمام جوعك التقمت الضفدعة ولأجل نهمك التقمت الفأر ولم تكتف بذلك وحاولت اقتناص القنفذ، ولكنك خشيت على

حياتك فعدت تجر أذيال الهزيمة والخيبة، ألم يكن من تصرفك هذا وحشية واعتداء وتسلط في استخدام ما وهبك الله لتقضي حاجتك وتشبع غرائزك ولكنك عجزت أمام حيوان ضعيف ولكن الله وهبه ما يجعله ندًا لك، وهكذا أعطى الضفدعة الأخرى التي ابتعدت عنها وظننت أنها جيفة، فقد كانت حية وعندما اعتديت على قرينتها، استلقت على ظهرها وأطلقت رياحًا ظننت منها أنها جيفة ميتة فابتعدت عنها، وعندما ما فارقتها انطلقت من حيث جاءت، وعندما حاولت أن تمكر على القنفذ تنبه لك.

أنك لا تختلف عن الإنسان في شيء، بل أسوء منه، ففيك الجشع والمكر والخديعة والجبن والخوف – إنها عوالم وأكوان خلقها الله بقدر وتوازن، ولله في خلقه شئون.

كان الصياد قد أعياه التعب فراح في سبات عميق غير مبال بمكر الثعبان ولا غدره، فعمد الكلب للوقوف عند رأسه يحميه إذا نوى الثعبان أن يغدر به ولم يغمض له جفن.

جاء الفجر بنور الشمس يضيء الكون ويؤذن في الطيور للخروج تبحث عن الرزق وبدأت الحياة تدب في أرض الغابة وفوق أشجارها وداخل أوكارها وكهوفها واستعد الثلاثة الثعبان والكلب والصياد لاستكمال المسير.

عند سفح الجبل كان قطيع من الثيران الجبلية الضخمة يلتف حول اثنين منهما يتناطحان بقوة وقسوة، حتى كاد الشرر يتطاير عندما تصطدم القرون ببعضها، فقال الكلب والثعبان: ما بالهما يتقاتلان وهما من نفس الفصيل، قال الثعبان: إنهما يتقاتلان على الزعامة أو من أجل انثى.

وأثناء واحتدام القتال، ظهر فهد أسود نابه كنصل السيف ومخالبه كالرمح وراح يلتف حول القطيع، وفجأة توقف القتال وجعلت الثيران من نفسها دائرة

كبيرة وفي وسطها وقف الصغار والإناث والعجائز، لحظات وظهر فهد آخر، وظل الاثنان يحومان حول الدائرة، وفي سرعة مزهلة اخترق أحد الفهود الدائرة وفي لمح البصر كان قد قبض على عنق إحدى الثيران التي ظلت تقاوم فترة حتى خارت قواها واستنزفت دماؤها وأصبحت جثة هامدة، في حين أسرع قطيع الثيران يسابق الريح بعيدًا عن المكان.

كانت الوليمة كبيرة على الفهدين فأكلا وشبعا وتركا البقية منها لكواسر الطيور التي كانت تحوم في السماء تعرف أن رزقها آت، وظهرت الضباع والخنازير البرية كل يبحث عن نصيبه في هذه الجيفة التي أصبحت قليلة على هذا الجمع، فبدأ الصراع بينهما ومن عنف إلى عنف وخرج الجميع من هذا الصراع بجرح غائر وفتات الجيفة لا تشبع ولا تغني من جوع.

نظر الكلب إلى الثعبان وقال له: هذا هو مجتمع الغابة الذي تتشدق به أنت والحصان والقرد، صراع دائم وحرب بلاد هوادة، لا أمن ولا استقرار ولا سكينة، الكل يلهث وراء حاجاته ويقاتل من أجل البقاء، ومهما كانت قوتك وسعة حيلتك، فهناك من هو أقوى منك وأسرع منك، وأذكى منك وأخبث.

نظر الثعبان إلى الصياد فوجده استعاد بعضًا من عافيته وثقته وزاد نشاطه وتسارعت خطاه، وبعد مسافة وكانت الشمس قد توسطت كبد السماء، توقف الصياد، وراح يتيمم صعيدًا طيبا وتوجه إلى الله بالصلاة والدعاء، ومازال الكلب عليه حارسًا يقظًا.

كان الصياد يسجد فيضع رأسه على قطعة من حجر، وعندما انتهى من صلاته، وجد هذا الحجر يتحرك فإذا بالحجر حرباء أخذت لون الصخور والحجارة المتناثرة في هذا المكان، فتعجب الرجل ونظر إلى الثعبان وقال له: تلك إحدى فصائل الزواحف ومنها أنواع سامة خطيرة إذا ما قبضت على فريستها



فإنها لا تفلتها حتى تنزف دمًا ثم تفرز سمها الذي يذهب إلى عروقها مباشرة فتموت في الحال، وقد وهبها الله القدرة على تغيير لون جلودها حتى تأخذ لون طبيعة البيئة حولها، فهي خضراء في المراعي وصفراء في الفيافي ونيلية في الزراعات وهي وإن كانت أقل منك حيلة وخبثًا فإنها أقدر منك على القنص والصيد، ولله في خلقه شئون.

لم يكترث الثعبان لما قاله الصياد، فقد عرف أن الصياد يحاول أن يوهن عزيمته وتشبثه بإكمال الرحلة، فقال الثعبان:

مازلنا نسير خلف القاضي لنعرف حكمه وبعدها يمكنك أن تثرثر وتقول ما يحلو لك قبل أن تلقى نحبك.

اقترب الجميع من المكان المقصود وقال الثعبان:

هنا وقعت الواقعة فقال الكلب للثعبان:

ألم يثنيك ما رأيت ولم يردعك ما سمعت، ولم تتعلم مما عرفت بأن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون بتوازن طبيعي لا يختل، وإذا ما تدخل كائن من كان في محاولة للإخلال بهذا التوازن ناله من الضرر مالا يقدر على تفاديه والخلاص منه إلا بعون الله ومدد من الله، ولعلك تعرف أن الصياد قد سبقك وقدم إليك يد العون والمساعدة وعمل بالمروءة التي وهبها الله له وكان ينتظر منك المعروف ولكنك غدرت واعتديت..

أيها القاضي: لا يجب أن تصدر حكمك وتبدي رأيك قبل أن تعرف حقيقة ما حدث، وأعود وأذكرك بأنه ما فعل ذلك إلا عندما أغريته بالكنز، فكان من الغباء أن تنطلي عليه حيلتي ويطلق سراحي.

قال الصياد: نحن جميعًا نتضور جوعًا فدعونا نبحث عن بعض من الطعام

لنقتات به وبعد ذلك نكمل ما بدأنا، على أن يبحث كل منا عن غذائه ليحصل عليه بجهده.

فتناول الصياد رمحه الذي كان قد تركه ودار حول المكان فوجد ظبيًا صغيرًا فأطلق رمحه وأصابه في مقتل وأشعل النيران، وبسرعة قام بسلخه وتنظيفه وسفدها من الرمح ووضعها على النار وبدأت الروائح الذكية تملأ المكان.

أما الثعبان فراح يبحث هنا وهناك عن فريسة فلم يجد، فعاد إلى المكان ووجد الصياد يجزل اللحم الناضج اللذيذ ويناول الكلب بعضًا منه، فقال الثعبان:

ألا تناولني بعضا من هذا الشواء.

فقال الصياد: لقد جعله الله لكل كائن منا سبيله في الحياة والحصول على الأرزاق وأنت سبيلك معروف، ولكني سأدلك على إحدى سبلك لصيد فرائسك، هذا الحجر الذي خلفك هو جحر لأرنب بري ثمين ضخم لا يغادره إلا للضرورة وأنت في حاجة إلى الطعام فاذهب إليه واقتنصه لنفسك.

لم يفكر الثعبان كثيرا وتوجه إلى الجحر وسمع صوت الأرنب وأولاده الذين قفز إلى قلوبهم الرعب، من هول المفاجئة، نظر الثعبان فلم تعجبه الأرانب الصغيرة وبسرعة التقم الأرنب الكبير وأسرعت باقي الأرانب في الخروج من المدخل البديل، تجاوز نصف الأرنب فم الثعبان الذي أصبح أكبر من حجم الجحر وصار في غير مقدوره أن يتحرك للخلف والأمام، نظر إليه الكلب وقال له:

ها أنت بغبائك ونهمك لم تفكر قبل دخولك كيف يكون الخروج، وقد أوقعت نفسك في شرك لا فكاك منه ولا نقدر أن نقدم لك يد المساعدة.

وجلس الصياد يتناول الطعام هو والكلب الذي أصبح رفيقه على الدوام، في حين هجم علي الثعبان جيش النمل الأبيض ينسل من لحم الثعبان الذي قتله

غباؤه ونهمه وجشعه.

ومنذ ذلك الوقت صار الكلب أليف الإنسان وصار الإنسان أن تضرب ولده أهون من تؤذي كلبه.

عندما تكلم الحيوان

ذخرت حضارات العالم القديم بالقصص والأساطير والحكايات التي رويت على لسان الحيوانات وأشهر هذه الأدبيات كانت كليلة ودمنة التي تنوقلت في ربوع آسيا وترجمت إلى كل لغات العالم ومازالت متعة للصغار والكبار ومنهلاً للأدباء والحكماء ومرشداً لكل ولي وحاكم ومحط أنظار كل الثقافات.

وتعتبر القصص والروايات التي تروي على لسان الحيوانات منفثًا لكل كبت وملجئًا لكل محتج وصدى لكل مقهور ووعاء كل مظلوم وبوق كل أخرس وسبيل كل محتار.

ولم تخل أفريقيا من القصص والروايات التي تدور على ألسن الحيوانات وقد تنفرد قبيلة بقصة أو رواية وقد تشترك أكثر من قبيلة في رواية واحدة.

وكثير من قصص الحيوان التي تزخر بها المكتبات، تدور حول حيوانات الغابة الصغيرة الضعيفة التي وهبها الله خفة الحركة والقدرة على التموية أو الزوائد السامة أو الذكاء والقدرة على التخفي وغير ذلك من وسائل وقدرات تمكنه من الحفاظ على حياته وبقاء النوع وليتمكن من الصمود أمام القوى العاتية التي تواجهه من مظاهر الطبيعة كالبرد القارص أو الحر القائظ وضواري الحيوان وكواسر الطيور وزحف الإنسان.

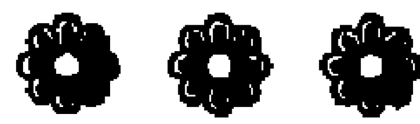
وفي الأسطورة الأفريقية نجد أن الأرنب والذي هو من أضعف الحيوانات مشهور بخفته وسرعته وكثرة التناسل وذلك بالإضافة إلى سرعة حركته وذكائه في الإفلات من أعدائه، والعنكبوت الذي هو أهون الحشرات ومن أضعفهم فهو

سريع الحركة قادر على التمويه ومنهم السام.

ونجد أن القصص الأفريقي كما في غيره يعلي من صفات وقدرات الحيوانات الضعيفة ويضفي عليها صفات الجراءة والسرعة والذكاء في حين يجعل في الحيوانات القوية صفات الغباء والاعتماد على القوى البحتة مما يجعلهم أكثر تعرضًا للخطر حتى الانقراض.

وقد قام «كيلنج» أحد أساطين البحث والكتابة بتجميع هذه القصص وعمل على إعادة صياغتها وترتيبها.

وتكثر في هذه الروايات محاولة إظهار بعض طبائع الحيوانات ومظاهر القوة فيها والضعف وألوان جلودها وكيف تتأقلم مع البيئة المحيطة بها من حيث لون الجلد والحركة وتكوينها الجسدي إنها أساطير فالخرافة فيها تغلب الحقائق العلمية التي كشفتها العلوم الحديثة.





الفهد المرقط

من سيراليون هناك رواية بأنه في الزمن السحيق كان الفهد صديقًا للهب، وكان الفهد يتردد على اللهب كل يوم ليأتنس به ويدفأ بناره، ومرت الأيام وامتدت واللهب لا يرد للفهد زيارته، وذات يوم تندرت زوجة الفهد على زوجها قائلة له:

إني أراك دائم لزيارة اللهب ولا أراه يرد لك زيارة؟!!

نظر إليها الفهد وقد امتعض وجهه وأظهر غضبه فانسحبت الزوجة.

وفي اليوم التالي هم الفهد بزيارة اللهب، ولم تتمكن زوجته من كبح جماح لسانها، فقالت للفهد، لعل اللهب يستهين بك وبدارك وزوجتك ويتكبر عليك ويرى في زيارتنا إنقاصا من قدره.

خرج الفهد وظل يفكر طوال الطريق، ترى هل زوجتي على حق؟

وأن اللهب يستنكف أن يزورني في بيتي تكبرًا منه؟!!

ولكني لا أراه تحرك من مكانه، سأحاول أن أدعوه اليوم.

وصل الفهد إلى مكمن اللهب، فاستقبله اللهب بترحاب وكان البرد قارصًا فاقترب الفهد من اللهب لينعم بالدفء، ثم قال له:

يا صديقي العزيز أراك متكبرًا عليَّ ولا ترد لي زياراتي العديدة إليك بزيارة واحدة إلى داري المتواضع.

قال اللهب: أنت أعز أصدقائي، ولكني لا أبرح مكاني فليس لي قدم تسيرني الرياح ، ولكن هناك طريقة أخرى تمكنني من زيارتك إذا ما فرشت الأرض ما



بين داري ودارك بالعشب الجاف وأوراق الشجر اليابسة، وكم يشرفني أن أزورك في بيتك عندما تتوفر الظروف المناسبة.

أسرع الفهد وأخبر زوجته بأن تستعد وتهيئ المنزل لاستقبال صديقه اللهب الذي سيزور بيتهم في الغد وستنعم بنوره وسيذهب عنها البرد القارس، فقط عليهما أن يملآ الدار بأوراق الشجر اليابسة وأعواد الحطب الجافة، ومن الصباح الباكر نشطت الزوجة في تجميع أوراق الشجر والحطب الجاف لتملأ الدار وانكب الفهد يفترش الأرض ما بين الدارين بأوراق الشجر والحطب.

وفي المساء جلس الفهد وزوجته ينتظران زيارة اللهب، يعدون الدقائق ويستعجلوا الساعات قارب الليل أن ينتصف والضيف لم يأتي، فقالت الزوجة:

ألم أقل لك أنه يستهين بك ويسيء معاملتك؟

وقبل أن ينطق الفهد سمع رعدة شديدة وما هي إلا لحظات إلا وكان الريح يدفع الباب بشدة واللهب في دائرة وقد شبت نار عظيمة على طول الطريق وهجم على الدار الذي تحول إلى سعير مذيب.

أسرعت الزوجة وقفزت من نافذة الدار لا تلوي على زوجها الذي طاله السعير وحاول اللهب أن يمسك به ليحتضنه بشوق المحب، فهب الفهد وقفز يلحق بزوجته ولكن بعد أن ترك اللهب أثره على الفهد فصار مرقطًا.

أيها الإنسان عسى أن تروم شيئًا وتسعى إليه وتجاهد للحصول عليه وأنت لا تعرف أن في حصولك عليه مضرتك وعساك تحب شيئًا هو لك كل الشر.

هروب الماعز

عند قبائل يوريا التي تسكن نيجيريا أن الحيوانات كانت تعيش في الغابة متجاورة متحابين، يجتمعون على بحيرة يشربون منها، وقد اتفقوا جميعًا على أن يقوم أحدهم كل يوم بتنظيفها وأن من يتهاون و يتقاعس عن تنظيف البحيرة يكون وليمة للجميع ولا فرق في ذلك بين ضرغام وفأر.

كانت العنزة معروفة بكسلها وركونها للدعة والراحة، وعندما حل دورها لتنظيف البحيرة تعللت بأن وليدها الصغير مريض ويحتاج إلى العناية ورجت الحيوانات الأخرى أن يستبدلوا يومها بيوم آخر وعندما جاء اليوم الذي اتفقوا عليه تعللت مرة أخرى بمرض وليدها وتكرر هذا الأمر.

اجتمعت الحيوانات وقررت أن العنزة قد قصرت في أداء ما عليها من واجبات وحق علها العقاب ويجب إحضارها ومحاكمتها وتنفذ فيها العقوبة وأرسلوا إليها من يستدعيها فلم تحضر، الأمر الذي جعل جميع الحيوانات تسخط عليها وقرروا أن يذهب إليها الآيل ويحضرها بالقوة.

شعرت العنزة بوقع قدم الآيل فأسرعت إلى جوار وليدها تذرف الدمع، وعندما أقبل الآيل وجد على وجهها علامات الأسى والحزن، ولكنه تماسك وسألها عن سبب تخلفها عن الحضور.

كانت العنزة تعرف أن الآيل فقد أمه التي ماتت منذ أيام فقالت:

يا أيها الآيل إن وليدي أنثى وقد حلت بها روح أمك العظيمة وقد طلبت مني العناية بها وألا أتركها وحيدة حتى لا يصيبها أذى.

عاد الآيل من حيث أتى ولم يكن قادرًا على إيقاع الأذى بالعنزة ووليدها التي حلت بها روح أمه ولكنه لم يقل شيئًا لجماعة الحيوان.

قال الظبي أنا لها، سأذهب إلى تلك العنزة اللئيمة وسأحضرها بالقوة، وأسرع إلى حيث هي، فوجدها ترضع وليدها وقد لبست وجه الحزن، فصرخ بها، أتتركينا في انتظارك وأنت ترضعين ذلك الوليد.

كانت العنزة على علم بأن الظبي قد فقد والده منذ مدة، فنظرت إليه قائلة:

أيها الظبي ذاك ابني الصغير وإذا علمت ما حدث له ما كانت ثورتك، إن روح والدك الطاهرة قد حلت به وطلبت مني ألا أتركه وحيدًا حتى لا يصيبه الأذى.

كان الظبي يحب والده فتذكره وراح يبكي إلى جوارها ويدعو لوليدها بالخير وموفور الصحة وتركها وذهب إلى مكمنه ولم يذهب إلى مجمع الحيوانات.

تقاطرت الحيوانات على العنزة وفي كل مرة تدعي العنزة أن روح الأب أو الأم أو الأخ أو الصديق العزيز قد حلت بوليدها، الأمر الذي يجعلها غير قادرة على ترك وليدها وحده.

وجاء دور الفهد ليذهب إليها ويسألها وكانت العنزة تعرف أن أم الفهد قد ماتت منذ فترة قليلة.

جاء الفهد شاهرًا أنيابه ومخالبه فارتعدت العنزة، فأسرعت تقول: أيها الفهد العظيم إن روح أمك التي حلت بوليدي تبلغك السلام وتسألك عن أبيك وتحذرك من الاعتداء عليَّ وعلى وليدي.

كشر الفهد أنيابه وقال لها:



إذا كانت روح أمي قد حلت بوليدك فكان أولى بها أن تعرف أن والدي مات في هذا الصباح ولكانا اجتمعا الآن، وهجم على الوليد ونهشه بمخالبه، وعندما استدار وجد العنزة وقد أطلقت ساقيها للرياح.

أسرع الفهد ليلحق بها ولكنها لاذت بإحدى دور أهل القرية وصارت بعيدة عن متناول الفهد، ومنذ ذلك الوقت وقد انفصلت العنزة عن مجمع الحيوانات وصارت من دواجن الإنسان.

ومازالت الماعز طريدة الفهد يلاحقها أينما كانت وهي لا تجرؤ على الخروج من مجتمع الإنسان.

الوبـــــــاء

القـصص والروايات عن العـالمين العلوي والسـفلي على الأرض منتـشـرة في أفـريقيـا وكأنهـا تمثل عـالمين مـختلفين في الطباع والرزق وتوفـر الأمن والأمـان والهدوء والاستقرار.

وهذه قـصة القردة «مـالا» التي كانت تتصف بالنشـاط والحيوية وتفـخر بذلك بين حـيـوانات الـغـابة، وكـان لديهـا طفل تهـتم به وتسـعى جـاهـدة لتـوفـيـر الأمن والطعـام له، فكانت تغـدو مع الشـمس تبـحث عن الطعـام، وكـانت تتـرك زوجـهـا للعناية بالطفل.

وذات فـترة حـدث جدب وامتنعت الماء عن الهطول وزحف الجـفاف على الغـابة التي صار فيهـا الغـذاء نادرًا والماء عزيزًا وبدأت الحيوانات تعاني العطش والجوع.

كانت القـردة «مـالا» لا تعـرف اليـأس وكـانت تنتقل بين فـروع الأشـجـار لمسـافـة أميال حـتى تصل إلى سـاحل البحر، حيث أشجار الجوز التي تستمد الماء من ندى البحـر المتـبـخر، فـتـحمل ما تقـوى على حمله من ثمار الجوز، وتعـود به مع غـروب الشـمس لتطعم الأسـرة وتشـرب، وظلت عـلى هذه الحـال فـتـرة طويلة من الـزمـان وقد طال موسم الجفـاف، حتى كادت تنهي على ثمار الجوز.

وذات يوم وكـانت عـائدة بثـمـرة واحـدة وهـي البـاقـيـة، ولشـدة حـرصـهـا عليـهـا سقطت منهـا على الأرض، أسـرعت «مالا» تنزل خلفهـا تحـاول اللحـاق بهـا، وعندما

وصلت إلى الأرض كانت الثمرة تتدحرج على الأرض بسرعة والقردة «مالا» تسرع بكل جهدها للحاق بها.

استمرت الثمرة تتدحرج حتى وصلت إلى فوهة حفرة، ووجدت القردة «مالا» تسقط خلفها إلى دهليز ضيق ومنه إلى دهليز آخر، ثم ثقب هوت منه إلى الأرض فسيحة، واصطدمت القردة بالأرض في سقوط مريع.

مرعى فسيح وأشجار باسقة وثمار يانعة وشمس متوهجة، ونسيم عليل، وقرد صغير أمسك بجوزة الهند الخضراء وتناول منها قضمة انخلع لها قلب «مالا»

خاف القرد الصغير صرخة «مالا» وألقى بالثمرة وأسرع بالفرار، وبذات السرعة تجمع حول القرد رهط كبير وحيوانات متنوعة، وكلهم في حالة استغراب من ذلك الدخيل الذين لا يعرفون له أصل.

الوجوه متوردة والنشاط زائد والصحة بادية والقوة ظاهرة، الأمر الذي أصاب القردة «مالا» بالفزع والخوف من العقاب على ما أظهرته نحو القرد الصغير من غضب.

كلما مر الوقت، كانت الحلقة تزيد والعدد يتكاثر، ولكن الرعب بدأ يزول عندما وجدت «مالا» أن الوجوه باشة باسمة لا أثر عليها للبؤس والشقاء الذي عرفته في العالم العلوي.

جاء الأسد زعيم الغابة يمشي في دعة واطمئنان وحوله الغزال والزيرا والتمساح ومن خلفهم الحمار المخطط والزرافة، وأفسحت لهم الحيوانات الطريق حتى واجه القرد، فحياه ورحب به في عالمهم المطمئن.

وبالقرب من شاطئ النهر وفي مرعى أخضر كبير وسط الأشجار كثيفة الأوراق متشابكة الأغصان، اجتمعت الحيوانات وقد مدت أمامهم موائد الطعام



الوافر المتنوع والجميع في حالة نشوة وسعادة.

قال الأسد للقردة «مالا»: احك لنا عن عالمكم الذي أتيت منه؟

قالت «مالا»: إنه يمر الآن بظروف قاسية حيث حل الجدب وندرت المياه وكثرت المجاعات وزدات الصراعات على الغذاء والماء.

قال الأرنب: ما أقسى هذه الحياة، ويجب أن نمد لكم يد العون أو نستضيف بعضا من العالم العلوي ليعيشوا معنا.

قال الببغاء: أنا أعترض على هذا الرأي لأن أهل العالم العلوي، لا يعرفون إلا التسلط والكبرياء والغباء، ولن يكتفوا بمشاركتنا أرزاقنا من ماء وغذاء ولكنهم سيطرودنا من أرضنا ويسيطرون على أقواتنا، وسنتعرض للعنف الذي سيأتي معهم.

ارتفعت الأصوات مؤيدة لهذا الرأي واكتفى الجميع بأن يهدوا القردة «مالا» هدية ويعيدها إلى عالمها وبذلك يدرؤن الشر عن عالمهم.

قام الأسد فأمر وتم وضع عصبة على عيني القرد وأرسلوا بها إلى عالمها، فتحت القردة «مالا» عينيها فوجدت نفسها في عالمها وشقت طريقها إلى حيث أسرتها تحمل على كتفيها طبلة كبيرة وثمرة جوز الهند الناقصة.

وفوق غصن الشجرة تشارك الأب والابن الثمرة في نهم شديد حيث كانا يتضوران جوعًا وعطشًا.

وفي الصباح، جلس القرد يحكي لأفراد أسرته عن الرحلة التي قام بها مضطرًا إلى العالم السفلي، ولم تكن هديتهم سوى هذه الطبلة التي سيلعب بها القرد الطفل، فقام الطفل يجري فقرع على الطبل، فإذا ببعض الفاكهة والثمار تنهمر من الطبلة إلى أسفل الشجرة، فتجمع عليها بعض الحيوانات تُقيم أودها.



من المعروف أن حاسة الشم عند الحيوانات عالية ومع الجوع والعطش ارتفعت هذه الحاسة، وأسرعت الحيوانات من كل حدب وصوب تتجه نحو شجرة القردة «مالا»

لم تكن «مالا» تحلم بأن يأتي يومًا عليها وتكون فيه صاحبة الأرزاق وأن جميع الحيوانات تهرع إليها طلبًا في المساعدة وبعضًا من الغذاء.

أخذت القردة «مالا» وزوجها وطفلهما يقرعون الطبل، الثمار والفاكهة تتساقط على الحيوانات المتصارعة.

فرحت «مالا» بما أصبحت عليه، وتهافتت الحيوانات على نيل رضاها، وهي في كل يوم تفتح مزاريب الطعام، ليقتات من حولها ويتوجهون لها بالشكر والدعاء، وهي تزداد غبطة وسعادة وزهوًا وافتخارًا.

جاءت السحلفاة تمشي الهوينا واقتربت من القردة «مالا» وقالت لها:

عليك أن تحذري يومًا ينقطع منك المدد، عندها سينقلب عليك أهل الغابة، أولئك الذين يظهرون نحوك الود والمحبة والاخلاص، أو على الأقل عليك أن تمسكي يدك بعض الشيء وتدخري بعض الطعام فلا أحد يعلم متى ينتهي هذا الجدب وتجود علينا السماء بماء المطر.

قالت «مالا»: لا عليك يا صديقتي العزيزة فأنا أعرف كيف سآتي بالمدد، والذي أظن إنه لا ولن ينتهي كلي وأشربي وقري عينا.

أيام قليلة ولم تجد القردة «مالا» ما تقتات به هي وأسرتها، وظلت تدق على الطبل وزوجها يساعدها وابنها، ولكن لا حيلة لهم فقد انقطع المدد، وماذا تفعل في أولئك الذين بدأوا يتوافدون عليها طلبًا للغذاء.

تزايدت الأعداد وارتفعت الأصوات واضطربت الأحوال وراح الصغار يصرخون

والكبار يزمجرون وتحولت الدعوات إلى نقمات والشكر إلى التوعد بالعواقب الوخيمة، فما كان من «مالا» إلا أن تركت مكانها ورحلت هي وأسرتها لتجد مكانًا آخر بعيدًا.

جلست «مالا» تتدبر أمرها وكيف تفقد مكانتها على هذا النحو، وبعد أن أصبحت الملكة المتوجة على كل حيوانات الغابة بما فيهم الأسد والنمور والأفيال وبعد أن صارت صاحبة الأرزاق، ولماذا لا تذهب إلى العالم الآخر وتعيد الكرة.

تحصلت «مالا» على ثمرة من ثمرات جوز الهند، وذهبت تبحث عن الحفرة المؤديه إلى النفق، وبعد جهد شديد تمكنت من الوصول إليها، فألقت بها داخل الحفرة وراحت تتبعها حتى سقطت في الوادي الأخضر الواسع مع غيبوبة بسيطة، ولكن الفزع كان شديدًا فقد وجدت نفسها أمام حية منتصبة القامة، أنيابها تلمع في ضوء الشمس المشرقة وفحيحها يعلو على خرير المياه المتدفقة في النهر القريب ولسانها كغصن شجرة ممتد.

أغلقت «مالا» عينيها واستودعت الحياة، ولكنها سمعت صوتًا كان الموت أهون عليها من سماعه.

لماذا عدت إلى عالمنا.. ألم يكفك ما حصلت عليه في المرة السابقة، أم تراك عدت لهلاكك؟

قالت «مالا» وهي تشعر بأن عظامها تعتصر بقوة وتكاد تختنق. عفوًا أيها الثعبان العظيم.. إن كان الأمر بيدي ويمكن التغلب عليه ما كنت عدت، ولكني تركت خلفي أقوام تتضور جوعًا وقد أوشكوا على الهلاك، وقد عرفت فيكم رقة القلب وسماحة الخلق والجود والكرم.

بدأ الثعبان يخفف من ضغطه على جسد «مالا» وقال لها:

اتبعيني إلى حيث مجلس الغابة وحكماء عالمنا ليقولوا فيكم أمرًا.



اجتمع مجلس الحكماء ووقفت «مالا» تشتكي حال العالم العلوي الذي لا يجد ما يقتات به بعد أن طال الجدب وندر الغذاء والماء، وراحت تذرف الدمع وتستدر العطف، وكيف أنها كانت أمينة على ما حصلت عليه.

قامت البومة تقطعها: لقد كنت أمينة ولكنك لم تكوني حكيمة، فكان يجب أن تقتصدي في توزيع الهبة التي حصلت عليها لتكفيكم حتى ينتهي الجدب وتعود الحياة إلى طبيعتها.

قالت «مالا»: هذا ما كنت أنويه ولكن كانت حاجات القوم كثيرة، وقد تعرضت لكثير من المشكلات بسبب ذلك.

قال الأرنب: أنتم قوم متواكلون متكاسلون ولم يفكر أحد في الاقتصاد أو التدبير، أو حتى البحث عن بعض مصادر الماء والغذاء عندكم وهي كثيرة، ولكنها تحتاج إلى الجهد والعرق، إن باطن الأرض به من الخيرات الكثير، فجذور النباتات غنية بالماء والغذاء، وبالبحث والتنقيب مع الاقتصاد والتوفير يمكنكم اجتياز الفترات العصيبة، والتي تحتاج إلى العمل والجهد والتعاون.

قال الأسد: هذا ما تعلمنا وما جعلنا نعيش في سعادة ورخاء وأمان، فنحن لا نتكاسل ولا نتواكل ولا نعتمد إلا على جهودنا ونعمل بكد وجهد في الرخاء والشدة، نتعاون فيما بيننا فلا أحقاد ولا أضغان ونعيش في أمان وسلام.

قالت السحلفاة: عودي إلى قومك وأخبريهم بما رأيت وسمعت، وإليك هذه الطبلة ولا تدقي عليها ولا تستعمليها قبل ثلاثة شهور، فإذا تعاون القوم وعملوا بالنصيحة وتوفر الغذاء فلا تستعمليها قط، وبعد الشهور الثلاثة ولم تتعاونوا فيما بينكم وظللتم على حالكم من الكسل والاعتماد على الغير ومازال الجدب فاضربي عليها وعندها سيكون نصيبكم من الحياة.

مرة أخرى تُعصب عين القردة «مالا» وتُساق إلى عالمها الذي مازال يعاني الجوع والظمأ وقلة الحيلة والأعياء وقد طال انتظار المدد.

جمعت القردة «مالا» حيوانات الغابة وراحت تقص عليهم ما سمعت وتنقل إليهم ما رأت وتحثهم على العمل وبذل الجهد في البحث عن موارد الغذاء تكفيهم ذل السؤال، وأخذ كل حيوان يبحث عن علة وسبب للتخاذل وعدم بذل الجهد وأخذوا يصمون القردة «مالا» بأنها هي التي خذلتهم ولم تأت لهم بالمؤنة والمدد.

مرت الشهور الثلاثة وحال الغابة وأهلها من سوء إلى أسوء، وقد شاع بينهم الاحتيال والسرقة والقتل والنهب، وتكونت عصابات، وتفشت الأحقاد، فما كان من القردة «مالا» إلا أن قامت تدق على الطبل، وكانت تأمل بعضًا من الغذاء لابنها وزوجها اللذان كادا يموتان جوعًا، فقد تكاسلت هي الأخرى عن الذهاب إلى الساحل وإحضار جوز الهند.

دقات ثلاث على الطبل الذي انفتحت في ثقب صغير وراحت تخرج منه الهوام تحمل الأوبئة والأمراض، فامتزجت بهواء الغابة لتصيب الحيوانات وكأن الحيوانات كانت في حاجة إلى مزيد من المصائب والنكبات.

ارتعشت القردة «مالا» وقد أصابتها حمى وانتقلت إلى ابنها، وسقط الاثنان فريسة للمرض.

وهي على هذه الحالة، جاءت السلحفاة تحمل بعضًا من جذور النباتات والتي تحوي كثير من العصارات المرطبة وناولتها القردة «مالا» قائلة ترد على نظرات التساؤل:

من أين لك هذا؟

قالت السلحفاة:

لقد سمعت ما قلتيه وتدبرت أمري وبحثت عن جذور النباتات وادخرت بعضها، حقًا إن العمل والجهد والتعاون وحسن التدبير هم السبيل لحياة حرة كريمة.



السلحفاة والفهد

عرفت السلحفاة منصب النهر حيث يكثر السمك، وصار هذا المكان مصدر غذائها الدائم تذهب إليه مع إشراقة الشمس تصطاد السمك وتضعه في سلة تغطيها بحيث لا يرى ما بداخلها، ثم تدلف إلى كهفها، تتناول ما يكفيها وتقوم بتوفير ما يتبقى منها وتجفيفه عدة أيام، وظلت على هذه الحالة فترة طويلة حرصت خلالها ألا يعرف أحد مصدر غذائها.

كان الفهد الشره يرقب السلحفاة وهي تذهب إلى الشاطئ ثم تعود منه حاملة السلة. ولا تخرج من كهفها لعدة أيام، فقرر أن يعرف سرها وسر هذه الروائح المختلفة التي تصل إلى أنفه ولا يعرف لها وصفا.

وذات يوم تريص بها في طريق العودة وكانت تنوء بحملها فقال لها :

أيتها السيدة المهذبة أراك تحملين على ظهرك حملاً ثقيلا ولابد أن أمد إليك يد المساعدة.

كان ظهور الفهد مفاجأة غير سارة جعلت السلحفاة تتعلثم في الكلام، وماذا تقول وهي لا تريد أن تفشي سرها الذي تحمله فوق ظهرها.

أطرقت السلحفاة برأسها وفتحت مزاريب الدمع، الأمر الذي أصاب الفهد بالارتباك والحيرة، وراح يسألها سبب بكائها، فقالت:

لقد مات عمي وها أنا أحمله فوق ظهري لأواريه التراب في مكان كان قد أوصى أن يدفن به.

أيتها المسكينة تحملين أحزانك فوق ظهرك ولا تجدين أحدًا يواسيك ويحمل عنك ناوليني هذه الرفات ودليني على المكان.

لم تجد السلحفاة بد من مناولته السلة داعية ألا يشم ما بها ويعرف فيكون ذلك وبالاً عليها.

حمل الفهد السلة وسار يتبع السلحفاة وقطعا مسافة طويلة، وراحت شواربه تلعب وقرون الاستشعار لديه تعمل وقال للسلحفاة:

ما هذه الريحة التي أشمها؟

- أنها رائحة الجسد الذي أوشك أن يتعفن، فقد مات عمي منذ عدة أيام، حاول الفهد أن يبعد عن ذهنه أنها رائحة سمك طازج فإن حواسه لا تخطئ.

طال المسير فقال الفهد:

أين المكان الذي سيدفن فيه عمك لقد أصابني التعب؟

- هناك عند شجرة التوت الأحمر بالقرب من الكهف الذي أسكن فيه.

وعند الشجرة قالت السلحفاة:

لك مني جزيل الشكر على ما قدمته لي من مساعدة والآن وقد بدا عليك التعب اتركني أجتر أحزاني وأحفر القبر، فأنت لن تقدر علي رؤيته ميتا ولن تطيق رائحته.

- ولكني أريد أن أكمل الجميل وأقف معك حتى تنتهي من الحفر والدفن والردم.

- ما لك وهذا الجو الكئيب المملوء بالأحزان والهموم.

وأمام إصرار السلحفاة ترك الفهد المكان وابتعد، ولكن رائحة السمك لم



تفارق أنفه وعاد الشك إلى قلبه وعقله، فعاد ليرى ماذا تفعل السلحفاة. ..

كانت السلحفاة تعتقد أن الفهد قد انطلت عليه الحيلة، فأخذت تغني وترقص وتمني نفسها بوليمة شهية لذيذة لا يشاركها فيها أحد، وكشفت السلة وقد سال لعابها.

وثب الفهد وثبة قوية ووقف أمام السلحفاة التي أسرعت وتقوقعت داخل جسدها الصدفي المتحجر، وهي ترتعش.

قال الفهد: اخرجي أيتها الخبيثة اللئيمة، كل هذا السمك وتدعين أنه رفات عمك ماذا أفعل بك وكيف أنتقم منك جزاء فعلتك.

قالت السلحفاة وهي ماتزال متقوقعة: أيها الفهد العظيم، أعرف أنك تحب أن تأكل السمك دون طهي أو تنظيف، وأنا لا يمكنني تناوله دون ذلك، وخشيت أن أخبرك فتكون عاقبتي وخيمة.

- وهل يطهى السمك وينظف؟

- شعرت السلحفاة ببعض الأمان فبرزت راسها قليلا وقالت: نعم فإنني أقوم بتنظيف السمك، وأضيف عليه بعضًا من الأعشاب الذي تجعل مذاقه شهيًا وطعمه لذيذًا.

- ولماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟

- لأن الأعشاب غير متوفرة الآن وأجلبها من مكان بعيد.

- صفي لي هذا المكان وسأقوم أنا بإحضارها.

- حسنا وبينما أنت تحضر الأعشاب أقوم أنا بتنظيف السمك وإعداد الحطب.

- اسمعي أيتها التعسة سأذهب لإحضار الأعشاب وإن كان في الأمر مكر أو خديعة فلن تسلمي من يدي.

- بسرعة عجيبة عاد الفهد ومعه ما طلبته السلحفاة، وكانت هي أتمت تنظيف السمك وأشعلت النيران وخلطت السمك بالأعشاب ووضعت فوق النار، وبدأ الفهد يشم روائح ذكية وراح يمني نفسه بوليمة دسمة لذيذة.

قالت السلحفاة للفهد: ما رأيك إلى حين يتم نضج الطعام ما رأيك في بعض الألعاب المسلية.

قال الفهد: ليس عندي وقت للهو واللعب وليس لي في الهزل نصيب.

- إنها ألعاب مسلية نقطع بها الوقت.

- لا أعرف منها شيئًا.

- ما رأيك في لعبة الأبيض والأسود؟

- لا أعرفها.

- أنها بسيطة جدًا.. كلما قلت شيء تفعل عكسه على الفور.

- كيف يكون ذلك؟.

- أحضر بعضًا من هذه الأغصان الرفيعة اللينة والتي تنفع حبلاً.

أحضر الفهد بعضا منها.

قالت السلحفاة: سألف هذا الحبل حولي.. وإذا قلت لك فك الحبل.. ماذا ستفعل؟

- سأقوم بشده على الفور... إنها لعبة بسيطة.

- إذًا شد الحبل وبقوة.



قام الفهد بإرخاء الحبل من حول عنق السلحفاة.

- هل فهمت اللعبة؟

- نعم.

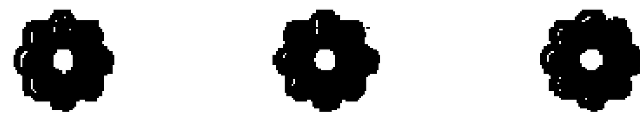
- لا أظن.

- حاولي معي وأرخي الحبل من حولي.

- قامت السلحفاة بربط الحبل حول الفهد وقيدته إلى الشجرة وراح يقول لها أرخي الحبل وهي تقوم بشد وثاقه حتى كادت تخنقه.

- قال الفهد الآن انتهت اللعبة وعليك أن ترخي الحبل.. ولكن السلحفاة أخذت تشد الحبل وتحكم قيده من أعلى ومن أسفل وكممت فمه وأغلقته ولم يعد قادرًا على أن يقول لها أرخي الحبل أو شدي الوثاق، وعندما انتهت السلحفاة من جعل الفهد وجذع الشجرة قطعة واحدة، لا فكاك للفهد منها.

تركت السلحفاة الفهد يعاني ويقاسي الجوع والعطش وهو يسمع خرير المياه ويشم رائحة الشواء، وعندما غابت الشمس سمع الفهد السلحفاة تقص على الأرنب قصة العظيم القوي الذي سال لعابه، وفقد عقله عندما شغلته بطنه، فضاعت هيبته وفقد عزته في سبيل شهوة البطن.





صانع العداء

الجفاف والنار أسوء ما قد يلاقيه سكان الغابات من الحيوان والإنسان وذات يوم وقد طال زمن الجفاف شبت الحرائق في الغابة وأسرع الجميع يحاولون الهروب من اللهيب الذي يسري في الهشيم بسرعة الرياح التي تهب تلاحق الجميع دون تفرقة أو تمييز.

كل الحيوانات تتجه نحو النهر لتنجو بحياتها وكثير من الحيوانات لا يمكنها السباحة واجتياز النهر، ومنهم الأرنب والقرد وصلوا إلى النهر قبل كثير من غيرهم، حاول القرد أن يمتطي صهوة الفيل، فألقى به على الأرض قبل أن ينزل إلى ماء النهر وحاول الأرنب أن يركب ظهر الأسد فكشر عن أنيابه فارتعد الأرنب وابتعد وكذلك فعل النمر وغيره.

تمكن القرد أن يتحايل على فرس النهر فوصل به إلى شاطئ الأمان، أما الأرنب وقد شعر بالسعير يقترب منه فقفز إلى قارب وكمن في ركن منه، وما هي إلا لحظات وقفز في المركب رجل وامرأة، وأخذ يجدفان بقوة وسرعة حتى ابتعدا عن النار التي أتت على كل مظاهر الحياة في تلك البقعة وصار النهر حاجزاً بين الجنة والنار.

وصل القارب إلى الشاطئ الآخر ولم ينتبه الرجل وزوجته إلى وجود الأرنب، وما أن غادرا القارب، قفز الأرنب إلى الشاطئ يهنئ نفسه بالنجاة، وأسرع فصنع لنفسه جحرًا عميقًا له بابان للدخول والخروج، كعادة الأرنب الذي يفكر دائمًا في

عمل مفر له عندما يشعر بالخطر فلا يحاصر ويكون هلاكه.

انتهى الأرنب من تأمين حياته في المكان الجديد، ثم جلس يفكر فيما حدث أثناء الهروب من النار، وكيف أن الأسد والنمر همَّا أن يقتلاه بدلاً من إنقاذه، وكيف أن الفيل كاد أن يطأ القرد ويسويه بالأرض، إنهم أقوياء ولكنهم لم يستغلوا هذه القوة في مساعدة الآخرين، وها هم ينعمون بحياتهم وعادوا يستنفرون قوتهم ويعيدون سطوتهم.

لم يكن الأرنب ممن ينسون الإساءة فأقسم أن ينتقم منهم ويجعل بينهم ضغينة تجعلهم يعيشون في صراع دائم وخوف مستمر.

بحث الأرنب عن الأسد، فوجده في عرينه يفترش الأرض مستقرًا هانئًا، فألقى عليه السلام وقال: الحمد لله على نجاتك وخروجك من النار سالمًا معافى.

نظر الأسد إلى الأرنب وساعة أن أطاح به وقال: إن الوقت كان صعبًا وكلٌّ يريد أن ينجو بنفسه ولو كان لديه أبناء لتركهم ساعة الفرار طلبًا للنجاة، ولكن كيف نجوت.

قال الأرنب: نعم.. عند الخطر يطأ الأب أبناءه وتزجر الأم وليدها، ولكني والحمد لله كمنت في قارب وحملني أصحابه إلى هذا المكان دون أن يعلما عني شيئًا وإلا كنت خلصت من نار لأشوى على نار أخرى.

وإني لا أراك وقد وجدت مكانًا آمنًا، فحافظ عليه، لأن النمر والفيل لم يتمكنا من الحصول على مأوى مثله حتى الآن، واعرف أن الفيل ناقم عليك، وقد رأيته يعربد في عرينك القديم بعد أن تركته هربًا من النار.

زمجر الأسد وقال: أنا ملك الغابة ولا يجرؤ أحد على دخول عريني أو سلبي

شيئًا أملكه.

قال الأرنب: هذا ما قلته للفيل والنمر ذلك المتمرد الذي لا يحب أن يسوده أحد، المهم أن تكون مستعدًا، ومن الأفضل أن تبادر بفرض سطوتك على المكان حتى يهابك القاصي والداني والقوي والضعيف واحذر خبث الثعالب وحماقة الخنازير ورعونة الدببة ونزق القرود وشراسة الكلاب.

ترك الأسد وقد كشر عن أنيابه وارتفع زئيره حتى أن الأرنب نفسه ارتعد وابتعد مسرعًا.

لم يهدأ الأرنب وأخذ يبحث عن الفيل حتى وجده يفترش الأرض في ظل شجرة وارفة مثمرة وقد طاب له العيش وأمامه بقايا من الأعشاب والثمار، فعرف أنه أكل وشبع وينام آمنًا مطمئنًا.

ظل الأرنب يأكل من العشب والثمار حتى امتلأت بطنه وراح يحوم حول الفيل حتى أفاق من نومه، فألقى عليه التحية فردها وهو يتثاءب وقال للأرنب: أراك قد نجوت من الحريق المدمر.

نعم.. لقد هيأ الله لي سبيل النجاة، وأنقذني دون مساعدة من أحد الحيوانات فقد كان الجميع يلهث دون أن يولي على أحد..

قال الفيل: المهم أننا نجونا وأصبحنا في أمان، وهذا الغذاء وفير والماء كثير والحياة جميلة ومستقرة.

قال الأرنب: لا تفرح كثيرًا ولا يطمئن قلبك فقد عرفت أن النمر يحقد عليك هذا المكان ويقسم أن يبعدك عنه عنوة ولو أدى الأمر إلى صراع وقتال.

قال الفيل: من يجرؤ على منازلتي، فإن نابي قادر على أن يبقر بطن أي عدو مهما كانت قوته.



قال الأرنب: لقد رأيته يتحدث إلى أحد الثعالب وقد تحولت عداواتهم إلى صداقة وقد أخذ منه عهداً، إذا نازلك فسيكون الثعلب له عوناً عليك.

أصدر الفيل صيحة ارتجت لها الغابة يعلن عن قوته وبطشه واختفى الأرنب من أمامه.

عاد الأرنب إلى جحره فقد أمسى الليل وأرخى سدوله وساد الغابة السكون، إلا من صوت الزواحف والهوام التي خرجت تقتات وتلك هي ساعات الحذر، فقد يفاجأ الأرنب بحية تسعى أو أفعى تتسلل إلى جحره، فأرسل أذنه تسترق السمع.

ومع تباشير الصباح ضجت الغابة بصوت الطيور وحفيف الأشجار ودبيب الحيوانات وخرج الأرنب يبحث عن النمر.

غزال يمر من أمام الأرنب كالبرق فعرف أن في أثره الأسد أو النمر، وهي إلا غمضة عين وكان النمر قد نشب مخالبه في رقبة الغزال، وأخذ يسحبها إلى حيث يكمن.

تتبع الأرنب أثر الدماء التي تقطر من الغزال حتى عرف مكمن الفهد، وكان قد انتهى من تمزيق الأوصال ونهش البدن وامتلأت معدته وترك الباقي جيفة تتصارع عليها كواسر الطير وضعيف الحيوان.

اقترب الأرنب من النمر وهو يتجرأ بعد أن شرب وارتوى وأكل وشبع، فألقى عليه السلام وقد اطمأن أن ليس بمعدته مكان لفريسة أخرى.

قال الأرنب: الحمد لله على سلامتك وأراك في كامل قوتك وعنفوانك على عكس ما يشيعه الفيل، بأنه قد خرجت من الحريق وقد كسرت إحدى ساقيك وإنك بالكاد وصلت إلى الشاطئ ولولا مساعدة الثعلب ما كتبت لك النجاة، وأنك تعيش الآن على الفتات التي يتركها لك الثعلب والخنزير، وحتى الكلب في حين



ينعم هو برغد الحياة في ظل شجرة مثمرة ووارفة عند حافة النهر جهة الشمال، وإنه لا يجرؤ أحد على منازعته إياها.

قال النمر: خسئت، ومن يكون هذا الفيل ليتطاول علي بالكلام وينعتني بهذه الصفات المرذولة... اغرب عن وجهي قبل أن أجعل منك وليمة لتلك الحيوانات الجائعة.

أسرع الأرنب يقفز وينط دون أن ينظر خلفه حتى ابتعد ولكنه أثناء هروبه اصطدم بسلحفاة كانت بالكاد تنقل قدميها، فقالت له:

من يجري وراءك ولما هذا الفزع البادي على وجهك؟.

قال الأرنب: لست مطاردًا من أحد ولكني الآن في حاجة إلى الراحة بعد انفذت خطتي وأوقعت بين الأسد والفيل وأوغرت صدر النمر على الفيل وحرضته على الثعلب، وما هي إلا أيام ويقضي بعضهم على بعض وتستريح الغابة منهم ومن شرورهم وتسلطهم وجبروتهم وذلك يكون أشد عقاب على ما اقترفوه في حقي.

قالت السلحفاة: وماذا فعلوا بك حتى تحمل لهم هذه الأحقاد والضغائن؟

قال الأرنب: لقد رفضوا مساعدتي عندما طلبت منهم إنقاذي من اللهيب الذي شب في الغابة، وأسرع كل منهم لا يلوي على غيره ويحاول إنقاذ نفسه فقط.

قالت السلحفاة: وأنت ماذا كنت فاعلاً؟

- كنت أسعى للهروب من الجحيم.

- وأين أولادك؟

- لم يكن هناك وقت لإنقاذهم وإلا كنا جميعًا سنكون طعمة لهذه النيران



الملتهبة.

– إذا كنت أنت تركت أولادك وفلذات كبدك تأكلهم النيران وهربت بنفسك لتنجوا، فكيف تلقى باللوم على من لم يساعدك؟

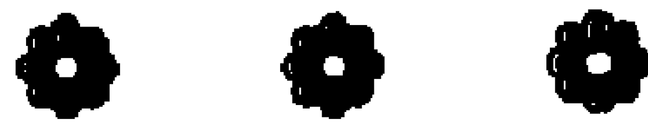
– نظر الأرنب إلى السلحفاة، وكأنه لأول مرة يتذكر أبناءه الذين أكلتهم النيران ولم يحاول إنقاذهم أو حتى النظر إليهم، وأطرق برأسه خجلاً.

– لقد فعل الجميع ما فعلت وأسرع بالهرب ولم ينظر إلا إلى نفسه، فإذا جاء الطوفان جعلت الكائنات أبناءها جسرًا للعبور إلى بر الأمان.

قال الأرنب: لا ليس كل الكائنات فإن القرود لم تغادر الغابة إلا ومعها أولادها، وكانت تتحرك مجموعات وتعتلي الأشجار وتقفز هنا وهناك بعيدًا عن اللهيب والسعير.

قالت السلحفاة: المهم الآن أنك زرعت بذرة الحقد والكراهية الأمر الذي سيؤدي إلى وجود أحزاب وصراعات وسيكون أثر ذلك على الغابة أكبر من الحريق وأكثر تدميرًا.

ومنذ ذلك الحين والفيل يحذر الأسد أن يباغته والنمر يحقد على الأسد ويضمر الشر للثعلب والفيل، والثعلب يمكر على الجميع، والكلب لا يسكت عن النباح، والخنزير يجمع الفتات ، والأرنب دائم الهروب ولا يهدأ بينهم الصراع والعداء.





الهروب من الجنة

ما أقساك أيتها الحياة بعد أن ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، فلم يعد هناك مكمن آمن، وجاء الصيادون من كل حدب وصوب، لم يعد نهرك يرويني وقد حالوا بيني وبينه، وصار بعيد المنال ولم يعد يكفيني غذاؤك فقد قطعت الأشجار وتبدد الثمار حتى شجرة التوت الأحمر قد أجدبت، كم عرفت هذه الأرض وقد كانت جنة فيحاء لا ينقطع عنها الماء والغذاء.

هكذا جلست السلحفاة تبكي حالها، بعد أن هجرت البحر منذ آلاف السنين واستعمرت اليابسة وظلت دهورًا آمنة، تضع بيضها وتخفيه ثم تعود لتصحب فقسها وتعيش حياة سعيدة آمنة مطمئنة لا تخشى سهامًا طائشة ولا طلقات قاتلة.

مر الأرنب بها فلم تشعر به إلا وهو يناولها عودًا من الحشائش الخضراء جلبها إليها من حافة نهر بعيد فأخذت تتناوله في نهم ولم تشبع جوعها ولم تروي ظمأها.

وراح الأرنب يستمع لشكوى السلحفاة وعندما انتهت من حديثها قال لها:

لقد حدث هذا اليوم شيء عجيب.. هناك عند شجرة البندق الجرداء، وكنت أقفز وأنط فسقطت في حفرة عميقة وذهبت إلى مسافة بعيدة أوصلتني إلى نفق طويل مظلم لم أر له نهاية وقد خشيت أن تواجهني أفعى رقطاء وأنا وحدي فتكون نهايتي.



فسألته السلحفاة: كيف هو شكل النفق وهل كان واسعا؟

فقال لها: نعم كان النفق واسع.

فقالت السلحفاة: إذا فهو ليس جحر ثعبان أو حية، لماذا لا نعود وأنا معك نسعى لاكتشاف هذا النفق وإلى أين يؤدي؟

قال الأرنب: يا صديقتي أنا رشيق سريع وأنت بطيئة وإذا ذهبنا معًا داخل النفق وحدث مكروه فلن أتمكن من إنقاذك وأنت كذلك ويكون هلاكنا، ولكن إذا صاحبنا النمس ذلك الهادئ الوديع ولكن إذا ما جد جد تجدينه مقاتلاً شرسًا وتحميه أشواكه التي تغطيه وثلاثة أفضل من اثنين لدرء الخطر، وسأذهب إليه، وسنلتقي جميعًا عند الشجرة.

أسرع الأرنب يبحث عن صديقه النمس، وعند شجرة موز سمع الأرنب، صديقه النمس يشارك زوجته وجبة موز شهية.

عرض الأرنب على النمس أن يشاركه السلحفاة اكتشاف النفق، وقبل أن ينطق النمس قالت الزوجة: نوافق ولكن يجب أن أصحبكم،

فقال النمس لها: قد يكون الأمر خطيرا!!

فقالت الزوجة: أنني أكره الجلوس بمفردي وأنت تعلم ذلك جيدًا، رضخ النمس لطلب زوجته التي لا يطيق فراقها.

التقى الجميع عند الشجرة ودلفوا داخل النفق، يتقدمهم النمس ثم الأرنب فالسلحفاة، وفي المؤخرة كانت أنثى النمس، وذلك لتأمين المقدمة والمؤخرة إذا ما حدث مكروه.

النفق طويل ومظلم وكلما تقدموا زاد الوجل والخوف ولكنهم جميعًا تظاهروا بالشجاعة واستمروا في تقدمهم، وفجأة زاد الانحدار وكأنهم سقطوا من فوق

جبل ليستقروا في واد فسيح وعشب نضير وشمس ساطعة وشلالات مياه وأشجار وارفة وبساتين يانعة ودنيا مبهجة، لا يسمع فيها صوت لكائنات حية، أرض بكر كالعذراء في خدرها.

وقف الجميع مشدوهين بما يرونه من مناظر خلابة وقطوف دانية، إننا في دنيا جديدة وعالم آخر غير الذي نعرفه. إنها الجنة والوعد الحق، هكذا قالت زوجة النمس.

قال الأرنب: كيف ننتقل إلى العالم الآخر دون أن نذوق الموت.

قالت السلحفاة بصوت هامس: أيها الأصدقاء إنه واد مهجور لم يكتشفه الإنسان بعد وربما تكون هناك كائنات لا نراها تستعمر هذا المكان.

قال الأرنب: قد تكون هناك أرواح تسكن هذا الوادي ويكون هذا وادي الجن الذي نسمع عنه.

قال النمس: قد يكون هناك أناس اختفوا عن الأعين خوفًا منا.

قالت زوجة النمس: لينطلق كل منا في اتجاه نستكشف المكان.

قالت السلحفاة: لنتحرك اثنان اثنان، أنت والأرنب وأنا وزوجك ونعود لنلتقي هنا قبل غروب الشمس.

ذهب كل فريق إلى اتجاه، وكانوا في البداية يتحركون في حذر، وعندما اطمأنوا أخذ كل منهم يجري ويمرح، يأكل ويرتوي ويغتسل في ماء النهر وجمعوا بعضًا من الثمار، وعاد الجميع إلى مكان اللقاء.

قال الأرنب: لقد تحركت كثيرًا وذهبت طويلا وطفت الأرجاء، ولم أجد أثرًا لكائن ما كان.

قالت زوجة النمس: ولا لإنسان...



قال النمس: لو كان هناك إنسان كنا رأيناه أو عثرنا على بعض مخلفاته وهي كثيرة.

قالت السلحفاة: كم كنت أتطلع لمثل هذا المكان حيث الغذاء والماء وفير والهواء نقي، ولا يوجد صياد نخاف منه ولا وحوش ضارية تفزعنا.

قالت زوجة النمس: إنه المكان المثالي لعائلات النمس، إنه مكان رحب فسيح يساع الجميع.

قال الأرنب: هل من المعقول أن يكون هذا عالمنا الجديد الذي سنعيش فيه.

قال النمس: إنه مكان مناسب وجميل للعيش فيه، وقد تكون هناك بعض المخاطر، ولكنها حياة تستحق المجازفة والمخاطرة.

قالت السلحفاة: لا يمكنني العيش هنا بمفردي فيجب أن أحضر بعضًا من أسرتي.

فقال الأرنب: وأنا كذلك.

فقال النمس: إذا حدث هذا وأحضر كلٌ منا أسرته وأصدقاؤه، فإن المكان سيعج بالكائنات وسيصبح مثل العالم الذي أتينا منه.

قالت السلحفاة: لن نترك الأمر مفتوحًا وسنعد قائمة بالأصدقاء والأحباب الذين سنجلبهم إلى هذا العالم الجديد.

فقال الأرنب: يجب أن نحافظ على سر هذا المكان، ولا نطلع عليه غير أصحاب الثقة والذين نأمن إليهم.

قالت السلحفاة: كل واحد يرغب في الحياة معنا، نعصب عينيه فلا يعرف الشجرة ومكان الحفرة ونلقي به فلا يعرف طريقه ويستحيل عليه العودة إلى أعلى.

قالت أنثى النمس: إنني على يقين أن من يحضر إلى هنا لن يرغب في العودة إلى أعلى، وأنا على استعداد ألا أعود إلى أعلى وأظل هنا إلى الأبد.

قالت السلحفاة: إذن يجب علينا أن نعد قائمة بمن سنحضره إلى هنا ليقيم معنا، وعلينا أن نبدأ بمعشر الحيوانات التي تتعرض لقهر الإنسان وتسلطه عليهم.

قال النمس: نحن من أكثر الذين تعرضوا للصيد والقنص وبرغم أننا نتمكن من حفظ توازننا وحافظنا على بقائنا ضمن معشر الحيوان ونملك من الأسلحة ما يعيننا على ذلك إلا أن الإنسان جاء بأساليب لم نعرفها وأعمل فينا القتل والقنص والصيد في حرب لا هوادة فيها حتى إننا نتعرض للانقراض، لذا فنحن الأولى والأحق بالحضور إلى هذا العالم النقي البريء الآمن.

قال الأرنب: ونحن كذلك.

فقال النمس: لقد وهبتم القدرة على سرعة التوالد والتناسل بأعداد كبيرة ولذا فأنتم غير معرضين للإنقراض كما هو حالنا.

قالت السلحفاة: إنني أشارك النمس ما يقول، وعليه أن يختار أفضل عناصر فصيلته ويأتي بهم إلى هنا.

قالت أنثى النمس: نحن في حاجة إلى فصائل متعددة من الحيوانات لنعمر هذا العالم ونحدث التوازن الذي قال عنه زوجي والذي جعله الخالق في هذا الكون بحكمته.

فقال الأرنب وقد تغيرت نبرة صوته وزادت حدة: نحن لا نريد أن يأتي إلى عالمنا حيوانات شرسة ضارية تتقاتل فيما بينها ونكون لها صيدًا سهلاً وتكون لنا مصدر الفزع والرعب.



قال النمس: أوافقك الرأي، فيجب استبعاد الجاموس الوحشي والأسود والنمور، والفهود والتماسيح.

قال الأرنب: وأنا أيضًا أوافقكم هذا الرأي، ولكن ماذا عن الخنازير البرية، أليس لهم حقوقنا؟

قالت أنثى النمس: أنهم همجيون ولا يعرفون الألفة والعيش في جماعة، وكذلك الحمير المخططة، ولكن ما رأيكم في الغزلان والزرافات... فأبدى الجميع موافقتهم.

قال الأرنب: لم نتكلم عن الطيور ومن منهم الذي سنسمح له بالدخول.

قالت السلحفاة: لن نسمح للنسور والعقبان والخفافيش وكل الطيور الجارحة بالدخول فهي شديدة القسوة ويجب أن نضع قائمة لأن انواعهم كثيرة وأعدادهم غفيرة.

ويتساءل النمس: وماذا عن القرود.

وهنا بدا الانقسام فالبعض يرى في القرود بأنها جشعة مفرطة في تصرفاتها الغير مسئولة ولا تحتكم إلا لغريزتها العدائية، وهي قريبة الشبه من الإنسان الذي لا يعرف أحد ردود أفعاله أهي إلى الخير أم إلى الشر، إنها كثيرا ما تكون إلى الشر وأنها ليست خليقة بالثقة.. والبعض الآخر يرى أن فيهم الكثير الذي يحمل صفات طيبة وأنها مخلوقات اجتماعية وأن ما تقوم به وإن كان فيه بعض الجفاء والوحشية فإن ذلك يكون من أجل الدفاع عن أسرتها التي تحبها وتخاف عليها.. واتفق الجميع على السماح لبعض منها بالدخول إلى العالم الجديد.

قال الأرنب: لننهي هذه المناقشة التي لن تنتهي فأنا أتضور جوعًا وقد أوشك الليل أن ينصرم.



قالت السلحفاة: بعد أن نتناول الطعام سأصعد أنا والأرنب وليبقى النمس وزوجته هنا ونحن سنحمل الوسائل إلى العالم العلوي وغدًا سنبدأ بإرسال الطلائع.

قالت أنثى النمس: نعم الرأي هو... فأنا لا أريد أن أغادر هذا المكان ولا يمكنني أن أبيت هنا وحدي.

فقال الأرنب: ولكن عليكم الحذر فقد يكون هذا العالم مسكونًا بكائنات لم نعرفهم.

قال النمس: لن نبرح مكاننا هذا إلا أن تأتيا إلينا.

تناول الجميع طعامهم وكان الغذاء وفيرًا والثمار طيبة لذيذة.. وبعدها نطلق الأرنب والسلحفاة إلى النفق صاعدين.

كان الأرنب أسرع من السلحفاة فأخذ ينقل الرسائل ويبدي محاسن العالم الجديد.

وكانت جماعات النمس أسرع الفصائل في الموافقة على الذهاب إلى العالم القديم، وبعضا من الغزلان ولم يكن طاعن السن من الفصائل يبدون تحمسهم لهذه الفكرة ويحاولون إثناء الصغار عن الدخول إلى عالم مجهول وتحذيرهم من المخاطر والمجازفة.

تمكن الأرنب والسلحفاة من إشعال الرغبة والحماس في عدد لا بأس به من الحيوانات التي اتفق الجميع على إدخالها إلى العالم الجديد.

وفي الصباح تجمع عدد لا بأس به، بعضهم يملؤه الحماس والبعض الآخر مجبر مقهور ويسعى للهروب من واقعه المؤلم ويبحث عن عالم أفضل، وصغار يتبعون آبائهم ولا يدرون شيئًا عن العالم الذي يعيشون فيه ولا



ماهم مقبلون عليه.

نشط الأرنب والسلحفاة في تعصيب العيون وعندما انتهوا من توجيه الإرشادات وضرورة تتبع خطوات السلحفاة وسماع صوت الأرنب والالتزام بالقول والفعل.

قامت السلحفاة بالدوران حول الشجرة عدة مرات لتوهم الجميع بطول الطريق ووعورته ثم خذت تقذف بهم إلى النفق والأرنب يراجع القائمة.

كانت جماعات النمس أولى الأفواج التي وصلت إلى العالم الجديد لتجد بني جلدتها في انتظارهم بالترحاب والتهليل، وتقاطرت الأفواج بين إرسال واستقبال، وخوف ووجل من أعلى خوفًا من إفشاء السر، وسرور وبهجة في أسفل بالعالم الجديد.

مرت عدة أيام والسلحفاة والأرنب جادين في عملهم حذرين في اختيارهم لفصائل الحيوانات وكان اختفاء بعض الحيوانات بهذا الكم وهذه السرعة أمرًا ملفتًا للنظر خاصة تلك القرود المولعة بالحركة الدائبة وحب الاستطلاع، لذا كانت السلحفاة لا تريد أن تعلمهم إلا في آخر الأمر وليكونوا في الفوج الأخير.

لم تنتظر القرود التي لا تعرف شيئًا، سوى أن السلحفاة والأرنب يدبران شيئًا في الخفاء وأن هذا الأمر له علاقة باختفاء الحيوانات من الغابة.

انطلقت القرود تشيع هذا الأمر في الغابة، ووصلت هذه الشائعات إلى التمساح العجوز، فأخذ طريقه يبحث عن السلحفاة التي لم يجدها في مأواها، وصار يبحث عنها، فوجدها تتصبب عرقًا وقد اختلت إلى الأرنب تتحدث إليه.

شعرت السلحفاة بوقع أقدام التمساح فتوقفت عن الكلام ورحبت بالتمساح

الذي بادرها بالحديث: أيتها الأخت العزيزة، لم أنت مختفية هذه الأيام ولم تعودي تزوريني وكلما ذهبت إلى مكمنك لا أجدك.. لابد أن ما يشغلك أمر عظيم.

قالت السلحفاة: أنت تعرف أنني كسولة وبطيئة الحركة، وهذا الوقت من العام هو الذي أعمل به، وقد ضقت بالمكان وأبحث عن مكان آخر، يكثر فيه الغذاء والماء.

فقال التمساح: وأرى أن الأرنب يساعدك في البحث، أرجو أن توفقي في الحصول على مكان أفضل، رغم أن بعادك عنا سيعز عليَّ فقد تجاورنا زمنًا، وسأذهب معك إلى المكان الجديد، فأنا لا أقدر على فراقك.

انزعجت السلحفاة وقالت: المكان الذي عزمت الرحيل إليه مرعى أخضر وكل من يعيش فيه من آكلي العشب، ولن تجد هناك لحومًا.

قال التمساح في نفسه: إنه المكان الملائم حيث تكثر الفرائس ولكني أخشى ألا يكون هناك نهر عظيم ولا أدغال يمكنني الاختفاء بين أحراشها.

تثاءبت السلحفاة وراحت تغمض عيونها وكأن النعاس يغلبها.. نظر إليها التمساح وقد تمنى أن يلتهمها، لولا ذلك الصخر الذي يحيط بها ويلف جسمها.

انسحب التمساح يبحث عن القرود ليعرف منها صحة هذه الإشاعات وربما يعرف منها المكان الذي تنوي السلحفاة الذهاب إليه.

مع ضوء الفجر كانت السلحفاة والأرنب عند الحفرة المؤدية إلى النفق، تعصب العيون وتدفع من وقع عليه الاختيار ليصل إلى العالم الجديد.

ظلت السلحفاة والأرنب لوقت طويل يتخيرون وينتقون من يصلح للعالم الجديد وبعيدًا عن الضواري من الحيوان والكواسر من الطيور.

قال الأرنب: يكفي ما اخترنا والآن علينا أن نترك هذا العالم وننزل لننعم مع أخواننا بعالمنا الجديد، نرتع ونلعب، في الرياض وبين الحقول، وسط العشب النضير، والحدائق والبساتين والأشجار الباسقة، لا خوف ولا وجل.. لا قوس ولا سهم، لا صياد ولا شبكة، لا أنياب ولا مخالب.

قالت السلحفاة: لا يمكنني أن أترك هذا العالم إلى الأبد فهناك من العجائز الذين رفضوا النزوح إلى العالم الجديد وهؤلاء في حاجة إلى تدبير شئونهم، وسأقسم وقتي بين العالمين.

مرت أعوام والعالم العلوي يتضور جوعًا بعد أن عزت الفرائس وزاد الصراع من أجل الغذاء وتسيد منطق القوة والغلبة والقهر، في حين ينعم العالم الآخر بوفرة الغذاء والسلام، لا أحقاد ولا أضغان ولا صراعات، وظلت السلحفاة تتنقل بين العالمين بين شتاء ونعيم وصراع ووءام، بين زئير الأسد وصوت العندليب.

زاد الأمر سوءًا في العالم العلوي عندما حل الجفاف وندر الغذاء والماء وأصبح الصراع على قطرة ندى على زهرة صبار، وكان هذا الجفاف نذير شر، فشبت النار في الغابة وهبت معها رياح، فزعت حيوانات الغابة وراحت تجري وأطلقت ساقيها للرياح وسبق الأسد الأرنب، ولاحقت الغزال الفهد ووطئت السلحفاة الفأر، الكل يفر إلى حيث لا مفر، فقد كانت النار تحاصر الجميع.

مرت أيام واختلطت الروائح وتفحمت الجلود والعظام واللحاء والجذوع، ولم تفرق النار بين الخيِّر والشرير، القوي والضعيف، السريع والبطيء، الطائر والساعي الذي يدب والذي يزحف، اليابس والأيبس فلم يكن هنا شيء أخضر، حتى الهوام والعوالق.

كانت السلحفاة تقف عند باب النفق ساعة شب الحريق، وراحت تدل كل من لجأ إليها إلى مدخل النفق دون أن تفرق أو تختار أو تنتقي.



مرت أسابيع والنار لا ينطفئ لهيبها ولا يخمد سعيرها حتى أتت على كل أشكال الحياة وطهرت الأرض من كل الجراثيم والميكروبات.

على غير ميعاد، بدأت السحب تتكاثف والسماء ترعد وفتحت مزاريب المياه التي لم تنقطع أسابيع لتغسل الأرض من أدرانها، وفاض النهر يحمل رفات الأسد والفأر، الثعلب والقرد، النمر والقط، الدبور والعصفور، الغزال والحمار الوحشي، وابن آوي والخنزير البري.

مرت شهور وكان العالم الآخر قد بدأ يشهد الصراع على الغذاء والماء والمأوى، بعد أن تكاثرت الحيوانات، حيث لا صيد ولا قنص وزيادة التناسل والتوالد، فضاقت بهم العوالم.

خلال هذه الفترة كانت الأرض قد بدأت تستعيد رونقها، وبعد أن ربت والبذور أنبتت والباسقات الشامخات ارتفعت تعانق السماء، وأنبتت الثمار، واكتست الغابة باللون الأخضر، وتفجرت العيون تملئ الأنهار والجداول.

كانت السلحفاة أولى الحيوانات التي هربت من العالم الجديد الذي أصبح قديما، وخرجت إلى عالمها الأول واتبعها الأرنب ومن خلفهم كانت أنثى النمس تحمل زوجها الذي لم يعد قادرًا على الحركة، فقد كان لتوه خارجًا من معركة شرسة خاضها ضد حية كانت قد تسللت عبر النفق.





جزيرة الهلاك

تعتبر القردة من أنشط حيوانات الغابة وأكثرهم حركة، وهي كثيرة الكلام أكولة وجشعة، مضطربة التفكير، ورغم أنها حيوانات اجتماعية لكنها لا تعرف الاستقرار تغلب عليها روح المغامرة ولو كانت غير محسوبة، ماكرة خبيثة تميل إلى المؤامرة، مثلها في ذلك الأرنب فهو سريع الحركة دائم التلصص على الغير.

كانت الغابة واسعة والأنهار فياضة والثمار يانعة والأشجار باسقة والغذاء وفير والخير كثير ويكفي الجميع، وقد خلت الغابة من الصراع على الغذاء أو الماء أو المأوى، والجميع يعيش في سلام واطمئنان.

كانت القردة شيتا تقف فوق شجرة موز تلتهم منها حتى شبعت، ثم انتقلت إلى فرع شجرة عالية لا يحجبها عن السماء شيء فأوثقت ذيلها وأخذت تنظر إلى الغابة لترقب حيوانات الغابة بين غدو ورواح.

لقد أكلت وشبعت ولكن ها هو السنجاب يسحب أمه العجوز ليأكل ما تبقى من شجرة الموز، وبعد قليل سيأتي الأرنب ويأتي على ما تبقى منها هو وأبيه وجده، وفي الغد لن تكون لهذه الشجرة أثر، وهكذا الحال في الغابة، فماذا لو خلت الغابة من العجائز الذين يشاركوننا رغد العيش ووفرة الطعام، لقد عاشوا حياتهم الطويلة يأكلون ويشربون وقد طال بهم الأمد ونحن لا نحتاج إليهم، فقد أصابتهم العلل والأسقام، ونحن نقضي وقتا كبيرًا في البحث عن الأعشاب التي تداويهم، إنهم غير ذي نفع ويجب إبعادهم أو التخلص منهم.

كانت الفكرة جريئة وهي في عقل شيتا عظيمة ولكن كيف يتم تنفيذها، لابد

من جمع الشباب على هذه الفكرة ولابد أن يكون الأمر سرًا في البداية.

بمن أبدأ .. الأرنب.. ثرثار وكثير الكلام.. الخنزير... أرعن ولا يؤتمن على سر إنها السلحفاة، فهي هادئة الطبع بطيئة الحركة لا تتحدث كثيرًا وليس لها أصدقاء.

راح القرد يبحث عن السلحفاة وقد اختمرت الفكرة في رأسه وصمم على تنفيذها، وقرب شاطئ النهر وجد السلحفاة تحمل بعضًا من العشب وتجر بعضًا من الأعشاب، فسألها القرد إلى أين بهذا الحمل الكبير.

- إنها لجدتي القابعة في مكمنها مريضة ومعها أمي تقوم برعايتها، وأنا أحضر لهما الطعام والأعشاب للأكل والتداوي.

- ما أصعب هذه الحياة.. فأنت تكدين وتتعبين وهم جالسون بلا عمل، معتمدون عليك فماذا لو تخلصنا منهما أو أبعدناهم إلى مكان بعيد إلى أن تحين منيتهم ونعيش نحن ننعم بحياتنا دون عناء ولا رهق.

نظرت السلحفاة إلى الأرنب نظرة عتاب ولوم وقالت: هل ستفعل ذلك مع أبيك وجدك..

قال: نعم.. الكل في ذلك سواء.

قالت السلحفاة: وكيف سيتم تصنيف الحيوانات من حيث السن أو اللون أو الفصيل فإن كان السن فإن عمري أضعاف عمرك ومازلت في شرخ الشباب لأن السلاحف من الحيوانات المعمرة، والعصفور وهو ابن شهور فقد يصبح أبًا وفي غضون عام سيصير جدًا وإن كان التمييز عن طريق اللون فكل الحيوانات الكبير منها والصغير، ليس فيهم من يتحول لونه بمرور الزمن ويكون شبابه أبيض وفي شيخوخته أسود، أما عن الفصيل ففصائل الحيوان فيهم آكل النباتات وفيهم الكبير والصغير، ومنهم آكلو اللحوم وأيضا فيهم الصغير والكبير وإن كان عن



الأقدم والأحدث والمستقر والمتنقل، فلا يوجد مكان في الغابة وقف على أحد، إنها سنة الله في خلقه وتوازن الطبيعة، وإذا تدخل أحد للإخلال بهذا التوازن فإن مآله الفشل.

وتحولت نظرة اللوم إلى اشمئزاز، وأكملت السلحفاة سعيها.

أخذت شيتا تفكر.. لن تثنيني هذه الكسول عن تنفيذ فكرتي وعندها ستأتي لشكري بدلا من لومي وعتابي..

إنه الثعلب أو النمر فهما يملكان الجرأة على القول والفعل، ولكن النمر والفهد والأسد لهم شراسة لا يحمد عقباها إذا لم يقتنعا بالفكرة، أما الثعلب فهو خبيث وقد أجد عنده أفكارصا جديدة وهو مقهور بين الحيوانات المفترسة وهو شرس ونهم.

اعتلت شيتا قمم الأشجار وظلت تنتقل بين الأغصان في خفة ورشاقة حتى عرفت المكان عندما وجدت بعضًا من كواسر الطير تحوم في السماء حول إحدى الجيف ووجدت الثعلب ينهشها.

انتظرت شيتا حتى نهل الثعلب الماء وارتوى وغسل جسده وفمه مما علق به من دماء فاقتربت منه قائلة: أراك وقد كنت تقتات من الفتات وما تركه لك الأسد العجوز، ترى كيف سيكون الحال لو لم يكن هذا الأسد العجوز بيننا.

قال الثعلب: الطعام سيكون أوفر ويكون ميزان القوى في صالح الشباب.

كانت هذه بداية مشجعة جعلت القرد يقترب أكثر ويستمر في حديثه؛ لقد طرأت لدي فكرة وأرى أنها عظيمة إذا تكاتف الشباب وقاموا بإجلاء كل مسن وعجوز عن هذه الغابة إلى الجزيرة النائية، يتصارعون.. يتقاتلون... يموتون.. المهم أن يتركوا لنا الغابة بغذائها الوفير ومائها الغزير فلا يكون بيننا صراع ولا

قتال ونعيش في أمان وسلام.

- إنها فكرة عظيمة ولكن لابد من جمع الشباب على هذا الرأي، وأرى أن التمساح سيتحمس لهذه الفكرة، هلم بنا نعرضها عليه.

على شاطئ النهر كان التمساح يتربص فريسة طال انتظاره لها، وعندما قدم الثعلب والقرد وشعرت بهم الفريسة فرت هاربة.

على حذر اقترب الثعلب من التمساح الناقم عليهم وقال له:

اعرف أنك حانق علينا لفقدك الفريسة، ولكنا نعدك بوفرة الغذاء إذا شاركتنا الرأي فيما أتينا به.

قال التمساح: عليك أن تختصر في الحديث فأنا ليس لدي وقت للمهاترات.

قال الثعلب: إنه موضوع هام وفكرة عظيمة أتت بها شيتا ولا يمكن تنفيذها إلا وأنت معنا، ستكون أنت العقل المدبر واليد القادرة على التنفيذ.

- قل ولا تطل.

- ما رأيك لو تخلصت الغابة من العجائز والمرضى الذين يتوهمون أنهم أصحاب الرأي والخبرة ويعيبون علينا ما نفعله ولا يتركون لنا فرصة للحرية والتعبير عن آرائنا ويتهموننا بالرعونة والتسرع وتفاهة التفكير والإسراف في اللهو وعدم الجدية في العمل ويترصدونا صباح مساء يوجهون وينصحون، وقد أحكموا حولنا الحصار.

قال التمساح: ما تقوله هو الحق وقد ضقت بأبي وأمي وحتى جدي المريض منذ زمن بعيد وكم أتمنى أن أعيش حرًا في النهر أو على اليابسة دون رقيب أو حسيب، ولكن كيف سيكون ذلك؟!!

ومن الذي سيقوم بنشر هذه الفكرة بين شباب الغابة؟!!



لم يـــكن الأرنب قد ابتعد كثيرا بعد أن أفلت من فكي التمساح التي كادت تفتك به، وأراد أن يقترب من التمساح والثعلب، فقال في نفسه، لو ساعدتهم على نشر هذه الفكرة فسوف آمن شرهم وأكون لهم شريكًا بدلا من أن أكون لهم فريسة.

اقترب الأرنب من الجمع على حذر وقال: أنا أنشر لكم هذه الفكرة وأعمل على ترويجها بين الشباب من حيوانات الغابة، ولكن قبل ذلك لابد لكل واحد منا أن يتغلغل داخل بين جنسين من الشباب لنصبح لنا جماعات تقوى وتنتشر وتزين للشباب هذه الأفكار لأنهم القوة الفاعلة والقادرة على التغيير.

أيام قليلة وتمكن كل واحد منهم من تكوين جماعة وجعلوا هذه الجماعات مجلسًا كبيرًا واجتمع هذا المجلس ليقر ترحيل كل كبير في السن والمعمرين والمرضى والعجائز إلى جزيرة الهلاك على وعد بأن يقوم المجلس بتوفير الحد الأدنى من الطعام اللازم لهم، وعليهم هم أن يقوموا بتدبير حالهم ومعاشهم على هذه الجزيرة النائية البعيدة.

بين عويل الآباء وأنين العجائز من الرجال والنساء تم إخلاء الغابة من كل عجوز سقيم شيخ كبير، ودون تمييز بين لون أو جنس، وأصبحت الغابة مرتعًا للشباب والحيوية وصارت الجزيرة مأوى للأجساد البالية.

الغذاء وفير والحياة هانئة، لا صراع ولا قتال والكل يحيا في سلام ووفاق وصار القرد يشعر بالافتخار لأنه صاحب هذه الفكرة التي جلبت على الغابة السعادة والهناء.

مرت شهور وكان القرد لم يرجع عن عادته في التلصص على باقي الحيوانات، فكان يرى السلحفاة لا تغادر مكمنها إلا قليلاً، ولا تشاركنا سعادتنا، بعد أن أصبحت الغابة خالية من العلل والأسقام.

كان الهدهد يقف على غصن شجرة وبين منقاره دودة يقتات بها فسأله القرد ألم ترى السلحفاة اليوم؟.

قال الهدهد: رأيتها بالقرب من الشاطئ وقد أصابها الهذيان فهي تحدث نفسها طوال الوقت.

- كيف؟

- لا اعرف ولكني أسمعها وكأنها تكلم أحدًا فأنظر حولها فلا أجد من تكلمه. وأغلب الظن أن فراقها الأهل قد أصابها بالهوس والجنون.

قال القرد: لابد أن أذهب إليها لأتفقد حالها واعرف خبرها.

اقترب القرد من المكان الذي أشار إليه الهدهد واعتلى أحد الأشجار يترقب السلحفاة فوجدها تحمل كمًا من العشب الطري وبعضًا من الأعشاب يفوق حاجتها وسارت حتى اختفت وراء شجرة، وانتظر فترة فلم تخرج السلحفاة في ليلتها، ارتاب القرد في تصرفها ولكنه أعاد انطوائها إلى غياب أمها وجدتها عنها، وعاد القرد إلى لهوه ومجالس السمر والضحكات التي ملأت الغابة وقد نسو ماضيهم وأسلافهم ولم يعودوا حتى يمدوهم بأقل القليل من الغذاء.

مر العام وجاء الآخر وجاء صيف ارتفعت فيه درجات الحرارة حتى أن كل حيوان يدب أو يزحف أو حتى يطير يبحث عن مكان يتفيأ فيه ليتقي الشمس الحارقة، وكان الجميع يأمل بأن يأتي الشتاء سريعًا لتهطل الأمطار وتورق الأشجار وتعود الغابة زاهرة وتطيب ثمارها.

طال موسم الصيف وانقطعت السماء أن ترسل المطر وحل الجفاف وقل الغذاء وندرت الماء، وتحولت الغابة إلى ساحة قتال من أجل شربة ماء أو عود كلأ

وصار القرد يخشى الأرنب وحيله وبات الغزال يتتبع أثر الأسد، وصارت الحية تخشى السناجب.

الجميع في حالة ذعر وأصبح كل كائن في الغابة صيادًا وفريسة والجميع يئنون تحت وطأة الجوع والعطش، وتحولت الغابة إلى جحيم واحتكم الجميع إلى قانونها الأزلي البقاء للأقوى.

كان الأرنب أشد الحيوانات تأثرًا بقيظ النهار وسعير الليل، وأخرجه جوعه من جحره وراح يبحث عن طعام، وفي أثناء بحثه عثر على السلحفاة تدب على الأرض في نشاط ولم تتأثر بالجوع أو العطش، فاقترب منها يجر قدميه وقد اعتصره الجوع يسألها:

أيتها الأخت العزيزة، ألا أجد عندك شيئًا من الطعام، فأنا لا أرى على وجهك أثر للجوع أو العطش.

أشفقت السلحفاة على الأرنب فترة قصيرة ثم عادت إليه تحمل بعضا من جذور النباتات وناولته إياها.

فظهر البشر والفرحة على وجه الأرنب وكانت الجذور غنية بالماء والغذاء، فأكل الأرنب وارتوى وعادت إليه الحيوية والنشاط وأخذ يقفز وينط، فقابله القرد وهو على هذه الحال، فاستغرب وقال له:

منذ قليل كنت هزيلاً تجر قدميك وتكاد لا تقوى عن الحركة، كيف تبدل حالك.

- قال الأرنب: جزى الله السلحفاة كل خير فقد أعطتني ما أشبعني ورواني.

- قال القرد: ومن أين أتت بهذا الغذاء وأنت تعرف أن الغابة كلها تتضور

جوعًا ولا يوجد فيها مكان به عشب أو ماء وقد نفقت حيوانات كثيرة ومن لم يمت من الجوع والعطش مات من الأوبئة التي انتشرت.. لابد أن هناك سر ويجب أن نعرفه.

دعا القرد إلى مجلس طارئ لمن تبقى من شباب الغابة ليتدارسوا هذا الأمر الذي أصبح مسألة حياة أو موت.

اجتمع المجلس وقرر أن تقوم جماعة منهم بالذهاب إلى السلحفاة وإحضارها ومعرفة سرها وسر الغذاء الذي تكتنزه.

حضرت السلحفاة إلى حيث انعقاد المجلس، وقام الثعلب يسألها: لقد عرفنا أنك تحتفظين ببعض الغذاء والشراب من أين أتيت به؟

قامت السلحفاة شامخة.. من الماضي.. من الأسلاف، من الحكم والأمثال التي كان ويجب أن تكون ميراثنا الذي لا نستغني عنه ولا نفرط فيه، من جدتي التي لم تغادر الغابة، فقبل أن يحل الجفاف على الغابة، أنذرتني جدتي بأن موسم الجفاف سيحل عن قرب، فيجب أن تختزني بعضا من جذور النباتات الغنية بالعصارات التي تعوض عن الماء، وأخبرتني أين تكون هذه الجذور وهي مدفونة في باطن الأرض، فعرفت مكانها، وكلما احتجت إليها ذهبت وأحضرت بعضا منها.

سألها الفهد: وأين جدتك؟

- لقد ماتت بعد أن جاء أجلها وعلمتني أمي كيف أدفنها وأواريها التراب حتى لا تتعفن وتصير مصدرًا للوباء والأمراض كما يحدث الآن في الغابة.

رفعت الأفعى رأسها وقالت للسلحفاة: لقد كنت أحكم منا وأعقل ولم تتساقي وراء طيش الشباب الذي اعتقد أنه ملك أمره واستغنى عن ماضيه ونزع عنه



عباءة الماضي لقد أخذتنا العزة بالإثم ولم نراع في أهلينا ما فعلوه من أجلنا، فقد زرعوا لنأكل وعانوا لنتعلم، وكابدوا لنرتاح وكان جزاؤهم منا الجحود والنكران.

قام الجميع يهرول في اتجاه جزيرة الهلاك يبحث عن ذويه وأهله ليرتمي تحت قدميهم يطلبون الصفح والغفران، وعاد الجميع يحملون الجذور والأعشاب المجففة ويستدلون على الأماكن المدفونة فيها الجذور الطازجة في الغابة ليشيع الرضى ويعود السكون، إلا القرد الذي قبع يذرف الدمع فقد كانت أمه وأبو قد فارقوا الحياة في جزيرة الهلاك.





المصيدة

للغابة قانونها الأزلي وهو «البقاء للأقوى»، ويختلف مفهوم القوة في مجتمع الحيوان كما في مجتمع الإنسان، فهناك حيوانات تملك قوة باطشة غاشمة، وهناك حيوانات تتسم بالذكاء والحيلة، وكل وهبه الله وسيلة تعينه على الحياة والحفاظ على بقاء النوع.

ويعتبر الجاموس الوحشي من أقوى حيوانات الغابة، فهو ضخم الجثة، قوي العضلات، وصلب الحوافر، فإذا ما وطئ حيوانًا أهلكه، وإذا نطح جملاً أرداه.

وحدث أن حل الجفاف وندر الغذاء، فقام قطيع من الجاموس بهجرة جماعية قاصدين طرف الغابة حيث المياه غزيرة والغذاء وفير، وعندما يتحرك مثل هذا القطيع فإن الأرض تميد تحته، فيكون ذلك بمثابة رسالة تحذير لباقي الحيوانات التي تفسح الطريق لهذا الموج الهادر الذي يكتسح كل شيء أمامه، فلا يبقي ولا يذر.

ولكل قطيع، وجماعة زعيم يسوس أمرها ويحكم بينها ويقودها ويدافع عنها، وكان لهذا القطيع جاموس شب قوي لا يخيفه شيء ولا تروعه قوة مهما كانت عاتية فهو فخره وعزه وقوته.

استقر هذا القطيع بالقرب من إحدى القرى وراح يستبد بكل الخيرات من ماء ونبات وثمار حتى إن الحيوانات التي كانت مستقرة بهذه المنطقة تحول نعيمهم إلى جحيم وشبعهم إلى جوع وحرموا ماء النهر واستقرارهم وأمنهم إلى شتات وفزع.

اجتمعت حيوانات الغابة لتدبر الأمر وكيف يواجهون هذا الخطر الداهم، وكان اجتماعًا صاخبًا كل حيوان يشكو حاله ويبد غضبه وقلة حيلته.

قالت السلحفاة: الهدوء.. الهدوء.. فلا يمكن أن نفكر وسط هذا الضجيج، وليس هناك وقت للنواح والولولة والبكاء.

زار الأسد: أنا لا أبكي ولا أنوح و يمكنني التخلص من هذا القطيع، فأنا ملك الغابة ولا يمكن لأي حيوان مهما بلغت قوته الوقوف أمامي أو منازلتي.

قال الأرنب: مكان القطيع معروف وهو ليس خاف على أحد فلماذا لم تذهب وتطرد هذا القطيع وتكون بذلك قد أنقذتنا من الهلاك.

قالت الغزالة: الكثرة تغلب الشجاعة وأنا لا أنصح الأسد بالإقدام على هذه المغامرة المحفوفة بالخطر وقد يكون فيها هلاكه.

قالت السلحفاة التي مازالت تحتفظ بهدوئها: الرأي عندي أن يتكون منا وفد يذهب إلى هذا القطيع ونتحدث مع زعيمه، ونعرض عليه أن نعيش جميعًا في سلام ووئام.

قالت الزراقة: نعم الرأي هو!

قال القرد الذي لا تهدأ حركته: لن يسمح هذا القطيع لكم بالاقتراب منه فإنه يثور بسرعة.

قالت النعامة: إنها محاولة لابد منها لأن الشر الذي سيجلبه علينا عظيم، فمنذ أيام هجم هذا القطيع على حقل وعاث فيه فسادًا فدمر الزرع وهذا الأمر سيجعل الإنسان ينشط ويحاول صيده، وعندها لن يفرق الإنسان بين الجاموس والمنزة!!

انتهى الرأي بأغلبية المجتمعين بتكوين وفد من الأسد والأرنب والسلحفاة



والقرد والزيرا وتوجه هذا الوفد للمكان الذي يرعى فيه الجاموس على شاطئ النهر.

طلبت السلحفاة أن تكون هي في مقدمة الوفد حتى لا يظن زعيم القطيع أن الأسد ينوي بهم شر، وسارت بهدوء وروية وخلفها الأرنب، وعندما اقتربوا راح الأرنب ينادي القائد ، كان القطيع قد قام بتشكيل حلقة خرج من وسطها ثور يدب الأرض فتهتز الأشجار وتفزع الأطيار، وخواره كفوهة بركان ثائر وتخرج أنفاسه لافحة كاللهب.

تراجع الأرنب وقد رهبه الثور وأفزعه، ولكن السلحفاة ظلت رابطة الجأش، فقالت بصوت هادئ : نأسف على هذا الإزعاج الغير مقصود، ولكنا جئنا نرحب بكم، ونعرض عليكم الأسلوب الأمثل حتى نعيش جميعًا في سلام وأمان.

نحن لا نحب أن يفرض علينا أحد أسلوبًا في الحياة، فنحن حيوانات برية، الغابة كلها ملكنا، نعيش فيها وفق طبائعنا، نأكل مما نشاء وقتما نشاء ونرقد حيث نشاء.

زأر الأسد وتقدم عدة خطوات ودار في مواجهة زعيم الجاموس وقال: أنا ملك الغابة ومن لا يعيش معنا وفق طبيعتنا فليرحل عنا، لقد كنا نعيش في سلام حتى حللتم بنا وعثتم في الأرض فسادًا ووطئتم بحوافركم وبقسوة الكثير من الحيوانات وهدمتم الكثير من الجحور على ساكنيها، وآن لنا أن تكون لنا وقفة معكم.

قال الزعيم: ومن ذا الذي جعلك ملكًا على الغابة، فإن الملوك لا تكون إلا برعاياها تقيم بينهم العدل وتعمل على حمايتهم وقت الشدائد، وأنت تعتمد على قوتك الغاشمة، ونحن أيضًا نملك قوة غاشمة فلا سلطان لك علينا، وإن كنت ما زلت تعتقد أنك ملك الغابة، فالفيصل بيننا ميدان المعركة وحلقة الصراع، من



يخرج منها يكون هو الملك، وتخضع له باقي الحيوانات.

قال الأسد: أنا لها.

قالت السلحفاء: لم نأت من أجل معركة وصراع وإنما قصدنا التشاور والاقتناع.

قال الأسد: الحديد بالحديد يطرق، وما كان لأحد أن يتكلم وأنا موجود، اليوم يوم الملحمة وأنا مستعد للنزاع ليعرف كل منا مكانه ويحفظ كيانه.

مالت الزيرا على القرد وقالت: لقد تقدم السن بالأسد وضعفت قواه ومنذ زمن بعيد لم يحدث بينه وبين أي حيوان صراع وكان وكنا نعيش في أمان وأخشى عليه هذه المواجهة الصعبة.

كان قطيع الجاموس يدب الأرض بحوافره حتى كادت قلوب أعضاء الوفد تنخلع من مكانها وشكلوا حلقة كبيرة طوقت الوفد، ثار الغبار يعمي العيون ونبه حيوانات الغابة التي أسرعت إلى ميدان المعركة لتشهد هذا الصراع، وتجاورت الطيور مع القرود فوق الأغصان، وحضر الفهد وزحفت الأفعى والحرباء، وتسللت السناجب إلى أرض المعركة.

تواجه الخصمان هذا يدب بحوافره ويخور ، وذاك يشب يبرز مخالبه وأنيابه ويستدعي قوته وشجاعته التي كاد أن ينساهما.

قفز الأسد واعتلى ظهر الجاموس وبقوة نشب مخالبه في جسده الضخم وأنيابه في عنقه القوي، ولكنه لم يتمكن من الثبات في مكانه عندما انتفض الزعيم وقفز قفزة هائلة فطرح الأسد أرضًا فسقط على ظهره وقبل أن يقف على قوائمه كانت الحوافر تدك صدره بقوة فلم تقم له قائمة وراح يتأوه تحت وطأة الضربات المتلاحقة.

عاد ذكر الجاموس الوحشي يقف في وسط الميدان يضرب بحوافره الأرض ومعه كل القطيع وساد الهرج والمرج بين الجميع، وقد زاغت الأبصار واضطربت النفوس وهلعت الحيوانات من تلك القوة الفتية التي لا رادع لها.

تسللت الأفعى واقتربت من ذكرالجاموس وعلى حين غرة نفثت في وجهه بعضًا من السم وقفزت حول عنقه في محاولة منها لخنقه ولكن عنقه القوي تمكن من الصمود أمام قوتها الضاغطة ولم يمكنها ذكر الجاموس الذي صار كالأعمى وثار وهاج هياجًا شديدًا وما هي إلا لحظات وانسحبت الأفعى بعيدًا عن وطأة الحافر التي كادت تقضي عليها.

أسرع ذكر الجاموس إلى النهر ليغتسل ويزيل أثر السم عن وجهه وعينيه، وعاد كل فريق إلى مكانه.

مرت عدة أيام عاد قطيع الجاموس أشد شراسة وهاجم عددًا من الحقول وهدم الجحور وقد استعاد ذكر الجاموس قوته وعنفوانه.

مرة ثانية تجتمع الحيوانات بعد أن أصبح الجميع عرضة للهلاك، وبدأ الإنسان حربًا شعواء على كل الحيوانات، وانتشرت الفخاخ ونصبت الكمائن.

قالت السلحفاة: لقد أصبح الموقف خطيرًا والإبادة جماعية ويجب إبعاد هذا القطيع الذي جلب علينا الوبال.

قال الأرنب: كيف؟ وقد حاولنا بالقوة ولم يجد هذا الأسلوب نفعًا؟!

قال القرد: قد تسرع الأسد ولم يقدر قوة هذا الوحش العاتي وأعتقد أن الدهاء والمكر هما الوسيلة المثلى، فإنه كلما زادت القوة قل التفكير والتدبير.

قالت السلحفاة: على الجميع أن ينصرف واتركوني والأرنب والقرد وسنتدبر الأمر.



وبعد أن انصرف الجميع جلس الثلاثة يفكرون كيف يوقعون بذلك الوحش الثائر الغاشم.

قال الأرنب: لا يقدر على هذا الحيوان الشرس غير الفيل!

قال القرد: ولكن الأفيال لا تعتدي على أحد إلا إذا اعتدى عليها، وهو لا يتفق معنا مكتفيًا بأن الجاموس لا يقترب من أماكن تواجده.

قال الأرنب: إذًا يجب أن نعتمد على أنفسنا وأرى أنه إذا تمكنا من اصطياد زعيمهم وقائدهم والقضاء عليه فسوف يتفرق شملهم ويبتعدون عنا، ولكن كيف وهو ضخم الجسم قوي البنية، لا يسهل اصطياده، أو اقتناصه.

سمع الجميع صوتًا يأتي من فوق الشجرة التي يجلسون تحتها يقول: عليكم بعمل فخ لاصطياده أو عمل حفرة عميقة يسقط فيها فلا تقوم له قائمة.

هتف القرد: أحسنت أيها الغراب، أخيرًا ظهرت لك فائدة، وتحديد المساعدة لغيرك وذلك على غير طبيعتك.

قال الأرنب: وكيف نحفر الحفرة؟

قالت السلحفاة: الخنزير هو الحيوان الوحيد الذي يحب الحفر والتنقيب.

قال القرد: أنت أيها الأرنب عليك أن تسرع وتبحث عن الخنازير وتأتي بهم.

أسرع الأرنب يبحث عن الخنازير فوجدها تنقب الأرض تبحث عن جذور النباتات، أو النفايات.

قال الأرنب: دائمًا أنتم شاردون ولا تعرفون شيئًا عما يحدث في الغابة!

قال الخنزير: وماذا يحدث؟!

قص الأرنب على الخنزير ما حدث من قطيع الجاموس وما آل إليه حال

حيوانات الغابة الذين تشردوا وتفرق شملهم.

قال الخنزير: وماذا تريدون منا؟!

قال الأرنب: نريد منكم أن تحفروا حفرة كبيرة.

قال الخنزير: وماذا يعود علينا من هذا العمل الشاق.

قال الأرنب: لقد نشط الإنسان وشهر أسلحته وراح يقتل ويصطاد كل حيوان يابله وأصبحنا بين قوتين ، قطيع الجاموس من جهة، والإنسان من جهة أخرى، وإذا كنتم اليوم بعيدين عن الخطر فهو قادم إليكم لا محالة.

قال أحد الخنازير: نعم بالأمس أفلت من فخ بأعجوبة وقد رأيت قطيع الجاموس يعيث فسادًا ويهدم الجحور ويطأ كل دابة تعترض طريقه، ويجب أن نوقف زحف هذا القطيع وربما يتوقف الإنسان عن الصيد والقنص.

قال آخر: أين تريدون هذه الحفرة؟!

قال الأرنب: عليكم أن تأتوا معي وستقول لكم السلحفاة عن المكان المناسب للحفر .

قاد الأرنب جيشًا من الخنازير إلى مكان السلحفاة، فقوى ذلك من عزيمتها وقالت لهم: هنا خلف هذه الشجرة عليكم أن تحفروا على أن تكون الحفرة عميقة وواسعة.

شرع الخنازير في الحفر في حين اختلت السلحفاة بالقرد والأرنب يفكرون كيف سيأتون بذكر الجاموس إلى هذا المكان، وكيف سيتم غطاء الحفرة بالحشائش والأعشاب لتخفيها عن الأنظار.

قال الغراب الذي كان ما زال يقف فوق الشجرة يتابع الموقف: بعد أن تنتهي الخنازير من الحفر سأقوم أنا وبعض الطيور بإحضار الأغصان ونخفي الهوة، أما



عن كيف نخدع الزعيم ونحضره فقد عرفت أن ذكر الجاموس يحب العسل ويبحث عن الخلايا ويهجم عليها ويلعق العسل.

قالت السلحفاة للقرد: عليك أن تذهب إلى ملكة النحل وتقص عليها وتطلب منها أن تحضر لنا خلية عسل نمكر بها على ذلك الغاشم الذي أصبح أعمى منذ أن نفثت فيه الأفعى سمها.

أسرع القرد إلى مدكة النحل فأخبرها فقالت: على الرحب والسعة فقد عانينا كثيرًا من هذا الثائر الأعمى المتهور، وناولته خلية من العسل يحملها إلى ذكر الجاموس، وخلية أخرى وضعتها عند حافة الهاوية.

ذهب القرد إلى حيث قطيع الجاموس، فوجد ذكر الجاموس يفرغ من الطين على شاطئ النهر فاقترب منه وترك رائحة العسل تفوح لينتبه له ذكر الجاموس، فأرسل أنفه يبحث عن هذه الرائحة فسمع القرد يأن، فقال له وقد عبش بصره: ماذا أتى بك إى هنا؟!

قال القرد: كنت ألعب بين الأشجار فتعثرت بخلية نحل تزخر بالعسل الفاخر، ذق فهذا بعضه، تذوق ذكر الجاموس فسال لعابه، وعاد القرد يقول: ولكني لم أتمكن من الحصول على كل العسل بعد أن هاجمتني أسراب النحل وأوسعوني لدغات حتى إن جسدي كأن به جمرات من النار فأتيت إلى النهر لأتمرغ في الطين عسى أن يذهب عني الألم، فهل تأذن لي؟

قال ذكر الجاموس: انزل إلى الطين ولكن على شرط أن تدلني على وكر العسل لأذهب إليه وأغترف منه ما يحلو لي ، ولكن إياك أن تشيع بين القطيع بأن نظري ضعيف، فلا أحد منهم يعرف وإلا فقدت مكانتي !!

تمرغ القرد في طين النهر وخرج منه ليجد ذكر الجاموس في انتظاره ويتعجل الذهاب إلى ذكر النحل وسار القرد يتبعه الزعيم الأغبش، وبين الحين والآخر

يسأله: هل وصلنا؟

ويرد: لقد اقتربنا .

كان ذكر الجاموس يمشي ببطء ويقدم رجله يتحسس الطريق، إما لضعف بصره أو لمكره، ولكن القرد كان يتعمدا أن يدب على الأرض حتى يطمئن ذكر الجاموس، وعند اقترابه من حافة الهاوية، قفز القرد وتعلق بغصن يتدلى من الشجرة وبذلك ساق ذكر الجاموس إلى قاع الهاوية، فتكسرت عظامه عندما ارتطمت بقوة بالصخور المدببة التي ملأ بها الأرنب قاع الحفرة العميقة.

برهة من الزمن بعدها أصبح ذكر الجاموس ذلك العاتي المتجبر جثة هامدة لا حراك فيها .

وأسرع القرد والأرنب ينشرون الخبر بين الحيوانات، فجاء الأسد يتوكأ كتف الفهد والثعبان يزحف أمام الأرنب والزرافة تحمل السناجب، والتف الجميع حول الحفرة وقد بدت عليهم السعادة الغامرة.

قالت السلحفاة: لم ينته الأمر بعد، يجب أن تقدم هذا الذكر هدية إلى الإنسان على أن يهدأ ويكف عن مهاجمتنا ويعود لنا السلام وننعم بالأمان.

قال الأرنب : هذه مهمتي سأذهب إلى القرية وأظهر أمام كلاب الصيد، وبالطبع يجرون خلفي وسآتي بهم إلى هنا وهم سيقومون بباقي المهمة.

وبالفعل أسرع الأرنب إلى القرية وراحت كلاب القرية تطارده حتى أوصلهم إلى حافة الهاوية وتمكن من الدلوف داخل الغابة واختفى عن العيون في حين وقفت الكلاب أمام الحفرة تنبح.

كان أهل القرية قد خرجوا على صوت الكلاب وهي تنبح على الأرنب، ثم راحوا يتبعون الكلاب ليروا علام النباح، حتى وصلوا إلى الحفرة فوجدوا فيها

ذكر الثور، فقاموا بإخراجه، وسلخه وتنظيفه وأقاموا وليمة كبيرة اجتمع عليها أهل القرية، وقال زعيم القرية: هذا هو ذكر الجاموس الذي كان يعيث في أرضنا فسادًا والحمد لله فقد أوقع به شره في حفرة لا نعرف من حفرها وكيف جاء إليها، المهم ذهب شره وارتاحت القرية منه.

انتظر قطيع الجاموس زعيمهم الذي لن يعود ، فتفرق شملهم وغادروا المكان وعادوا يبحثون عن مأوىً جديد وزعيم جديد .





العواقب الوخيمة

وعلى نمط التخاذل والخداع واستغلال جهود الآخرين وعاقبة الأمور، تروي قبائل «يوريا» من نيجيريا حكاية الأرنب الوحشي الذي تكاسل عن العمل ويريد الاستفادة مما يعمل الآخرون:

«وذلك عندما حل الجفاف بإحدى القرى وأراد أهل القرية حفر بئر للماء يكون نفعه للجميع، ولكن حفر البئر يحتاج إلى معدات من مجادف وفؤوس، وهذه المعدات تحتاج إلى أموال غير متوفرة، فأجمع أهل القرية على أن يقطع كل حيوان أذنه ويبيعوا الشحم المستخلص ويشتروا بهذه الأموال المعدات التي هم في حاجة إليها، وتعاهد الجميع على ذلك.

نفذت كل الحيوانات ما تم التعهد به، إلا الأرنب الذي أسرع واختبأ في أحد الكهوف البعيدة .

جمع أهل القرية النقود واشتروا المعدات وحفروا البئر، وما زال الأرنب مختبئًا عن الأنظار حتى ظن الجميع أنه مات.

اشتد الظمأ بالأرنب، فتناول فرعًا من البوص وأخذ ينفخ فيه ويصدر أصواتًا مزعجة وعواء مخيفًا مما جعل الحيوانات تبتعد عن البئر.

انفضت الحيوانات عن البئر، فنزل الأرنب وشرب حتى ارتوى وأكل حتى شبع، واغتسل وغاص على الأرض، وعاد من حيث جاء.

عندما أمنت الحيوانات لعدم وجود وحوش ضارية حول البئر، تجمعت وأخذت تتحدث عن ذلك الصوت المخيف، لاحظ الظبي روث الأرنب على الأرض وعرف الجميع أنهم كانوا ضحية حيلة الأرنب الوحشي وأنه ما زال حيًا.

بدأ الجميع يبحثون عن وسيلة لاصطياد ذلك الأرنب الماكر، وتفتق ذهن أحدهم إلى وضع مادة لاصقة على حافة البئر عندما يسمعون الصوت المخيف.

وفي اليوم التالي سمعوا نفس الأصوات المزعجة، فافترشوا حافة البئر بالصمغ اللاصق وابتعدوا واختفوا خلف الأكمة المطلة على البئر.

اطمأن الأرنب إلى عدم وجود أحد وجاء يقفز وينط فرحًا ويمني نفسه بالماء والكلأ والاغتسال، وما كان يستوي على الحافة إلا والتصقت قدماه وما أصبح قادرًا على الحركة قربًا وابتعادًا.

جاءت الحيوانات والتفت حول البئر وفي يد كل واحد منهم عصا وأبرحوه ضربًا، ثم فكوه ونبذوه، ومنذ ذلك الحين والأرنب يرتعد من أي صوت ويعيش وحيدًا وآذانه طويلة واشتهر عنه سعة الحيلة والخداع.



الملك الأبله!!

تحكي قبائل الهوسا» النيجيرية قصة تظهر تفوق الأرنب الضعيف على الضرغام ملك الغابة.

كانت حيوانات الغابة تخاف بطش أسد شرس، يهاجم الحيوانات دون تمييز وقد امتلأت الغابة ببقايا الجثث المتعفنة.

اجتمعت الحيوانات ليتدبروا هذه النكبة التي وقعت بهم، وحيث إنهم لا يمكنهم الخلاص منه والقضاء عليه، واتفقوا على الاقتراع وأنه في كل يوم يقدم أحد الحيوانات نفسه طواعية ليكون وليمة لذلك الأسد الشرس.

وعلى مدار شهر كان الأسد يتناول أحد الحيوانات التي تأتيه طواعية، حتى جاء اليوم الذي سيقدم فيه الأرنب نفسه إلى الأسد ليفترسه!!

كان الأرنب يسير في طريقه وهو يعلم أن اليوم هو آخر أيامه وبعد ساعات سيصبح أشلاء ممزقة في معدة الأسد، فأراد أن يستمتع بهذا اليوم، فذهب إلى حافة النهر وراح يقفز وينط ويتريض ويأكل من ثمار التوت اللذيد ويرتوي من الماء، ثم أوى إلى أحد الجحور وأخذته سنة من نوم.

انتصف النهار وكادت الشمس أن تغيب والأرنب لم يصل بعد إلى عرين الأسد الذي بدأ يتضور جوعًا، فخرج يزأر ويصيح، اقترب الأسد من جحر الأرنب الذي فزع عندما سمع صوته.



خرج الأرنب من جحره واعتلى شجرة بعيدة عن متناول الأسد وصاح بصوت مرتفع وقال:

لم هذه الجلبة والزئير، وأنا كنت في الطريق إليك..

قال الأسد: وما الذي أخرك؟

قال الأرنب: كنت أريد أن أحضر معي هدية لك! بعض العسل اقتطفته من خلية قريبة وأنا في الطريق إليك، صادفني أسد أراد أن يفترسني وأعلن لي ولجميع الحيوانات أنه ملك الغابة الجديد ولا أحد يمكنه الوقوف أمامه، فخفت منه وتركت له العسل وهربت.

قال الأسد: من هو ذاك الذي يمكنه الوقوف أمامي ومواجهتي وأكثر من ذلك يستولي على الهدية التي كانت في الطريق إليّ؟!!

قال الأرنب: لقد أخذ العسل واستقر في قاع البئر، يتلذذ به وهناك يخفي كل ما يستولي عليه!!

زأر الأسد فارتعدت فرائص الأرنب الذي سبقه ليريه موقع البئر، وعلى الحافة وقف الأسد ينظر داخل البئر، فرأى أسدًا يكشر عن أنيابه جاحظ العين كثيف الشعر فقفز عليه تسبقه مخالبه، وما هي إلا لحظات واستقر الأسد الهصور في قاع البئر فما كان يرى سوى صورته في الماء!!

التفت الحيوانات حول الأرنب تهلل له وتهنئه على ذكائه ويهنئ بعضهم بعضًا، واجتمعوا واختاروا الأرنب الضعيف الذكي ملكًا على الغابة.



هكذا تقول الحكايات الشعبية المنتشرة في أفريقيا شمالها وجنوبها شرقها وغربها، لقد اختل ميزان العدل واستأسد الأرنب بعد أن انساق الأسد خلف الكبرياء والخيلاء، فإن الصلف والغرور واختلال ميزان العدل والتجبر على خلق الله، لابد أن تكون عواقبه وخيمة، ومهما طال ليل الظلام والظلم، فلابد من بزوغ الفجر وإقامة العدل، ولله في خلقه شؤون

وعلى الله قصد السبيل

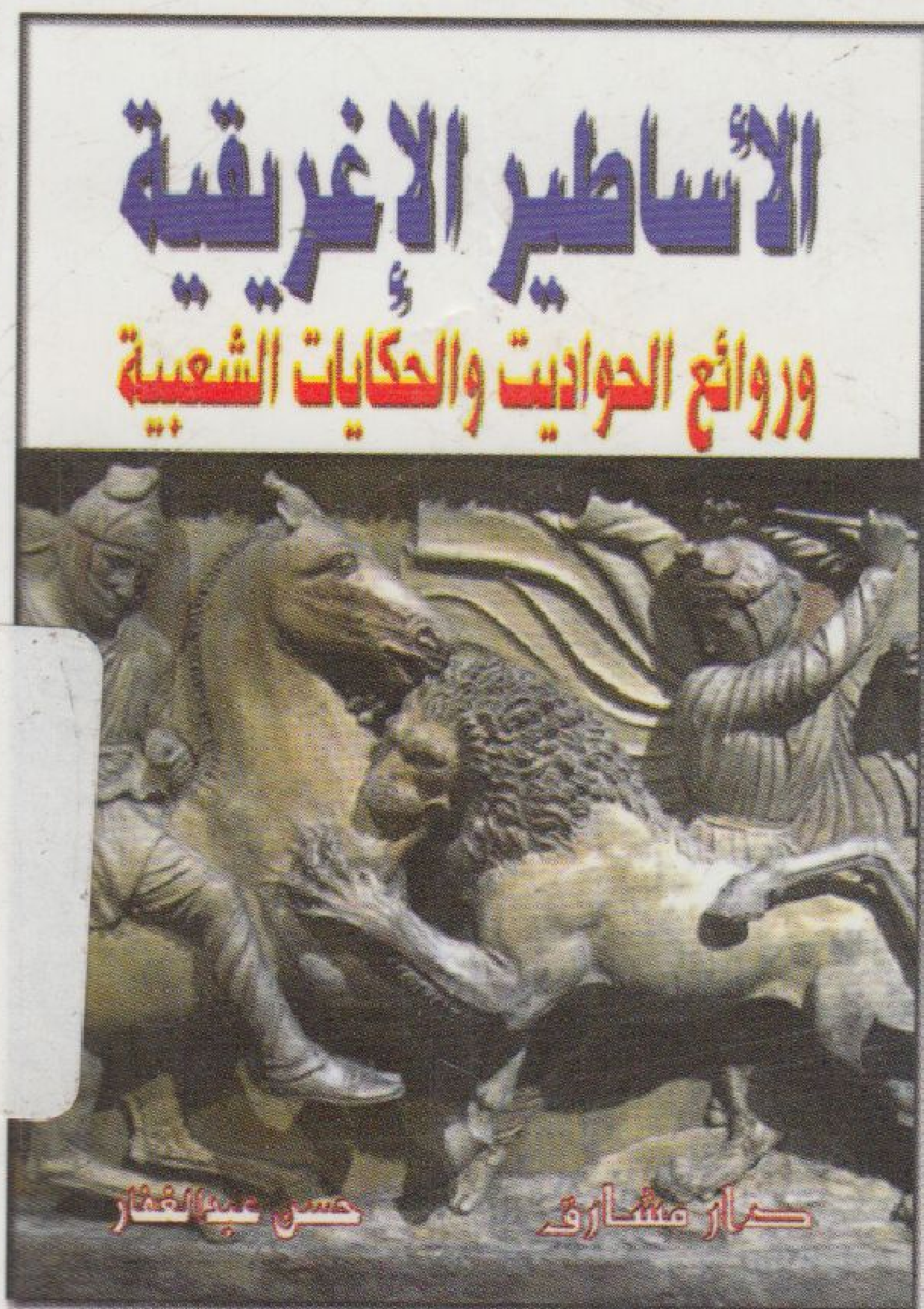
حسن عبد الفتاح حسن

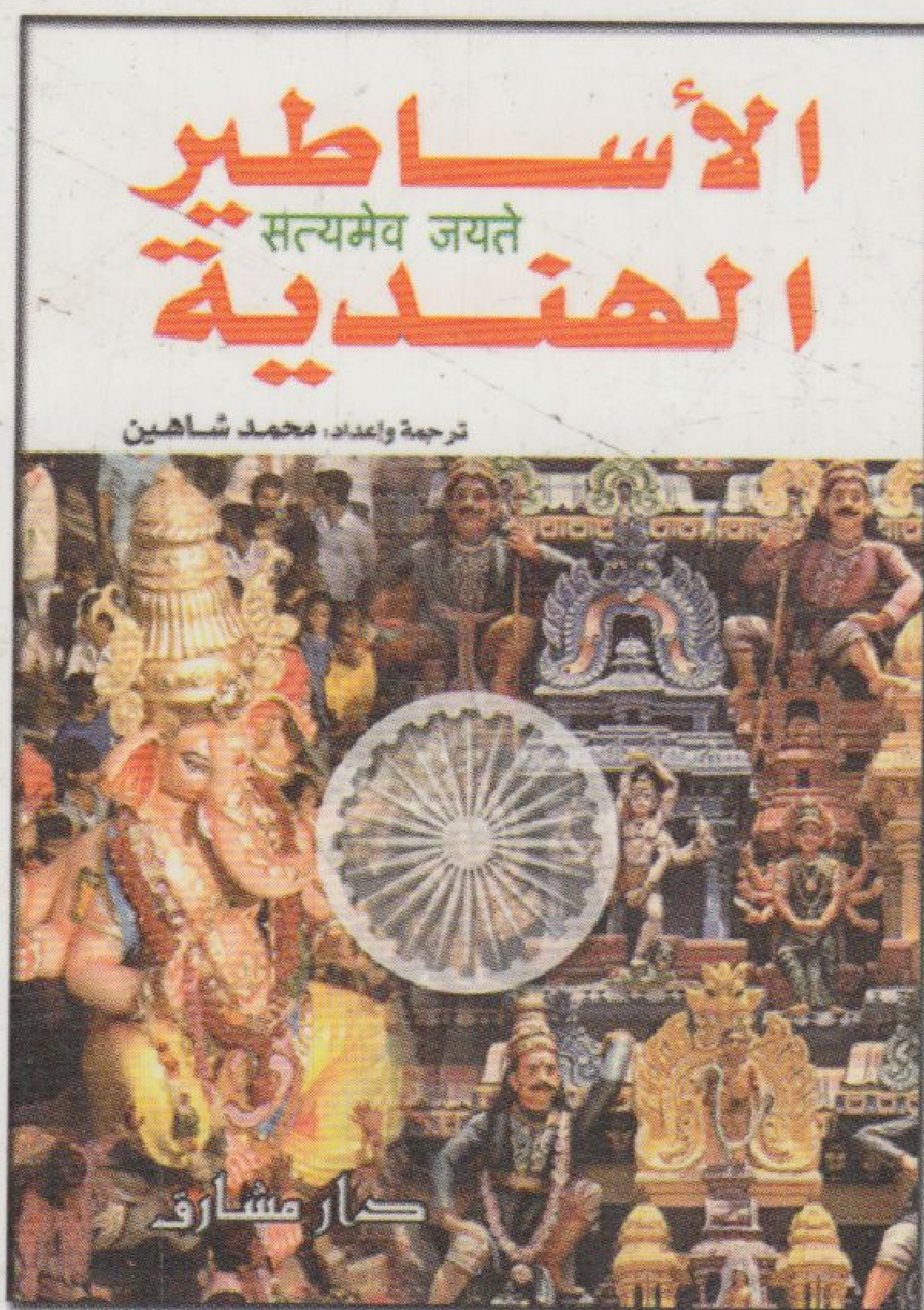
أغسطس ٢٠٠٨

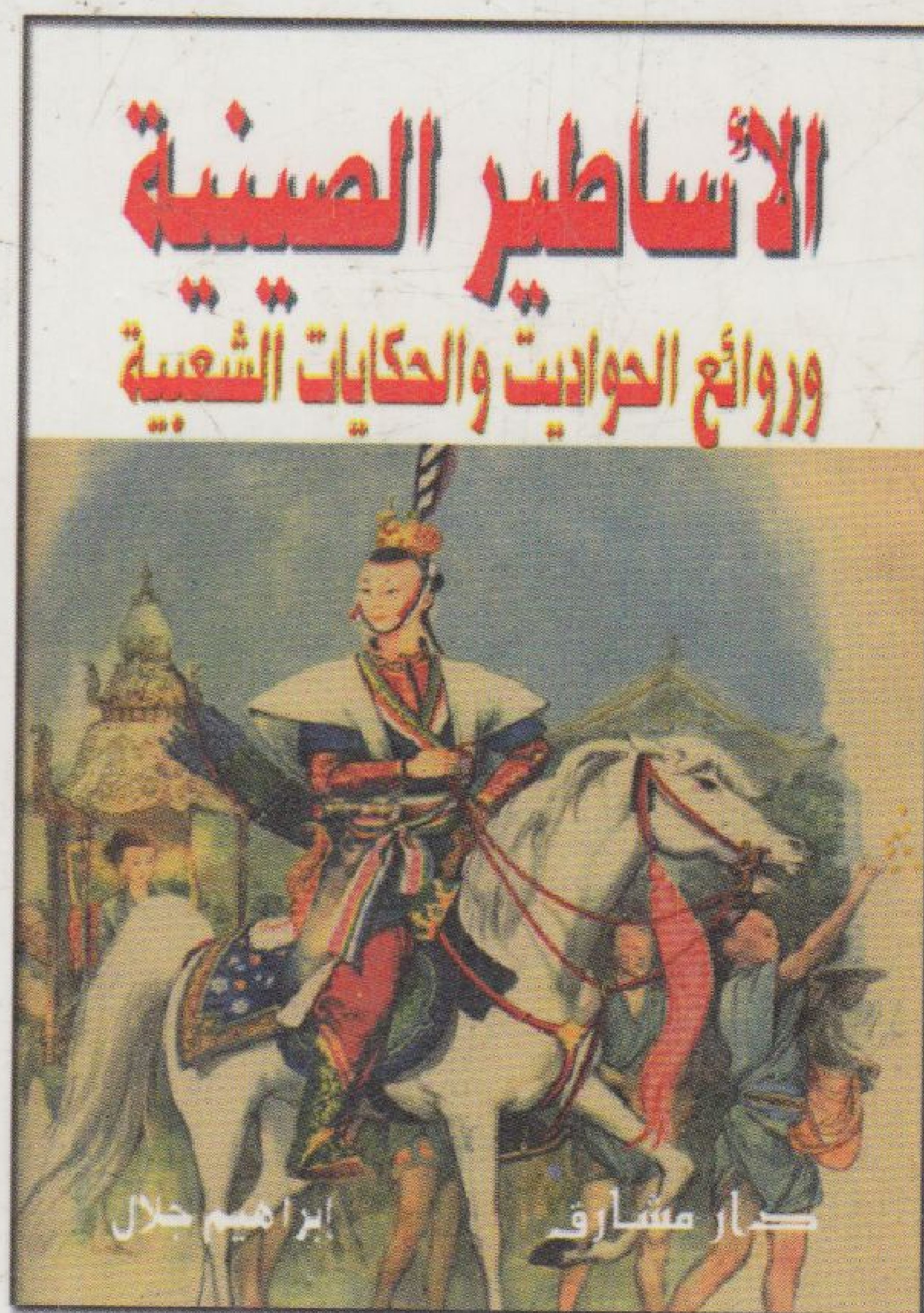


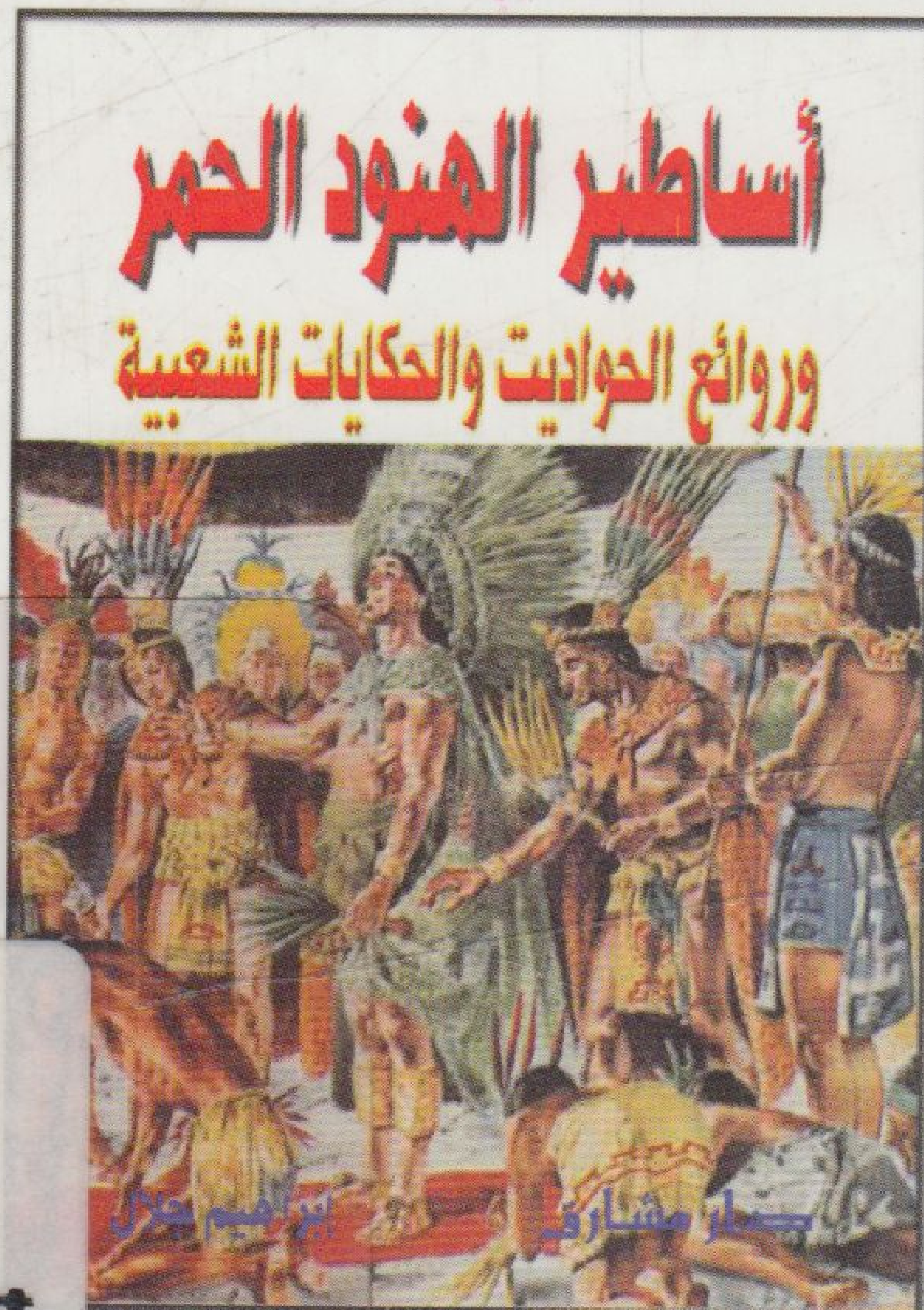
فهرس الكتاب

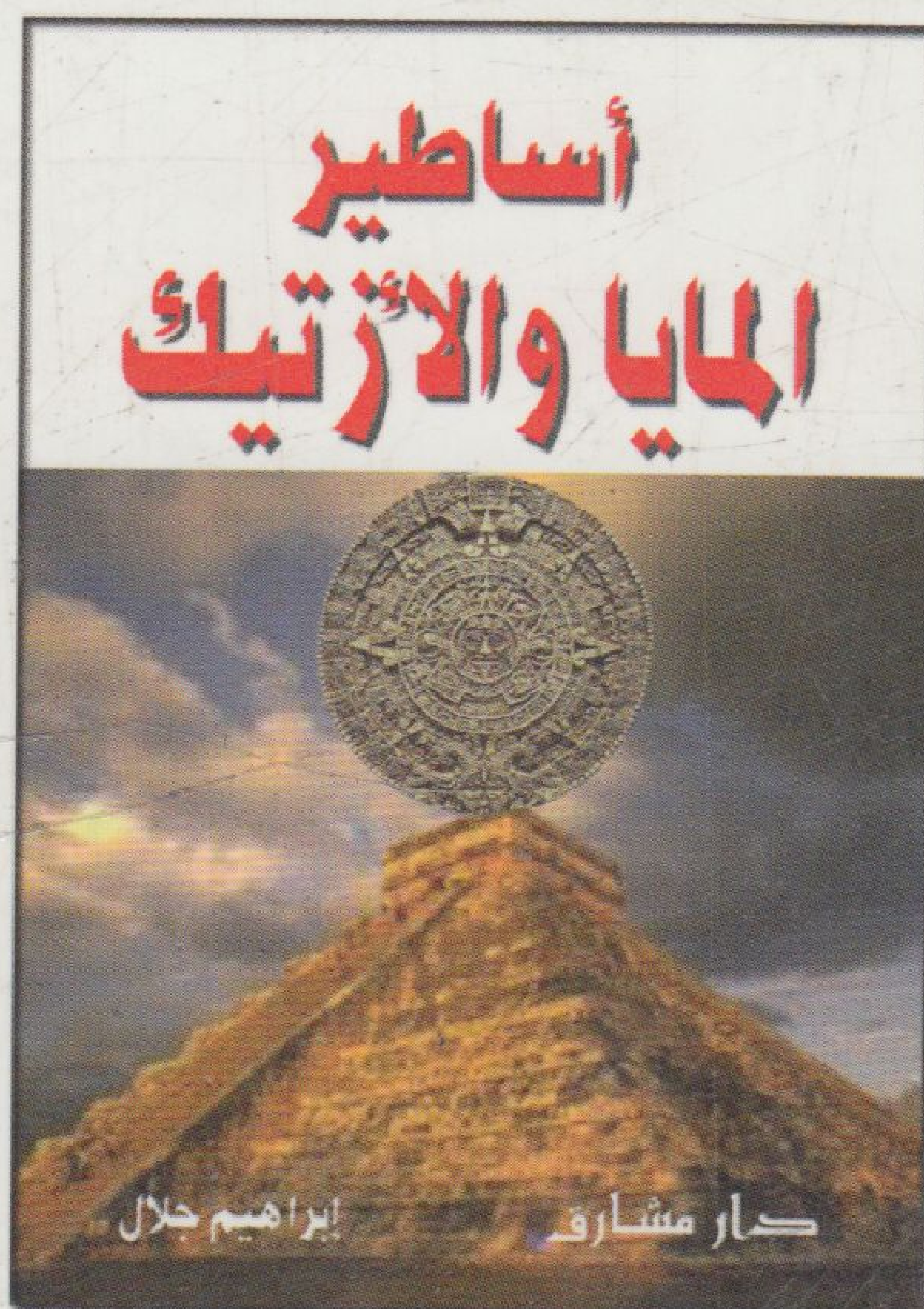



الأساطير الإغريقية
وروائع الحواديت والحكايات الشعبية
حسن عبد الغفار
دار مشارق


الأساطير الهندية
सत्यमेव जयते
ترجمة وإعداد: محمد شاهين
دار مشارق


الأساطير الصينية
وروائع الحواديت والحكايات الشعبية
إبراهيم جلال
دار مشارق


أساطير الهنود الحمر
وروائع الحواديت والحكايات الشعبية


أساطير
المايا والأزتيك
إبراهيم جلال
دار مشارق


Bibliotheca Alexandrina
0681394

دار مشارق